رواية الرحلة

تأليف: دكتورة عبير عبد الرزاق شحاتة

رواية الرحلة

تأليف

دكتورة/ عبير عبد الرزاق إبراهيم
شحاتة

رواية/ الرحلة

جميع الحقوق محفوظة للكاتبة: عبير عبد الرزاق إبراهيم شحاتة

غلاف رواية الرحلة تم عمله على برنامج باوربوينت باستخدام خلفية عبارة عن صورة مجانية بالنسبة لحقوق الملكية الفكرية لها من انتاج الفنانة/ منى إندرا موضوعة على موقع unsplash للصور المجانية:

mona-eendra-vC8wj_Kphak-unsplash.jpg

رقم الإيداع بدار الكتب: 14364/2022

رقم الترقيم الدولي:ISBN 978-977-94-2399-9

سوف يتعرض كل من يقوم بإستخدام هذا المؤلف بشكل غير مصرح به أو إعادة طبع هذا المؤلف بأية وسيلة سواء كانت الكترونية أو آلية بما يشمل أنظمة التخزين والاسترجاع أو الاقتباس عن هذا المؤلف أو تقليده أو استخدامه في عمل فني أو عرضه أو أي جزء منه على شبكة الانترنت أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته، أو تحويره، أو الاقتباس منه كليًا أو جزئيًا دون الحصول على إذن مسبق مكتوب من المؤلفة للمساءلة القانونية إلى أقصى حدود القانون

إقرار:

كل أحداث هذه الرواية وشخصياتها خيالية تمامًا، وكل تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل الصدفة البحتة.

شكر وتقدير

طوال مراحل كتابتي لرواياتي لازمتني مجموعة من الصديقات اللاتي نصحنني بشأن محتويات رواياتي وتعبيري عن أفكاري وأساليب كتابتي لها، وأخص بالذكر الصديقات التالية أسماؤهن:

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة هبة الله محمود خليفة:

وطبعًا الأستاذة هبة هي أفضل ناقد أدبي قابلته في حياتي من الرجال والنساء على حدٍ سواء فلديها موهبة أنها تخبر المؤلف بالشيء الذي ينقص روايته لكي تصبح أفضل كثيرًا مما كانت عليه قبل تطبيق نصيحتها أو هي تخبر المؤلف بالشيء الذي ينقص رواية عادية كي يتم تحويلها إلى رواية عبقرية وطالما سمعتها وهي تقرأ لمؤلفين أجانب تُباع كتبهم بالملايين لتقول: "كان على الكاتب أن يفعل كذا .. وكذا." وطبعًا في مثل تلك الحالة لا يمكننا أن ننقل نصيحتها لذلك الكاتب وإن كنت أنا أعتقد أنه كان سيستفيد كثيرًا لو سمع نصيحتها، وقد أعطتني الأستاذة/ هبة خليفة نصيحة غالية للغاية كانت في الصميم عندما نصحتني بشأن أول رواية كتبتها في حياتي "الفجوة السوداء." وكانت تلك النصيحة سببًا في تطوير أسلوب كتابتي بشكل ملحوظ جدًا. وكون الأستاذة هبة هي أفضل ناقدة أدبية على وجه الإطلاق هو رأيي أنا. هبة ستلومني وتقول أنني أبالغ عندما تقرأ ما كتبته عنها، ولكن أنا قرأت للكثير من النقاد الأدبيين ولم أر أحدًا منهم يستطيع أن يخبر الكاتب بما ينقصه حقيقة. الأستاذة/ هبة خليفة لا تعمل في مجال يتصل بالأدب ولكنها قارئة نهمة ووجودها الدائم والمستمر في حياتي كان دائمًا أحد أكبر نعم الله عليّ.

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة/ هالة محمد محمد عبد المنعم إسماعيل:

كانت الأستاذة/ هالة على مدار سنين طويلة أحد أكبر الداعمين والمؤيدين لي وطالما شجعتني كي أنبذ الكسل وأعود للكتابة من

جديد، وكثيرًا ما قرأت كتبي في فترات كانت فيها شديدة الانشغال بعملها وحياتها الأسرية ونصائحها بالنسبة لمحتوى كتبي وطريقة كتابتي كانت دائمًا مفيدة للغاية بالنسبة لي.

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة/ رشا أحمد السيد نجم:

وقد ساهمت الأستاذة/ رشا كثيرًا في دعمي في كل ما احتجته وقراءة رواياتي ونصحي بشأن المحتوى وما يجب أن أذكره وما لا يجب أن أذكره، وأنا أشكرها شكرًا جزيلاً على دعمها الكبير وتشجيعها لي. وطبعًا صديقاتي الثلاث تمتزن بالكثير من صفات الكرم والجدعنة.

رواية الرحلة

مقدمة: نزهتي بجانب مرفأ المراكب:

ماجد يحكي

كنت سعيدًا جدًا بوجودي على كورنيش النيل في أسوان، فأسوان هي إحدى المدن المفضلة لدي. اقتربت من مكان رسو المراكب وسرتني رؤية الأنوار المتلالئة على صفحة المياه في الليل، واستنشقت الهواء وأخذت عدة شهقات عميقة أختزن الهواء في داخلي وأخرجه بهدوء، وسمعت صوتًا من خلفي يقول: "أقول لك ماذا يا باشا؟ هناك مركب ستخرج الآن وستعبر للبر الأخر. ما رأيك أن تركب معنا؟"

وفكرت ثم سألته: "وهل هناك مراكب تذهب في رحلات نيلية في هذه الساعة؟ لابد أن الرحلة في النيل ستكون مظلمة تمامًا. لن نرى النيل ولا أي شيء أخر. ألا تبدأ الرحلات السياحية في النهار فقط؟"

ونظرت إلى الرجل والذي وقف أمامي وهو يرتدي بنطلون جينز ترندي أنيق وسويت شيرت أنيق. لا أحسب أن ما يتحصل عليه عمال المراكب يمكنهم من ارتداء مثل هذه الثياب الأنيقة، ولا أنهم يقبلون بارتداء أفضل ثيابهم أثناء العمل.

قال لي الرجل: "لدينا تصريح بالمبيت. بدلاً من أن تقف وتتفرج على النيل هكذا من بعيد، اخط بعض الخطوات وتفرج عليه وأنت وسط النيل. إركب معنا وسنذهب لمدة ساعتين فقط وأدفع ما تريده. إن لدينا تصريح مبيت وليس لدينا ركاب وبهذه الطريقة سيضيع علينا المال الذي دفعناه للحصول على تصريح المبيت."

ورددت عليه بطريقة تعمدت أن تكون ودودة: "كلا. في الواقع أنا لدي رحلة غدًا تبدأ في الصباح وهي مدفوعة الأجر بالكامل، يجب

أن أعود الآن إلى الفندق وأنام كي أكون في الصباح في كامل لياقتي لاستمتع بالرحلة النيلية صباحًا. عمت مساءًا."

تحركت إلى الأمام تاركًا الرجل خلفي وسرعان ما شعرت بشيء ينغرس في جنبي وصوت الرجل يقول: "ما غُرس في جانبك هو مسدس. تحرك. إدخل إلى المرسى واتجه إلى المركب الموجود في أقصى اليمين."

وصرخت أنا: "ما هذا؟"

كانت الساعة حوالي الواحدة صباحًا. كان المكان مقفرًا من حولنا ليس به صَرِيخ ابن يومين كما يقولون. ضربني الرجل على رأسي بالمسدس وأحسست بدمي يسيل على رأسي ثم يسيل على جبهتي ثم يسيل على قميصي. جريت إلى الجانب بسرعة وجريت في مسار دائري وأنا أستهدف أن أتحرك بعيدًا عن الرجل وهو يلاحقني وصرخت فيه: "أنا ليس لدي هاتف محمول، والمحفظة الموجودة في جيبي ليس بها مال تقريبًا. ليس لدي مال. لا يغرنك الجاكت الأنيق الذي أرتديه. لقد جاءني هدية. أنا ليس عندي مال."

ومن اليسار جاء رجل يجري ودفعني إلى اليمين بقوة حيث كان يتحرك ذلك الرجل الذي يحمل المسدس، أي أن الرجل على اليسار دفعني ناحية الرجل على اليمين، والذي أمسك بذراعي ولواه بعنف ولوى الرجل على اليسار ذراعي هو الأخر وأنغرس المسدس في جنبي عن اليمين، وبذلك صرت وسط كماشة، وصاح بي الرجل على اليسار: "إركب المركب. لن نؤذيك. هي ساعتين فقط سنأخذك لمكان ما ثم نعود بك إلى المرفأ. جرب وسترى أننا صادقين. لو صرخت الآن سنقتلك ونترك جثتك على الرصيف ونجري. كف عن الصراخ يا أحمق. لا يوجد سبب كي نؤذيك لولا صراخك."

ودفعني الرجلان أمامهما وصرخت ولكن أحدًا لم ينتبه لي. كان هناك صوت موتور قوي يجري تجربته أو إصلاحه يغطي على كل صوت

أخر في ذلك الجزء من المرفأ، وظل الرجلان ممسكان بي بإحكام ودفعاني في اتجاه أقصى يمين المرسى حيث الظلام ومن بعده لنش بحري صغير ودفعاني بالإكراه وجعلاني أتحرك على لوح خشبي وأصعد إلى اللنش والمسدس مازال مغروسًا في جنبي طوال الوقت.

كان المركب ذا طابقين. تركني الرجل الذي لا يحمل مسدسًا مع حامل المسدس والذي دفعني بعيدًا عنه ووقف بالمسدس ممسكًا به بكلتي يديه ومصوبًا إياه نحوي. كنت أراه ولكني لا أرى وجهه بسبب الظلام الدامس فوق المركب، وسرعان ما عاد الرجل الأخر وهو يحمل بندقية، ودفعني حامل البندقية أمامه بقوة وجلست على أحد جوانب اللنش في الطابق الأسفل من المركب، وجلس أمامي الرجل الأخر الذي لم يتبادل معي الحديث أمام المرسى بل هددني بعدما قبضا علي. أعني أن من جلس أمامي كان الرجل الذي كان يجري إلى يساري قبل أن يبدأن بدفعي نحو المركب وكان الآن يحمل بندقية كما أسلفت.

قام حامل المسدس بسحب اللوح الخشبي بين المركب والمرفأ ثم قام بفك الحبال التي تربط المركب إلى المرفأ بعدها صعد إلى الطابق الثاني حيث كانت تظهر عجلة قيادة المركب واضحة للعيان من مكاني في الطابق السفلي، كان ذلك الرجل ذو المسدس هو من حادثني في المرفأ وعرض علي ركوب المركب بهدوء قبل أن يقتادني وزميله عنوة إلى المركب. حاولت الحركة ولكن الرجل الجالس أمامي دفع البندقية نحو صدغي وألمني اصطدام البندقية بجمجمتي وصرخت به: "ادفعها برفق. ما هذا؟ هذا خطر. إنك لا تدفع هذه الفوهة في حائط. إنك تدفعها في رأسي ومنطقة الصدغ هذه منطقة حساسة وأنا بالفعل جريح."

لم أكن أصدق ما يحدث لي. أهذه عملية خطف؟ هل أنا أُخطف هكذا؟ هل يحدث هذا حقيقة في مصر وفي أسوان المدينة الهادئة بالذات؟ ولماذا يخطفونني؟ لست مليونيرًا ولا أعرف سرًا لا يعرفه أحد

غيري ولا يوجد أي سبب لكي يهتم بي أيٌ من الناس. جلست صامتًا وهادئًا بقدر الإمكان فلم أكن أريد من حارسي أن يستعمل قضيب البندقية الحديدي مرة أخرى، وسرعان ما أدار الرجل ذو المسدس في الطابق الثاني مفتاح المحرك وانطلق المركب نحو الظلام الدامس داخل النيل.

جلست هكذا وجلس الرجل الأخر أمامي وهو يصوب نحوي البندقية. في البداية كان يرفع يديه ويصوب البندقية إلى صدغي ثم تعبت ذراعه، على ما أظن، وأنزلها وأسندها على فخده وهو يصوب البندقية لي، وأنا جلست هادئًا بدون حركة بقدر الإمكان. لم أكن أعرف شكله. لم أنظر إليه في وجود الضوء خارج المرفأ، والآن كان يجلس أمامي في الظلام وأنا لا أكاد أرى وجهه. كنت أود أن أرى ملامحه لعلني أتذكر إن كنت رأيته في ظروف سابقة، وإن كنت أنا واثقًا أنني لم أفعل شيئًا يدعو أحدًا لخطفي لا في الوقت الحاضر ولا في ظروف سابقة.

وسألته: "حضرتك لماذا أحضرتماني إلى هنا؟ أنا لا أعرفك ولا أعرف الأخ الذي معك. لابد أنكما قد ارتكبتما خطأ. أنتما بالتأكيد لا تريدان أن تخطفا أول شخص يقترب من مركبكما هكذا. في الواقع. أنتما ارتكبتما خطأ كبيرًا. مواصفاتي بالتأكيد لا تنطبق على مواصفات الشخص الذي تريدان أن تخطفاه."

وصاح بي الرجل ينهرني: "أسكت. كف عن الكلام. أنا أعاني من صداع فظيع. سأضربك بالرصاص الآن لأتخلص من صوتك."

وصمت للحظات. نظرت حولي. لا يمكنني رؤية أي شيء سوى ظلام صفحة النيل، وقد ابتعدت عنا أضواء مدينة أسوان كثيرًا. هذا القارب سريع. الأضواء صارت بعيدة وها نحن نبتعد ونبتعد. أين سيذهبان بي؟ لم أر أمامي بدًا من أن أحاول أن أقنع الرجل الجالس

أمامي أن خطفهما لي هو بلا فائدة له لعله يطلق سراحي أو يخبرني بما يريده مني. الحوار يذيب الجليد كذلك أو هكذا سمعت.

وقلت له: "أولاً: أنا لست غنيًا. ثانيًا: أنا عادة لا أحمل هاتف نقال "طبعًا كنت أقول ذلك وأنا أخاف أن يتصل بي أحدهم فيسمع الرجل صوت الهاتف النقال من جيبي" ثالثا: كل ما معي هو بضعة جنيهات قيمة المواصلات. رابعًا: أنا مقطوع من شجرة. ليس لي أقارب ولا أصدقاء نهائيًا ولن يهتم بي أحد لدرجة أن يدفع لي فدية. من ستتصلون به ليدفع فدية سيتصل بالشرطة فورًا لأنه لا يهمه أن أعيش أو أن أموت. لا أفهم لماذا تختطفانني؟ هل تجربان الخطف؟ ماذا تريدان بالضبط؟"

لم يرد علي الرجل ولهذا كررت ما قلته بصيغة أخرى.

وصرخ في الرجل وهو يدفع البندقية في كتفي بخشونة ألمتني: "أسكت. كف عن الكلام. رأسي تؤلمني. ألا تفهم؟ هذه الاسطوانة المشروخة التي تكررها لم أعد أريد سماعها ثانية. هل تفهم؟"

وقلت له: "لا أستطيع أن أسكت دون أن أفهم. ألا يكفي أنني جريح ورأسي تسيل منه الدماء!! أنا كذلك قلق ولا أفهم ما الذي يحدث لي ولا ما الذي تريدانه مني."

وبلغ مني الغضب مبلغه فصرخت فيه: "كيف تختطفان رجلاً وأنتما لا تعرفانه."

ورد الرجل بصرامة: "نحن نعرفك. اسمك ماجد سليم. أليس كذلك؟"

وسقط علي قوله سقوط الصاعقة، سكت للحظة ثم صرخت به: "إذا فأنا المقصود بالخطف بالذات. لماذا؟"

ورد الرجل: "لو رحمتني بعض الوقت من اسئلتك وكلامك فسأخبرك فيما بعد. الآن اسكت وإلا فسأطلق عليك النار هنا فورًا وسألقي جثتك في النيل."

ونظرت حولي. سمعت هذه المرة رنة الصدق في صوت الرجل. نعم سيقتلانني ويلقيان جثتي في النيل. هما يعرفانني ويريدان لسبب ما أن يتخلصا مني. أسوان أصبحت بعيدة .. بعيدة. وأنا الآن تحت رحمتهما تمامًا ولا أنتظر منهما سوى رصاصة تنهي حياتي وتخلصهما مني. يا لهوي. ماذا سأفعل الآن؟

وفجأة توقف محرك المركب ورأيت الرجل في الطابق العلوي ينزل بسرعة كبيرة السلم النقال الحديدي إلى الطابق السفلي من المركب ويجري نحونا. ووقف الرجل الجالس إلى جواري لاستقباله.

وصرخ الرجل الأخر: "إعطني بندقيتك. هناك قارب شراعي مطفأ الأنوار يتحرك ناحيتنا في الظلام."

وصرخ الرجل الواقف إلى جواري وقد أصابه الذعر: "ماذا يريدون؟"

ورد الرجل الأخر: "لا أعرف."

استبدل الرجلان اللذان خطفاني السلاحين وبذلك أصبح الرجل الواقف بجانبي يحمل مسدس يد فقط بينما حمل الرجل الأخر البندقية وأنطلق بسرعة يصعد السلم الصغير الحديدي النقال إلى الطابق العلوي من المركب.

وحول الرجل الواقف بجانبي نظره نحو الأمام، وصرخ بالرجل في الطابق الثاني: "أين هو المركب الشراعي؟ لا أراه."

وصرخ الرجل الأخر وهو يشير: "هناك."

انشغل الرجل الواقف إلى جواري وكان يصوب مسدسه إلى الأرض وقد ترك ذراعيه متدليتين إلى جانبه وبدأ ينظر في الاتجاه الذي أشار إليه الرجل، ورأيت أنا فرصتي. انقضضت على الرجل الواقف بجواري. ضربته على رأسه بيدي بقوة وباليد الأخرى أمسكت بذارعه التي تحمل المسدس وأخذت أدفع بها جانبًا. صرخ وهو يقاوم. ضربت يده الممسكة بالمسدس ضد ركبتي بسرعة. طار المسدس بعيدًا. دفعت الرجل فسقط بعيدًا عني وعن المسدس، وفي لحظة، وقبل أن يصوب علي الرجل الأخر البندقية، كنت قد قفزت من المركب وألقيت بنفسي في النيل.

وهذا يعيدنا إلى بداية القصة.

الفصل الأول: بداية القصة

ماجد يحكي

استيقظت صباحًا وأنا غارق في العرق البارد بما أننا كنا في الشتاء. شعرت بالعطش الشديد. مددت يدي إلى زجاجة المياه بجانب السرير. كانت فارغة. بقيت في السرير لفترة غير راغب في فعل أي شيء وتذكرت أنني ظللت هكذا أستيقظ وأنام لمدة يومين أو ثلاثة ولم أكل لقمة واحدة طوال تلك الفترة وهذا جيد لأنني حين آكل آكل بنهم شديد ووزني زائد جدًا على الرغم من فترات الصيام غير الاختيارية الكثيرة التي أتعرض لها. نوبات الاكتئاب التي تصيبي من وقت لآخر تجعلني إما آكل بجنون وبدون تفكير أو أمتنع عن الأكل تمامًا. لقد جاءت نوبة الاكتئاب عنيفة جدًا هذه المرة. أنا فعلاً غير راغب في فعل أي شيء ولكن يجب أن أقطع هذه السلسلة من الاستيقاظ والنوم والأكل وعدم الأكل ومشاهدة التليفزيون لفترة طويلة وهو يعمل بلا انقطاع أو غلقه والتوقف عن مشاهدته لأسابيع بلا عدد. الحل الوحيد هو الذهاب في رحلة سياحية. وقتها يكون

علي أن ألتزم ببرنامج مع مجموعة من الناس وأجد من أحدثه في كل يوم وأصادق أناس وتنشأ أشياء يجب علي أن أفعلها وتتغير حياتي تمامًا.

المهم، بعد ساعة من النوم في هذا الوضع والحملقة في السقف وعدم التفكير في شيء بعينه بل القفز من فكرة إلى أخرى في رأسي، شعرت بالملل. سوف أذهب اليوم إلى شركة السياحة. المهم أن أذهب ولا يهم أي شيء أخر. لا يهم أنني لم استحم منذ عدة أيام أو أنه ليس لدي ملابس نظيفة. أنا بالفعل غير قادر نفسيًا على الاستحمام أو تنظيف أي شيء ناهيك عن التسوق لشراء ملابس جديدة لمجرد الذهاب في مشوار لشركة السياحة قد لا يسفر عن شيء في النهاية. فكرت: لا شيء يهم الآن. المهم أن أذهب إلى شركة السياحة وسأستجمع كل قوتي وأرغم نفسي على الذهاب لشركة السياحة.

ذهبت إلى المطبخ لأتناول فطورًا يشجعني على الخروج من البيت وكالعادة أزعجني صف الأطباق غير المغسولة الطويل الرابض في الحوض منذ فترة طويلة. لم يكن هناك كوب واحد نظيف في المطبخ ولهذا غسلت كوبًا واحدًا وغسلت طبقًا صغيرًا. وضعت الإبريق على النار وبعض الشاي والسكر في الكوب المغسول وذهبت للبحث عن شيء آكله. كانت الثلاجة مقفرة تمامًا كصحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء وهي بالطبع كانت خالية من الخضروات والماء وكل شيء فيما عدا شريحتين رفيعتين من جبن الشيدر. لا شيء أخر. فتحت الفريزر لأحصل على الخبز. لم يكن هناك خبز. تذكرت أنني نسيت الخبز على السطح الرخامي في المطبخ منذ يومين أو ثلاثة. واضح أن الخبز قد كون فوقه طبقة خضراء من الباكتيريا أي أنه قد فسد. المهم، شربت الشاي وأكلت شريحتي الجبن الشيدر بدون خبز.

فتحت الدولاب وتوجد داخل إحدى ضلفتيه مرآة طويلة تغطيني بالكامل. نظرت إلى المرآة. كانت هناك طبقة من الشعر النابت تحت

أنفي وعلى ذقني تشبه أعشابًا نابتة في منطقة صحراوية قفراء. فكرت في أن أحلق وأضع نفسي تحت دش ساخن في هذا البرد لعلني أنتعش خاصة وأن رائحة عرقي كانت سيئة للغاية ولكني كنت سأذهب إلى شركة السياحة.

هم توقفوا عن اختلاق الأعذار والرد على تساؤلاتي وأصبحوا الآن يتظاهرون بأنهم لا يروننني أصلاً وبهذا فهم لا يستحقون أن أستحم وأزيل رائحة عرقي الكريهة والزغب الموجود على وجهي من أجلهم، بل الأفضل أن أذهب وأثير قرفهم بمظهري الكريه ورائحتي الفظيعة كي أعاقبهم على معاملتهم السيئة لي، ورب ضارة نافعة، فربما يكون وجودي بهذا الشكل وقتها حافزًا ليفعلوا لي ما أريده كي يتخلصوا مني بسرعة.

المهم، نزلت إلى الشارع وفي طريقي قابلت البواب وأعطيته مبلغًا من المال ليشتري لي خبز وجبن وقهوة وبعض الفاكهة. حدجني البواب بنظرة تقول "كيف تجرؤ على أن تنزل الشارع وشكلك هكذا؟"، ولهذا شددت الجاكت علي جسمي وكأنني بسحبي له هكذا سأجعله مكويًا. وفكرت "الرجل لا يعيبه إلا جيبه". طبعًا هذا الشيء عادة ما يقال في سياقات أخرى ولكني تجاهلت السياق وفكرت "الرجل رجل وهو يستطيع أن يفعل ما يشاء مالم يخالف القانون علنًا طبعًا" ولهذا نظرت إلى البواب في عينه وقلت له: "أهناك شيءٌ يا محمد؟" ورد الرجل فورًا وكأنه يدافع عن نفسه: "لأ طبعًا. ماذا هناك يا أستاذ ماجد؟"

وركبت تاكسي إلى منطقة وسط البلد حيث توجد شركة السياحة وجلست في الخلف في سيارة التاكسي كي لا يتحدث إلي السائق فقد كنت في حالة معنوية سيئة وأنا أصلاً ذاهب للشجار مع العاملين في شركة السياحة ولكن السائق رغم ذلك نظر للخلف، ولم أتقوقع وأصغر حجمي خجلاً من رائحتي بل فردت جسمي ووسعت من ساقي لأجعل جسمي أعرض ما يكون ونظرت في عينيه بعداء. لو لم

تعجبه رائحتي فليقفز إلى النيل بسيارته ولكن ليس وأنا في السيارة طبعًا.

ضحى تحكي

أعلن مكبر الصوت في مطار القاهرة وصول رحلة الطائرة رقم ..... القادمة من المانيا. تقدمت دافعة عربة الحقائب وعليها الحقيبتين الثقيلتين .. قابلني الرجل المعتاد أمام بوابة الخروج وسألني عن اية أجهزة كهربائية أحملها معي وقدمت له الورقة التي دلت على دفعي للرسوم الجمركية عن التليفون الشخصي لي وتليفونين آخرين أحضرتهما لأقاربي هدية وسمح لي الرجل بالمرور بحقائبي.

خرجت وأنا أنظر حولي بحثًا عن عمتي سمية وأبنتها فرح وطبعًا رأيت إبنة عمتي أولاً حيث أنها قد أصبحت منذ بضعة أعوام أطول قامة من عمتي. المهم في النهاية رأيت هاتين العزيزتين بوضوح وهما رأتاني وبدأتا في التلويح بيديهما وبدأت في التلويح بيدي وأنا أدفع العربة أمامي.

المهم ارتميت في أحضانهما وقبلتهما بشوق كبير وقبلتاني. ربما كان تقبيلهما لي شيء عادي حيث أن النساء في مصر كلما تقابلن قبلن بعضهن البعض ولكني كنت مشتاقة كي أغطس في حضن شخص يحبني وأقبله فألمانيا بالنسبة للمشاعر البشرية باردة للغاية ربما حتى أبرد من طقسها في الشتاء، وإن كنت أرى على الرغم من تباعد زياراتي لمصر والتي لا أحضر إليها إلا إذا حصلت على إجازة طويلة نوعًا ما أن الأمور في مصر تتحول إلى الأسوأ على صعيد المشاعر، فالمشاعر المادية المرتبطة بالثقافة الاستهلاكية تسيطر على العالم ومنه مصر وأصبح الناس لا يهتمون إلا بنوع الموبايل الذي يحملونه وجمال الثياب التي يلبسونها وانشغل كل بنفسه وبهذه الأشياء التي لا قيمة فعلية لها فأنت تتصل بالهاتف وتسمع صوت

الطرف الأخر بوضوح سواء كان هذا الهاتف من ماركة غير معروفة وقديمة أو صنعته شركة آبل أحدث موديل. جميع أنواع الهواتف ما لم تكن معطوبة تؤدي نفس الغرض الأساسي، ومعظم الثياب تبدو جميلة ومحترمة بصرف النظر عن متى اشتريتها وهل هي ماركة سينييه أم لا ماركة لها ولكن مشاعر الناس الصادقة الدافئة تصنع تجربة حياتية مختلفة تمامًا.

المهم، لم أرض أن تدفع لي فرح العربة على أساس أنني مسكينة ومتعبة من رحلة الطائرة بل دفعت العربة بنفسي حتى سيارة فرح ومن هناك اتجهنا إلى بيت عمتي. كانت عمتي وابنتها تقيمان في شقة عمتي القديمة وحدهما بعدما تزوج محمود ابن عمتي وانتقل إلى سكن جديد في إحدى المدن الجديدة بجانب عمله وعمتي تشتكي كثيرً من أنه نادرًا ما يزورهما، ولكنه كعادة من هم في مثل حالته يتصل بهم بالتليفون فقط للاطمئنان عليهما.

الحياة في مصر تتغير بشكل كبير ومستمر وأنا دائمًا في ألمانيا أسمع احصائيات مقلقة للغاية عن وضع الناس في مصر وحين أحضر إلى مصر وأقابل أقاربي وخاصة الذين تربيت معهم أشعر أنهم قد تغيروا تمامًا فقد كبروا في السن وتزوجوا وأصبح لديهم أولاد وتغيرت أنا كذلك كثيرًا. لم أعد تلك الفتاة المدللة التي كانت تتوقع أن يدير الأخرون حياتها ويقومون بكل شئونها والتي خرجت من مصر ذاهبة إلى ألمانيا لكي تنضم إلى اختها الكبرى مروة وعائلتها في ألمانيا. أصبحت إمرأة مستقلة وكل ما يهمني هو عملي الذي أتقدم فيه بشكل مطرد.

حاليًا ومنذ ما يقارب العام أعمل أستاذة في إحدى الجامعات الألمانية وقد بدأت أحقق نتائج جيدة فالجميع يشيد باخلاصي ونباهتي وعلمي وقد قاربت على الانتهاء من كتابي الأكاديمي الأول الذي أتوقع أن يحقق نجاحًا معقولاً حين أطرحه في الأسواق، ولكن مع المجهود الذي أبذله في تحضير الدروس والقاء المحاضرات وتصحيح أوراق

الطلاب والامتحانات، ناهيك عن الكتاب، لم يعد لدي وقت فعليًا لأي شيء أخر. في الماضي في مصر كنت أمارس السباحة ولكني الآن لا أفعل تقريبًا أي شيء سوى العمل.

في الواقع، طوال وجودي في ألمانيا أكون نباتية تمامًا وهذا بالإضافة إلى كونه أكثر صحية ويحمي بشكل أفضل من الأمراض الخطرة يحل لي مشكلة وجود لحم الخنزير ودهنه في الطعام عادة في ألمانيا، فدهن الخنزير هو الأرخص ثمنًا وبالتالي الأكثر تفضيلاً في وجبات المطاعم الألمانية والوجبات شبه الجاهزة، وكلما رأيت في قائمة محتويات طعام ما كلمة دهن، فالمرجح أنه دهن خنزير حتى إن لم يذكروا ذلك، وأنا من النوع الموسوس، ولهذا أنا عادة أتناول الطعام مسلوق بدون اضافات.

أما في مصر فقد منيت نفسي بالعودة لأكل اللحم خلال فترة اقامتي التي لا أتوقع أن تكون طويلة والاستمتاع بوجبات الكباب والكفتة والدجاج المشوي .. الخ التي تقدمها المطاعم. وفي مصر أنا عادة لا أتخوف من الطعام حتى ذلك الذي أكله في المطاعم والكافيتريات العامة بل أنا أذكر اسم الله "بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ" ثم آكل ما أشاء وأحمد الله على ذلك ولم يصبني شيء في مصر من قبل والحمد لله على ذلك، على الرغم من أنني أسمع كثيرًا عن النزلات المعوية التي تصيب كل من يأكل طعامًا في مصر بينما هو يسكن أساسًا في أمريكا أو أوروبا أو أي من الدول المتقدمة.

هذه المرة مضت علي حوالي ثلاث سنوات قبل أن أحضر إلى مصر فقد كانت هناك الكثير من التغييرات في حياتي في ألمانيا ولم يكن لدي وقت كي أترك كل شيء وأنزل إلى مصر في إجازة ولكني سعيدة أنني جئت هذه المرة ولدي قائمة بأعمال كثيرة أود القيام بها أثناء فترة إقامتي في مصر.

جلسنا في غرفة الجلوس في بيت عمتي وهي عادة الغرفة التي يوجد بها التليفزيون في بيوت معظم العائلات المصرية وبدأت عمتي سمية الحديث بقولها: "الحمد لله أنك قد جئت إجازة في هذه السنة يا ضحى. لقد أوحشتنا كثيرًا. وكيف حال أختك مروة؟ ما هي أخبارها؟ هل هي سعيدة مع عائلتها في ألمانيا؟"

وأجبتها أنا: "الحمد لله يا عمتي. كل شيء يسير على خير ما يرام. مروة وابنها وابنتها بخير والولد والبنت متفوقين في دراستهما، والحمد لله زوجها ترقى في عمله وهو الآن نائب رئيس الشركة التي بدأ فيها العمل كموظف صغير منذ أعوام قليلة. أنا كذلك أقوم الآن بالتدريس في الجامعة. الحمد لله الأمور تسير على ما يرام وكلٌ مشغول بعمله."

وسألت عمتي سمية: "هل آتيتنا بصور جديدة لهم. لفترة الآن لم يضعوا صورًا جديدة لهم على الفيس بوك. ألا تريدون أن يرى الناس صوركم؟"

ورددت عليها: "أنا معي صور لهم ولكنها ليس جديدة. آخر مرة تصورت فيها مع عائلة مروة عندما أكمل ابنها أحمد ثمان سنوات. التقطت عدة صور مع عائلة مروة في عيد ميلاده، ولكنه وأخته كبرا كثيرًا من وقتها. ربما مرت سنة منذ ذلك الوقت. لم أزر مروة منذ فترة طويلة رغم أننا نقيم في نفس المدينة. الحياة في ألمانيا عمل فقط. على العموم أنا لا زلت أطمئن عليهم بالتليفون من وقت لأخر."

وسألت عمتي: "وانت يا ضحى. كم من الوقت ستمضين معنا في إجازتك هذه؟"

ورددت عليها: "لا أعرف بعد. لكن أنا في هذه السنة قد قدمت وأنا أنوي أن أتنزه فعليًا لفترة طويلة في مصر وأحصل على أجازة

طويلة نسبيًا. أنا حجزت من ألمانيا رحلة لأسوان مع شركة مصرية وسأذهب إلى مقر الشركة غدًا كي أعرف ترتيبات الرحلة."

وقالت فرح إبنة عمتي: "ولماذا لا تأخذيني معك يا ضحى؟"

وطبعًا هالني أنني لم أفكر إلا بنفسي ولم أعرض عليهما الذهاب معي إلى أسوان. أنا لم يخطر ببالي أصلاً أن أيًا منهما قد تريد ذلك، وصحت: "والله فكرة. إذا لم تكن لديك مشاغل تعالي معي يا فرح إلى أسوان. فلنذهب معًا ونتجول هناك ونتنزه ونشاهد الآثار وحتى لو أنني زدت من مدة إجازتي ومللت أنت من البقاء هناك يمكنك بسهولة أن تعودي إلى القاهرة. تعالي معنا يا عمتي."

وردت عمتي: "لا. أنا لا أريد أن أذهب في رحلة سياحية. أنا حاليًا لا يناسبي المشي لفترات طويلة ومشاهدة الآثار ومثل تلك الأشياء. أنا في هذه الأيام نادرًا ما أغادر البيت وقدماي لم تعودا تحتملان كثرة الحركة والذهاب والإياب. إذهبا أنتما واتركاني هنا."

وسألتني فرح: "ومتى تبدأ هذه الرحلة؟"

وأجبتها: "أنا لا أعرف بعد. سأعرف كل شيء حين أذهب إلى مقر شركة السياحة غدًا."

وبدأت عمتي تتحدث في الموضوع الذي كنت أعرف أنها ستفتحه ولم أكن أحب أنا أن يناقشه أخرون معي، حيث أنه في ألمانيا يُعتبر أمر الزواج وعدمه أمر خاص جدًا لا يقوم أي شخص أخر بمناقشته معك وكان هذا يناسبني تمامًا. قالت عمتي: "قد أفلحت أختك مروة. عندما أتتها الفرصة كي تسافر هي وزوجها كريم إلى ألمانيا، اقتنصت الفرصة وسافرت مع زوجها وهاهي قد درست في ألمانيا وحصلت على درجة الدكتوراه مثلك ولكنها كذلك أنجبت طفلين، وهذا يعني أنها قد حققت نجاحًا في حياتها العملية وحياتها العائلية

كذلك. أنت لديك حياة عملية فقط. متى ستصبح لك حياة عائلية كذلك؟"

ورددت عليها: "يا طنط سمية. أنا إذا تعرفت الآن على إنسان بغرض الزواج، ليس لدي وقت للجلوس معه للتعرف عليه سوى نصف ساعة يوميًا بحد أقصى، وذلك الوقت لن يكفي لدراسة أخلاقه بل سيكفي بالكاد كي أميز شكله من بعيد."

وردت عمتي سمية: "والله لن يفيدك أي شيء مما تفعلينه الآن. أنا رأيي أن تتركي عملك وتصبحي ربة منزل فقط. على الأقل وقتها ستستطيعين في سنك الحالي إنجاب طفل واحد قبل أن يسرق الزمن عمرك. بذمتك ألا تشعرين بالغيرة عندما تجدين إبن وإبنة مروة يحيطان بها وأنت هكذا قرد قطع، تقضين حياتك كلها منفردة؟"

وبالطبع فحديث الزواج هذا هو الحديث الأكثر امتاعًا لعمتي سمية وهو الأكثر مضايقة لي ولهذا فأنا عادة ما أحاول تغيير الموضوع بأسرع ما يمكن ولهذا قلت لعمتي وأنا أمزح: "ما قرد قطع هذه يا عمتي؟ إنتبهي إلى أن قرد قطع هذه أولها قرد."

وردت عمتي بغضب: "لا تغيري مجرى الحديث .. أنت تفهمين ما أقصده."

وقلت لها بيأس: "وماذا أفعل أنا يا طنط. في ألمانيا من الصعب أن تجد المرأة رجلاً مسلمًا مناسبًا يتقبل حياتها على ما هي عليه، وكذلك أنا لدي الكثير من العمل ولا يوجد لدي وقت. عندما أستقر في حياتي وأصدر الكتاب الذي أكتبه الآن، يمكنني وقتها أن أفتش عن شخص مناسب. أعني أنني وقتها يمكنني أن أفكر في الأمر. على العموم، أنا في هذا الأمر كما في حياتي كلها متوكلة على الله. الله وحده يعرف مصلحتي وأنا واثقة أنه سيهديني للشخص الذي يجب أن أتزوجه في الوقت المناسب."

في تلك الليلة تعرض بيت عمتي سمية لسطو مسلح ربما لم يحدث في مصر كلها من قبل. أنا كنت نائمة في غرفة ابنة عمتي فرح وهي غرفة بها سريرين حيث يتم عادة استضافة النساء في غرفتها .. كان النور مضاءًا وكنت نائمة في الغرفة وحدي حيث أن إبنة عمتي فرح كانت تستحم.

أحسست بأصوات من حولي وحين فتحت عيني وأنا نصف نائمة رأيت شخصًا يلبس ملابس سوداء بالكامل ويغطي وجهه بقناع أسود. كدت أنتفض جالسة ولكنه كتم نفسي بقطعة من القماش المبللة بمادة مخدرة. ما إن استنشقتها حتى فقدت الوعي تمامًا.

ما عرفته عن حادث السطو سمعته من فرح .. يبدو أن اللصوص لم ينتبهوا في البداية إلى أنه يوجد شخص في الحمام يستحم .. كان انتباهم مركزًا على الغرف الداخلية وقاموا بانزال كل شيء كان موجودًا في خزائن الثياب وألقوه على الأرض وقاموا بفتح حقائبي التي آتيت بها من ألمانيا وتفتيشها .. لا أعرف عم كانوا يبحثون ..

المهم خرجت فرح من الحمام وهي تضع فوطة على رأسها المبلل وعند اقترابها من باب الغرفة الذي كان مواربًا رأت من الفتحة من بعيد شخصًا يلبس ملابس سوداء بالكامل، ويلبس لثامًا أسود يقوم بالتفتيش في خزانة الثياب وكلما فرغ من فحص جزء ما ألقى محتوياته على الأرض وبعثره على الأرض لعل شيئًا لم يفطن له أثناء التفتيش ينكشف حينما يلقي الأشياء على الأرض ..

اسرعت فرح تجري نحو باب الشقة وتفتحته ثم تعبر الممر بين الشقتين إلى شقة جارهم الأستاذ/ عابد .. كان لدى الأستاذ/ عابد هذا ولدين شابين هما عمرو وهشام .. أسرعت فرح تطرق باب شقة الجيران بمنتهى القوة والعجلة وبدأت تصرخ .. يا عمو عابد .. يا عمرو .. يا هشام .. إلحقونا .. هناك لصوص بالبيت ..

فوجئت فرح بالرجل الذي يرتدي الرداء الاسود يخرج من البيت وقد رفع بيده قطعة قماش يبدو أنها مبللة بمادة مخدرة.

فرح ابنة عمتي كانت شابة صغيرة في السن ولكنها طويلة وقوية البدن .. وحين هجم عليها الرجل، أمسكت ذراعه وراحت تدفعه إلى الخلف وتدفع عن نفسها يده التي بها قطعة القماش.

وفجأة فُتح باب شقة الجيران وظهر عمرو الابن الأكبر للأستاذ عابد، وهو طالب جامعي وسنه حوالي تسعة عشر عامًا، وفوجيء عمرو بالمشهد أمامه وأخذ يصرخ بصوت جهوري قوي: حرامي .. حرامي .. يا هشام .. يا فؤاد .. يا كريم .. يافارس .. حرامي .. حرامي

وأندفع عمرو يهاجم الرجل وظهر من خلفه أخوه هشام والذي خرج بدوره .. وحين رأى الرجل الأخوان يهاجمانه دفع فرح ملقيًا بها على الشابين مما أبطأهما قليلاً ودخل إلى شقة عمتي سمية وأغلق الباب بالرتاج خلفه .. وترك فرح وعمرو وهشام أمام باب الشقة .. صعد فارس أحد جيرانهم في الطابق الأسفل وصرخ "ماذا هناك يا جماعة؟"

وصرخ عمرو وكأنه يلومه على تأخره "حرامي يا عم .. الحرامي دخل شقة مدام سمية وأغلق على نفسه الباب بالرتاج."

وسرعان ما استعد الثلاثة فتيان وأخذوا يضربون الباب بأكتافهم محاولين كسره ليتمكنوا من دخول الشقة والامساك باللص.

الفصل الثاني: السطو

داخل شقة عمتي سمية .. عاد اللص إلى الشقة وتعاون ومعه اثنان أخران يرتديان ملابس سوداء تمامًا على تعليق حبال مطاطية خفيفة لكنها متينة وضعت الشرطة يدها عليها فيما بعد بعدما فحصها الأهالي وتعجبوا لمدى خفتها وقوتها في نفس الوقت .. كان من

الواضح أنها مخصصة أصلاً للانزلاق عليها باستعمال قفازات خاصة .. معدات من تلك التي يستعملها عادة متسلقوا الجبال المحترفون وليست مثل حبال الغسيل الليفية أو البلاستيكية منخفضة الثمن والتي عادة ما يستعملها اللصوص المصريون ..

قام الثلاثة لصوص بتعليق ثلاثة خطاطيف تتصل بالحبال التي تحدثنا عنها لينزلوا إلى الشارع بسهولة ويسر .. وما إن بدأوا النزول حتى دخل الثلاثة شباب أولاد الجيران إلى شقة عمتي سمية بعدما تمكنوا من فتح باب الشقة .. انطلق الثلاثة شباب حول البيت يبحثون عن المجرمين ولما اكتشف هشام أن المجرمين ينزلقون على الحبال نادى زميليه وحين دخل الشابان الآخران ورأيا أن المهاجمين يكادون يصلون لأرض الشارع .. أسرعا نحو سلالم العمارة ينزلانها لكي يلحقا باللصوص على أرض الشارع ويمسكا بهم .. بينما أسرع هشام إلى المطبخ وأحضر سكينًا وبدأ في قطع الحبل الذي تعلق به أحد اللصوص ليُسقط ذلك اللص قبل أن يصل للشارع.

لم يتقدم هشام كثيرًا في قطع الحبل، بل سبقه اللص وقفز من مسافة قريبة من الحبل إلى أرض الشارع.

ما إن وصل فارس وعمرو إلى الشارع حتى وجدا أن المهاجمين قد وصلوا إلى الشارع بالفعل وبدأوا يجرون في اتجاه سيارة دفع رباعي كبيرة .. صرخ عمرو وفارس ينبهون أهل الشارع إلى القبض على المهاجمين وحين بدأ الناس يتحركون نحو المهاجمين .. خرج رجل من سيارة الدفع الرباعي وأطلق رصاصة في الهواء لتخويف الناس وفعلاً تراجع الناس عن مطاردة المجرمين الذين أسرعوا بركوب سيارة الدفع الرباعي والهرب بها. بل وكادت سيارة الدفع الرباعي تدهس أحد الشباب الموجودين في الشارع أثناء هربها بسرعة لولا أن الفتى أسرع بالتنحي قبل أن تصطدم به السيارة.

أتى أحد الشبان من الخلف وهو يحمل الموبايل الخاص به وقال: "أنا صورت رقم السيارة. وصورت السيارة نفسها. هذا هو الرقم".. اجتمع الفتيان جميعًا حوله ينظرون إلى الصور.

وقال أحد الرجال كبار السن في الشارع: "لقد أصبحنا لا نفترق في شيء عن شيكاغو بالنسبة لمدى عنف الجريمة. أين حدثت هذه السرقة؟"

وأشار شاب إلى العمارة التي حدثت بها السرقة والتي لا يزال بها حبل متدلي من الدور الرابع وقال: "في هذه العمارة .. شقة مدام سمية .. الدور الرابع."

وأنبرى بواب عمارة مجاورة ليقول: "هناك قريبة لها وصلت من الخارج اليوم."

وسأل شاب: "من الخارج تعني من أين؟"

وأجاب البواب بلهجته الصعيدية: "أروبا"

ورد شاب أخر: "وكل هذه السرقة من أجل إمرأة وصلت لتوها من أوروبا. ماذا يمكن أن تكون قد أحضرت معها؟ الناس قد جُنت، وهل رأيت ما الذي كان يرتديه هؤلاء اللصوص. لقد بدوا وكأنهم قد خرجوا من فيلم أمريكي. الناس أصبحت تقلد السينما."

ورد رجل أخر: "أصلاً. هل رأيت السيارة التي كان يركبها هؤلاء اللصوص. كلا، لا يمكن أن تكون هذه حادثة سرقة عادية. السيارة نفسها ثمنها ملايين."

ورد شاب: "ربما كانت السيارة نفسها مسروقة."

ورد الرجل : "إذن لماذا لم يبعها من سرقها؟ لماذا يستعملونها في سرقة أخرى؟ ماذا ظن اللصوص أنهم سيجنون من وراء هذه السرقة؟ الأمر كله غير طبيعي."

في بيت عمتي سمية جلست أنا وأنا مشوشة التفكير ولا أستطيع أن أركز جيدًا مع أمين الشرطة في صباح اليوم التالي حيث أتى الأمين في حوالي السابعة صباحًا إلى البيت. كنت أبدو مشوشة الذهن ولون وجهي أحمر كما رأيت في المرآة في صباح ذلك اليوم ورجحت أن اللون الأحمر لوجهي هو بسبب تلك المادة التي استُخدمت في تخديري في القماشة المبللة بتلك المادة والتي وضعت على أنفي وفمي. وبمجرد أن جلست أحضرت لي إبنة عمتي فرح كوب من الشاي الداكن وأحضرت لأمين الشرطة كوب شاي أخر ووضعت أمامنا إناءًا به بعض السكر ومعلقتين وقالت فرح: "لقد وضعت في كل من الكوبين ملعقتي شاي. لو احتاج أي منكما إلى شاي بدون سكر، فسأحضره له الآن من ابريق تحضير الشاي."

وشكرت أنا فرح وشكرها أمين الشرطة والذي وضع ملعقتي سكر أخريتين في كوب الشاي الخاص به بينما شربت أنا الشاي بدون إضافة سكر. أمسك الأمين في النهاية بدفتره وبدأ بسؤال الأسئلة وتدوين الإجابات بقلم حبر جاف.

وسألني أمين الشرطة: "أنت تعيشين خارج البلاد في ألمانيا منذ عدة سنوات وقد حضرت أمس فقط لقضاء إجازة في مصر. هل هذا الكلام صحيح؟"

وأجبته: "نعم. الكلام صحيح. أنا جئت بالأمس فقط من ألمانيا وكانت آخر مرة قضيت فيها إجازة في مصر منذ ثلاث سنوات."

أمين الشرطة: "وماذا تعملين حضرتك في ألمانيا."

أجبت: "أنا أستاذة جامعية أعمل في إحدى الجامعات الألمانية وأقوم بتدريس الفيزياء."

سأل أمين الشرطة: "وهل لحضرتك أعداء في مصر؟"

وأجبت: "أبدًا. ليس لي أي أعداء لا في مصر ولا في ألمانيا."

وسأل أمين الشرطة: "كم يبلغ راتب حضرتك في ألمانيا؟" وحين رأى نظرتي المتسائلة له، قال مبتسمًا ومبررًا سؤاله: "يمكن أن يكون الذين سطوا على المنزل قد ظنوا أنك مليونيرة مثلاً."

ورددت عليه: "طبعًا راتبي بالنسبة للمصريين العاديين يعتبر رقم، ولكن بالنسبة لأي مصري لديه مال يعتبر مرتبي كلام فارغ. كذلك، فأنا لا أظن أن اللصوص ظنوا أنني سآتي بكل مالي على شكل نقود في شنطة سفري مثلاً. راتبي وكل مالي محفوظ في البنك مثل أي إنسان يعمل. لا أظن أن السطو علي أنا بالذات كان هدف الجريمة."

وسأل أمين الشرطة: "ما الذي سُرق بالفعل من الشقة؟"

ورددت عليه: "إبنة عمتي فرح التي رأت اللصوص وكانت في كامل وعيها ولاتزال أجرت عملية جرد سريعة للشقة وتقول أن اللصوص لم يسرقوا منهما أي شيء حتى المصوغات الذهبية الخاصة بعمتي والتي كانت محفوظة في درج طاولة التزين الموجودة في غرفة عمتي لم يمسها أحد والمال الذي تحتفظ به عمتي كذلك في غرفتها لم يمسه أحد رغم أنهم فتشوا حجرتها وألقوا كل الأغراض على الأرض."

واستطردت أنا: "حضرتك قمت باستجواب فرح قبل أن تستجوبني وعرفت أنها قامت بالاستنجاد بالجيران والذين حاولوا بالفعل مقاومة اللصوص وبالتالي اضطروا اللصوص إلى الفرار قبل أن يسرقوا أي شيء تقريبًا. أما ما سرقوه مني أنا فكان قطعتين من الحلي الذهبية التي ورثتها عن المرحومة أمي وهذه القطع الذهبية

لا أظن أن ثمنها الآن يزيد عن خمسة آلاف جنيه واستولوا كذلك على حوالي ألف دولار كنت قد سحبتهم من البنك من أجل مصاريفي أثناء اقامتي في مصر. طبعًا أنا لم أراجع كل أشيائي بعد وأتأكد منها جميعًا ولكن هذا تقريبًا كل ما سُرق. أشيائي التي سُرقت كانت ضمن حقيبة هاندباج كنت أحملها معي داخل الطائرة وقد سرقوا الحقيبة بكل ما فيها."

وأردفت أنا: "على العموم أنا سأقوم بمراجعة أشيائي وعمتي سمية ستراجع كل شيء لمسوه في البيت ولو اكتشفنا سرقة شيء مهم فسوف نخبر قسم الشرطة بالتأكيد."

وابتسم أمين الشرطة وقال: "على العموم، الحمد لله على السلامة. المهم أنكم بخير وعلى الرغم من أنه كان من الواضح امتلاك الجناة لأسلحة نارية فلم يُصب أحد والحمد لله. المال يذهب ويجيء ومن السهل استبداله إنما المهم سلامة الناس."

وأومأت برأسي مؤكدة على كلامه وقالت: "الحمد لله على كل حال. قدر ولطف."

جاءت فرح إبنة عمة ضحى وهي مترددة ولا تزال واقعة تحت تأثير الصدمة كما يبدو وجلست وهي منكمشة على نفسها ومطرقة الرأس ثم سألت أمين الشرطة: "حضرتك. هل يمكنني أن أسأل عن شيء؟"

ورد عليها أمين الشرطة: "تفضلي.

سألت فرحة: "ماذا فعلتم بالنسبة للسيارة التي أبلغ الجيران عن أرقامها للشرطة؟"

ورد أمين الشرطة: "للأسف. إتضح لنا أن رقم السيارة مسروق. هذه الأرقام كانت لسيارة ذات دفع رباعي عطلانة ومركونة في أحد الشوارع المتطرفة. الجناة فكوا أرقام السيارة وركبوها على

سيارتهم واستخدموها في عملية السطو. الآن ستجدين أنهم قد تخلصوا من لوحة الأرقام تلك وألقوها في مكان ما. لا أظن أن هذه الأرقام ستوصلنا لشيء."

وسألت أنا: "وهل حضرتك تظن أن هؤلاء الجناة محترفين؟"

ورد أمين الشرطة: "بلا شك. واضح من إفادات الشهود والحبال التي استخدموها والتي عادة ما يستخدمها متسلقوا الجبال المحترفين في الدول الغربية ومن ملابسهم الداكنة والسلاح الذي معهم .. واضح أنهم عصابة منظمة وأن العملية قد تم التخطيط لها بعناية من حيث مكان الدخول حيث أنهم قد صعدوا إلى السطح ونزلوا إلى شقتكم هذه بحبال من السطح وكذلك أعدوا بشكل ناجح للغاية الحبال التي استخدموها في الهرب وواضح أنهم قد عاينوا المكان قبل ذلك."

وشرب أمين الشرطة قليلاً من الشاي ثم أردف: "سيارة الدفع الرباعي تم ركنها في الظلام بحيث لا يلاحظها الأهالي في البداية وحركتها مع حركة الهروب توحي بوجود أجهزة متطورة للتعقب في السيارة تستجيب لأجهزة يحملها اللصوص وتبين حركتهم .. هذه الأشياء لا تفعلها إلا العصابات الأوروبية أو الأمريكية المنظمة .. لا يوجد في مصر مجرمون يخططون للعمليات الأجرامية التي يقومون بها بهذه الدقة."

وأضاف أمين الشرطة: "أما ما كان اللصوص يظنون أنهم سيحصلون عليه من عملية السطو فهذا هو الشيء المحير .. أعني أن مدام سمية صاحبة الشقة سمعتها في المنطقة أنها إمرأة مستورة وحضرتك استاذة جامعية لا يُتوقع أن تكوني مليونيرة مثلاً أو تحملي مجوهرات ثمينة من الخارج .. إذن فما الذي كان المجرمين يتوقعون أن يجدوه عندكم في الشقة؟ .. في الواقع هناك إمرأة كبيرة في السن وثرية تقيم في الشقة أسفل من شقتكم هذه في الدور

الثالث، فهل يا ترى مع كل هذا التخطيط أخطأوا في الشقة؟ وإن كنت أظن أن إرسال ثلاث رجال بأسلحة نارية وسيارة دفع رباعي فيها مبالغة كبيرة إذا أرادوا سرقة سيدة مسنة تقيم بمفردها."

ونظر أمين الشرطة إلى ضحى وفرح بإمعان ثم قال: "اسمحا لي. أنا أفهم أنكم أنتم المجني عليكم وواضح أنكم مفزوعين مما حدث ومتحيرين مثلنا .. أسأل هل يمكننا الحضور مع قوة تفتيش للشقة .. أعني .. ربما ترك المهاجمون شيئًا بالشقة .. ربما كان الهدف هو زرع شيء في الشقة وليس أخذ شيء منها."

وحين رأى فرح تنظر لضحى بقلق ورأى ضحى تبادلها بنظرة قلقة قال: "لم يُسرق شيء من غرفة مدام سمية بينما تم أخذ حقيبة الهاند باج الخاصة بدكتورة ضحى وتقريبًا لم يؤخذ أي شيء أخر من الشقة. ربما كان الهدف هو زرع شيء في الشقة وليس الأخذ منها ووقتها نفكر طبعًا في الإرهاب. ربما كان هناك شيء بالشقة مهم أو متروك بها منذ فترة وأنتم لا تعرفون قيمته ولم يتسن للجناة الوقت الكافي للبحث عنه والعثور عليه. هل تقبلون أن نأتي لتفتيش الشقة؟ هذا الأمر هو كذلك لتأمينكم. ربما تركت العصابة شيئا خطرًا في الشقة لسبب من الأسباب."

وسكتت أنا ونظرت لفرح والتي قالت: "اعذرني حضرتك ولكني أسمع أنهم حين يحضرون لتفتيش شقة ما فإنهم يدمرونها رأسًا على عقب."

ورد أمين الشرطة: "كلا. من سيأتون لتفتيش هذه الشقة سوف يكونون على أعلى مستوى من التدريب وستكون معهم أجهزة للكشف عن أية أشياء أو أماكن مختبئة. وجود هذه العصابة وحركتها بهذا الشكل في مصر يقلقنا .. لم تمر إلا بضع ساعات على الحادث ووزارة الداخلية مقلوبة رأسًا على عقب. الجميع قلقون من إمكانية انتقال بعض هذه العصابات ذات الإمكانيات المتقدمة للعمل

في مصر. أعتقد أن الكثير من الضباط سيرغبون في زيارتكم ومعاينة الشقة والحديث معكم عن الحادث في الأيام القادمة والأمر كله لتأمينكم. لابد أن نعرف لماذا استهدفوكم؟ وفي حالة كون الاستهداف مرتبط بالشقة فلابد أن نؤمن الشقة."

ردت فرح: "في حال تعهد الشرطة بعدم الإضرار بالشقة ولا الممتلكات فيها فيمكنكم تفتيش الشقة كما تريدون. نحن أيضًا نريد الاطمئنان ومعرفة سبب السطو من عصابة كهذه وربنا يسلم."

ورد أمين الشرطة: "على العموم أنا سأعرض الموضوع على رؤسائي وهم سيقررون. شكرًا على الشاي."

ووضع أمين الشرطة دفتره تحت ذراعه وانطلق نحو الباب.

بعدما أنهيت مقابلة أمين الشرطة ذهبت للاطمئنان على عمتي. قالت لي فرح أن الطبيب قد تمكن أخيرًا من إفاقة عمتي والتي كانت في حالة يرثى لها ولكن كانت طنط فاطمة زوجة عمو عابد جارة عمتي قد أعدت لها فنجان قهوة وأجبرتها على شربه رغم رفض عمتي المتكرر لذلك وبهذا ذهب عن عمتي أحاسيس الغثيان والرغبة في النوم التي كنت أنا أكذلك أشعر بها. دخلت على عمتي سمية ووجدتها مهزوزة تمامًا ومرتعبة. كنت أعرف أنها بخير عضويًا في الغالب لأنني كنت أشعر بنفس الأعراض. كنت أنا كذلك مهزوزة للغاية في داخلي على الرغم من تماسكي الخارجي. ما حدث هزني بعنف ولكني لم أجد فائدة من البكاء والتعبير عن الخوف الداخلي الذي كنت أشعر به فقررت ألا أظهره وقررت أنه لا وقت لدي لهذه الأحاسيس. هناك الكثير يعتمد علي وعلى تماسكي.

يكثر الكثير من الناس من الشكوى والتذمر لأنهم يظنون أن تلك الفضفضة تحسن نفسياتهم، ولكن الأبحاث الأخيرة أثبتت أن الشكوى تزيد من معاناة الناس ومن تأثير المشكلة النفسي عليهم. معظم الأبحاث تدل على أن مظهرك الخارجي لا احساسك الداخلي

هو ما يهم فإن ابتسمت في خارجك فسرعان ما تشعر بالسعادة، ولو أظهرت الهم والكرب فلن تنال سوى التعاسة والحزن الفعلي، لهذا نفضت عن نفسي أحاسيس الخوف الشديد التي كنت أشعر بها وأظهرت مشاعر القوة وعدم الاهتمام، وما ساعدني على ذلك طبعًا هو فنجان متين من القهوة من اعداد طنط فاطمة اتحفتني به بعد أن تركنا أمين الشرطة مباشرة. دفعته في يدي وأصرت على أن أشربه أمامها فورًا ولم أكن محتاجة للكثير من الاصرار فأنا فعلاً كنت أحتاجه.

جلست إلى جوار عمتي في الفراش ولمست شعرها الناعم. ذكرني هذا بشعر أبي رحمه الله والذي كان ناعمًا أملسًا غزيرًا حتى آخر حياته ويُقال أنني ورثت نفس الشعر من أبي، وتحدثت إلى عمتي بصوت تعمدت أن يكون هادئًا: "سلامتك يا عمتي. هل أنت بخير؟"

وردت عمتي بصوت ضعيف مضعضع: "الحمد لله يا ضحى. أنا بخير ولكن هذا الصداع. هذا الشيء الذي أنامونا به ماذا قال الطبيب عنه؟"

وردت فرح، والتي كان شكلها يبدو أكثر تماسكًا بكثير من عمتي وإن كانت جلستها توحي ببعض الاستكانة والخوف حيث كانت منكمشة في مكانها وبالطبع فما واجهته هي كذلك، على الرغم من أنه أقل في التأثير النفسي، مما واجهناه أنا وعمتي، خاصة أنها قامت برد فعل وهذا يُخفف كثيرًا من وقع الصدمة، أقول أن ما واجهته فرح كان شيئًا مخيفًا. قالت فرح: "الطبيب طمأننا وقال أن الدواء المخدر مفعوله مؤقت وأنه ليس له تأثير على المدى الطويل ولكنه قال أنه سيكون هناك صداع وأوصى بالأسبرين والمسكنات المعتادة على معدة ممتلئة وهذا معناه أنك لن تتناولي دواءًا لعلاج الصداع ما لم تأكلي أولاً. وقتما تقررين أنك تريدين أن تأكلى اخبريني وسأحضر لك طبق به بعض البامية والأرز التي تناولناها أمس في الغذاء."

وقلت لفرح: "لحظة. كيف عرف الطبيب ما هي المادة المخدرة التي استعملها اللصوص؟"

قالت فرح: "كانت هناك تلك الخرقة البالية المبللة بالمادة المخدرة ملقاة في أحد أركان الغرفة وكانت رائحتها عن قرب نفاذة. تشممها الطبيب بحذر من بعيد وقال أنها قوية على المدى القصير ولكن تأثيرها يضعف سريعًا ولا تترك أي آثار جانبية دائمة."

وقالت مدام سمية بصوت ضعيف يُشعرك بأنها تكاد تبكي: "هل خدروك أنت كذلك يا ضحى؟"

ورددت على عمتي: "نعم يا عمتي ولكني تعافيت الآن وأنا بخير تمامًا."

وقالت مدام سمية وهي تواسي ضحى: "لا عليك يا ضحى. أول يوم لك في مصر بعد سنين وهذا ما يحدث لك. قالت لي فرح أنهم سرقوا منك أشياءًا. ماذا سرقوا؟"

ورددت عليها: "كل ما سرقوه هم قطعتي حلي ذهبية وعدة دولارات. قدر الله ولطف بنا في قدره. أنا بخير وأنت بخير وفرح بخير والحمد لله على أفضل حال."

وقالت مدام سمية وفي عينيها نظرة استجداء: "وهل لازلت عازمة على السفر إلى أسوان يا ابنتي؟"

وقلت لها: "طبعًا. على الرغم من أن ما حدث يُقلق إلا أننا جميعًا بخير ولو جلسنا في البيت نبكي على ماحدث ما استفدنا أي شيء. الأفضل أن نذهب ونغير المناظر التي نراها فننسى الأمر برمته. أنا أعتقد أنك لو جئت معي ومع فرح إلى أسوان فستنسين محاولة السرقة هذه سريعًا وسوف تتعافين من مشاعر الخوف التي تحسين بها الآن بسرعة وسوف يكون هذا خيرًا لنا جميعًا."

وردت مدام سمية وكأنها تستنكر تخفيفنا من فظاعة الأمر: "ماذا تقولين يا ضحى؟ هل أذهب لاتنزه وأترك لهم بيتي يسرقونه."

وردت فرح: "كلا يا ماما. لن تستطيعي أن تتركي البيت الآن. أنا أعرفك جيدًا ولهذا سأبقى معك في القاهرة. لا بأس يا ضحى. في المرة القادمة أذهب معك إلى أسوان. إذهبي أنت إلى رحلتك وحاولي الاستمتاع بها بقدر الإمكان فأنت تستحقين ذلك، فأنت تعملين طوال الوقت في ألمانيا وإجازاتك قليلة، وإن شاء الله سأذهب معك في رحلة طويلة في المرة القادمة التي تأتين فيها إلى مصر."

ماجد يحكي

دخلت شركة السياحة وأنا ألبس ملابسي المبهدلة وتقدمت إلى الكاونتر وبمجرد أن رأني موظف الاستقبال حول رأسه إلى الناحية الأخرى حتى لا يعترف أنه يراني.

ومع ذلك وعلى الرغم من أنني عرفت من البداية كالعادة أن ما ستنتهي إليه زيارتي تلك لتلك الشركة ستكون مشاجرة وربما يمتد الأمر إلى الاشتباك بالأيدي وأنهم بالتأكيد لم يعدوا رحلة جديدة إلى أسوان كما هو واضح إلا أنني رفعت صوتي وخاطبت موظف الاستقبال بصوت رجوت أن يكون هادئًا وواثقًا: "حضرتك. لقد جئت لأسأل عن الرحلات الجديدة الذاهبة إلى أسوان. كان مقررًا أن أذهب في الرحلة التي كانت ستخرج منذ أسبوع ولكنكم ألغيتموها منذ عشرة أيام. أنا أصلاً حجزت في الرحلة ودفعت أجرة الرحلة بالكامل منذ أسبوعين."

لم يرد الموظف على الإطلاق وكأنه لم يسمع شيئًا قلته قط وتقدمت نحوه إمرأة مسنة قدمت له جواز سفرها وقالت له شيء بصوت منخفض وأخرج الموظف أوراقه ويبدو أنه بدأ يراجع البيانات أمامه مع جواز السفر.

لم يكن لدي شيء محدد يجب أن أفعله في ذلك اليوم سوى التفاهم مع شركة السياحة ولهذا تركت الموظف يخدم تلك المرأة المسنة وانتظرت قليلاً حتى أنهت معاملتها مع الموظف، ثم تحركت كي اقف أمامه بحيث لا يمكنه التهرب مني ووقتها رأيتها. وقفت هي أمامه قبلي.

كانت إمرأة جميلة فعلاً. أعني جميلة جميلة. ليست شابة صغيرة في السن، ولكنها جميلة. لم يكن جمالها زاعقًا يغري الناس بمعاكستها بل كان جمالاً هادئًا وقورًا. نظرت إلى شعرها الكستنائي الفاتح وعينيها العسليتين الواسعتين ولاحظت أن ياقة القميص مغلقة على الرقبة ولاحظت مدى انضباط حركتها والتي لا تسعى للفت الانظار إليها. تبدو من النوع المنضبط المتزن الذي أفضله. وقدرت أن عمرها في منتصف الثلاثينيات. سن مناسب جدًا فأنا في أواخر الثلاثينيات وكان أول شيء نظرت إليه هو أنه لم يكن في يديها أي خواتم ولا أي حلي أي أنها على الأرجح غير متزوجة وغير مخطوبة .. ليست مخصصة لأحد وذلك طبقًا للأعراف السائدة في مصر أو في الأغلب الأعم هي كذلك. طبعًا يمكن أن تكون مُطلقة أو أرملة وهذا يناسبني كذلك. لا مانع البتة.

فكرت في التقدم والتحدث إليها. وطبعًا كان أول ما شعرت به هي رائحتي التي كانت تشبه رائحة قفص الأسود في حديقة حيوان الجيزة، وشكل الجاكت الكاروه الأحمر الذي أرتديه والذي كان يوجد لدي وارتديته بشكل منتظم منذ ما يقرب من سبع سنوات مع ما يقتضيه ذلك من اهتراءات وقطوع في الجاكت. كان أنيقًا في البداية. البنطلون الكاكي الذي كنت ألبسه لم يكن أحسن حالاً ناهيك عن الشبشب المنزلي في قدمي.

لم يقل لي أحد أنني سأقابل هذا الجمال في شركة السياحة. جئت وأنا أتوقع مشاجرة وكانت هيئتي جاهزة للمشاجرة ولكن يبدو أنه في تلك الأيام كانت هناك مخلوقات أخرى تتواجد في بعض الأحيان في

شركات السياحة غير الموظفين الثقلاء الذين لا يحسنون معاملة الناس.

قررت أن أتركها تنهي معاملتها وأن أترك الموظف في حاله قليلاً وأركز على المرأة فأعرف من هي فربما أمكنني لو كانت ذاهبة في رحلة ما أن أذهب في نفس الرحلة معها. أعني أنني رجل ليس لدي عمل ولا أي أشغال ولهذا أفضل أن أقول أن خياراتي مفتوحة. لو كانت رحلة أسوان ستتأخر، فلا مانع لدي من الذهاب إلى الواحات أو إلى الغردقة أو شرم الشيخ أو إلى أي مكان تذهب إليه هذه الجميلة.

وقالت المرأة بصوت مهذب مثقف جاد ينتمي بالتأكيد إلى الطبقة الوسطى المصرية. هذه الفتاة مناسبة لي من جميع النواحي: "هل يمكن أن أقابل الأستاذ فتحي متولي؟"

كان الموظف لا يزال ينظر إلى الجهة الأخرى ليتفادى رؤيتي، ولكن لما سمع صوتها لفت الموظف الذي كان متجهمًا منذ رأني وجهه ناحيتها، ولما رأها ابتسم واتسعت ابتسامته لها وأنا لا ألومه على ذلك البتة فهو بشر على الرغم من ثقل دمه وتجهمه في وجهي وقال بإحترام: "الأستاذ فتحي موجود. عن ماذا أبلغه؟ بخصوص أي موضوع تريدينه حضرتك؟."

وقالت المرأة: "بخصوص رحلة أسوان حضرتك."

ورفع الموظف سماعة الهاتف وهو لا زال مبتسمًا وتحدث في التليفون وقد نسى وجودي تمامًا. الجمال يُنسي بالتأكيد. كلمة "رحلة أسوان" ثقبت أذني. إذن فهناك رحلة جديدة إلى أسوان. كنت أنا أيضًا موجودًا في شركة السياحة من أجل "رحلة أسوان" ولكن أحدًا لم يبتسم لي ولم يكن يريد أن يرد علي. هذه عميلة خاصة أي أن لها واسطة ما وهي عميلة مميزة يتم الرد عليها فورًا بينما أنا، في هذه الحالة، مواطن من الدرجة الثانية أعامل على أنني في

منزلة أدنى منها، ولم أكن لأسكت على ذلك قط مهما كان جمال الفتاة، وإن كنت قررت في لحظتها أن أضرب عصفورين بحجر واحد وأن أذهب معها في رحلة أسوان التي ستذهب فيها هذه الجميلة."

وسرعان ما ظهر شاب في أواخر العشرينيات وتقدم بخطوات واسعة سريعة نحو الكاونتر تجاه الموظف وقال للفتاة: "دكتورة/ ضحى عادل الخطيب" وقالت: "نعم أنا دكتورة/ ضحى."

مد يده لها ليسلم عليها وقال وهو لا يكاد يبتلع ريقه من تلهفه لإرضاءها: "أنا فتحي متولي مشرف رحلة أسوان. الرحلة ستخرج غدًا في التاسعة صباحًا. هل يناسبك هذا الموعد."

وقالت دكتورة ضحى: "نعم. الموعد مناسب إن شاء الله."

ورد الأخ فتحي متولي قائلاً: "أتوبيس الرحلة سيكون موجودًا غدًا في مدينة نصر في الساعة التاسعة صباحًا."

تقدمت أنا من فتحي متولي ود. ضحى وقلت: "حضرتك أنا أيضًا حجزت للذهاب في رحلة إلى أسوان منذ أسبوعين ودفعت أجر الرحلة بالكامل وقتها وكان المفروض أن تخرج الرحلة الأسبوع الماضي ولكن منذ عشرة أيام ألغيتم الرحلة ومنذ ذلك الحين آتيت ثلاث مرات إلى مقر الشركة ولا أحد من الموظفين يريد أن يرد علي أو يحدد لي موعدًا أخر للخروج في رحلة أسوان. أرجو أن تبحث عن اسمي ضمن أعضاء الرحلة. اسمي ماجد سليم. ربما كنتم قد نسيتم إبلاغي."

وفوجئت بفتحي متولي هذا يرد علي فورًا بنفاذ صبرٍ شديد ويقول: "لا يا أستاذ ماجد. أنت لن تذهب معنا في هذه الرحلة. أرجو أن تذهب لتحدث مستر وائل في قسم المبيعات."

ونظرت إليه بامتعاض. لم أكن أتوقع هذه المعاملة السيئة فورًا. توقعت أن يتحجج بحجة ما وأرد عليه ثم يرد هو علي، ولكن هذه السخافة المباشرة السريعة كانت أكثر من احتمالي. وصرخت بغضب: "لماذا؟ أنا بالفعل منذ أسبوعين دفعت أجر رحلة درجة أولى إلى أسوان، وقلت لكم وقتها أنني أريد أن أخرج في تلك الرحلة بأسرع ما يمكن وأنتم قلتم أنكم ستذهبون بي إلى أسوان مع أول رحلة تنظمونها. لماذا هذا التفضيل للدكتورة؟ مادامت هناك رحلة ستذهب غدًا إلى أسوان فيجب أن أذهب فيها أنا أيضًا."

وصرخ فتحي وهو يدبدب بقدميه كالأطفال. أعتقد أنه قد فوجيء بوجودي وبطلبي وبينما كان يفكر أن الأمر قد استقر له يبدو أنني أفسد عليه كل ترتيباته. ولكنه لا يعرفني. مادمت قد قررت أنني سأذهب في تلك الرحلة فسأذهب في تلك الرحلة. وقال فتحي: "أرجو من حضرتك أن تحدث مستر وائل."

ورددت عليه بحدة: "لماذا؟ ألست أنت كذلك موظف بالشركة وها أنت تنظم رحلات وتحدد من يذهب فيها. لماذا حينما أتت الدكتورة اهتممتم بها فورًا وقررتم أن رحلتها ستخرج غدًا صباحًا. هي لم تأت إلا اليوم ولم يكن موظف الاستقبال قد رآها أو تعرف عليها من قبل. جاءت فقط تسأل عن رحلتها واتضح أن رحلتها ستذهب غدًا صباحًا إلى أسوان. هكذا بسرعة. أنا دفعت أجر الرحلة من أسبوعين وأتيت ثلاث مرات للسؤال عن الرحلة ولم يتم تحديد موعد رحلة لي بعد. هل ترى أن هذا الأمر عادل؟"

ورد فتحي: "نحن آسفون يا أستاذ. يمكنك أن تسترد مالك؟"

وصرخت فيه بغضب شديد: "لماذا! لماذا أسترد مالي؟ أنا دفعت المال للذهاب في رحلة إلى أسوان. لماذا لا أذهب غدًا صباحًا في رحلة الغد التي ستذهب فيها الدكتورة؟"

واستدرت إلى د. ضحى وسألتها: "هل حضرتك ذاهبة في رحلة خاصة مثلاً، أي ستذهبين في الرحلة وحدك أو ضمن مجموعة أصدقاء مقربين منك؟"

كنت أعرف أن الاجابة بالنفي. هي لم تسأل عن الرحلة الفلانية التي يخرج فيها فلان وفلان أو رحلة شخصية خاصة بها، بل سألت ببساطة عن رحلة إلى أسوان. هي أحست بحرج موقفها وتظاهرت بأنها لا تسمعني في البداية ولكني حدثتها بشكل مباشر وقلت لها: "لماذا لا تردين علي يا دكتورة ضحى؟ هل الرحلة التي ستخرجين فيها هي رحلة خاصة؟ أنا فقط أريد أن أفهم."

واضطرت د. ضحى إلى الإجابة فنظرت إلى فتحي ثم قالت: "على حد علمي لا. أنا ذاهبة في رحلة عامة ولكن يمكن أن تكون لديهم ترتيبات خاصة لكل رحلة."

فقلت لها مستغلاً حرجها وفي تلك اللحظة لم يعد يعنيني سوى أن أثبت نفسي وأذهب في تلك الرحلة. لم تعد تعنيني الفتاة في تلك اللحظة بل كان اهتمامي الأول أن أثبت لنفسي أنني لست مواطنًا من الدرجة الثانية. سأخذ حقي مهما يحدث وقلت لها: "في هذه الحالة، إذن فأنت من أخذت مكاني. هل يسمح لك ضميرك أن يكون هناك انسان قد حجز في الرحلة قبلك ودفع أجر الرحلة قبلك ثم تذهبين أنت في الرحلة إلى أسوان ويبقى هو في القاهرة؟"

ونظرت د. ضحى إلى فتحي وقد أسُقط في يدها وقالت: "بالنسبة لي لا يهم مطلقًا أن أخرج في تلك الرحلة. اعطني من فضلك أسماء الفنادق المحجوزة في أسوان وأنا سأسافر بالقطار أو بالطائرة. لا يهم طريقة السفر البتة، وحتى إذا كان حجز الفنادق في أسوان لا يكفي فيمكنني ببساطة أن أتصرف بمفردي فقط اعطني تفاصيل الاتصال بالشركة في أسوان."

وصرخ فتحي وهو غاضب جدًا وعاد يدبدب بقدميه في الأرض كالأطفال ويحدث د. ضحى: "كلا. حضرتك حجزت في الرحلة وقد أوصى بك د. فؤاد ورحلة حضرتك ستذهب في الصباح في الساعة التاسعة. لابد أن الشركة قد أعدت للأستاذ "وأشار إلي" ترتيبات أخرى لأن اسمه غير مسجل عندي." وتحدث إلى د. ضحى وقال بشكل قصد به أن يكون نهائيًا: "اسم حضرتك هو آخر اسم مسجل في هذه الرحلة."

كنت قد بدأت أغضب. كنت أعرف أن في الأمر واسطة. الأمر هو دائمًا هكذا. أنت تفعل كل شيء بشكل صحيح وتدفع ما عليك، ثم تأتي الواسطة لتضيع جهودك وتُعطي حقك لغيرك.

وسألت د. ضحى بخشونة. "كم دفعت لتذهبي في تلك الرحلة؟" وردت: "أربعة آلاف وثمانمائة جنيه مصري." وصرخت في فتحي: "أنا دفعت ستة آلاف جنيه ومنذ أسبوعين وأنتم تماطلون في إخراجي مع الرحلة. المفروض أن تهتموا بي أكثر منها. أنا دفعت مبلغ أكبر، أم أن لها واسطة؟ من هو د. فؤاد هذا؟"

وقال فتحي وقد بدأ يربت بخفة على كتفي محاولاً استرضائي: "يا أستاذ سوف نحاول أن نجعلك تذهب في أول رحلة بعد ذلك بأسرع ما يمكن وهذا وعد مني بذلك."

أزحت كفه عن كتفي وقلت له باستهزاء: "سأظل أنتظر حتى تحاول أن تجعلني أذهب في رحلة لاحقة. أنا لدي استعداد أن أتنازل وأخرج في تلك الرحلة التي ستخرج فيها الدكتورة بشرط أن تردوا لي ألف ومائتي جنيه، ويمكنني أن أذهب مكانها وتردوا لي ألف ومائتي جنيه، وهذا هو العدل."

وصرخ فتحي وقد عاد لعدوانيته تجاهي: "كلا، ستخرج الدكتورة في رحلة الغد وأنت ستخرج في أول رحلة بعد ذلك وإلا فيمكنك أن تسترد مالك."

وصرخت فيه: "يا سلام! ولماذا لا أخذ أنا المكان في الرحلة وتسترد هي مالها؟"

وصرخ فتحي وقد بدا أنه سُينهي الحوار: "حضرتك إذهب إلى مستر وائل في المكاتب الداخلية وناقشه في الموضوع أو اذهب إلى الخزانة واسترد مالك، وإلا فسأستدعي الأمن لاخراجك من الشركة."

الفصل الثالث: في مقر شركة السياحة

وصرخت فيه: "ماذا! تستدعي لي الأمن. لماذا؟ أنا دفعت مال أكثر منها ومن حقي أن أخرج أنا أولاً في رحلة أسوان وإلا فلن أسكت على هذا الظلم."

ورد فتحي: "كما تحب. اذهب وسجل محضرًا ضدنا في قسم الشرطة لو أردت وهذا آخر ما يمكنك أن تفعله."

صرخت في د. ضحى وقد تملكني الغضب: "هذا هو المعتاد في اللذين يأتون من الخارج. دائمًا لهم الأولوية، وهم يصدعون رؤوسنا بالحرية والديمقراطية والعدالة ولكن حين يهبطون إلى مصر يتبعوا مبدأ أنا ومن بعدي الطوفان ولا يبالون بأحد ويأخذون حقوق الناس الأخرين بلا ضمير ولا انسانية. يعني أنا حجزت قبلك ودفعت أجر الرحلة قبلك وأكثر منك، وأنت الآن تخرجين في الرحلة بينما خياري الوحيد الآن أن أصدم رأسي في الحائط."

كنت أصرخ كالمجنون وأمسك بي فتحي وهو يقول: "يا أستاذ. فلتراعي أنك في شركة محترمة وأنك في منطقة الاستقبال وهكذا فأنت تصنع دعاية سلبية ضد الشركة. إذا لم تخرج من الشركة الآن بهدوء فسأضطر أن أستدعي لك الأمن." بدأ فتحي يدفعني إلى الباب الخارجي للشركة وأنا أقاوم.

وهناك جاء من خلفنا صوت د. ضحى الهادىء المهذب وقالت: "لحظة من فضلك يا أستاذ فتحي. أنا أرى أن الأستاذ على حق. هو دفع مبلغ أكبر ومن الواضح أنه حجز في الرحلة قبلي وهذا معناه أنه أولى بالمكان."

وكان وقع كلماتها على فتحي كالصاعقة، وبدأ الفتى يتراجع عن لهجته الحازمة وقال وهو يلتمس لنفسه العذر ويُظهر أن تصرفه مبرر بسبب تصرفاتي أنا: "ألا ترين يا دكتورة كيف يتحدث؟ هل من الممكن لرجل محترم أن يطلب من سيدة أن تترك له مقعدها في رحلة ما كي يأخذه هو. نحن كذلك لا يمكننا أن نُغضب د. فؤاد. ضيوف د. فؤاد لهم الأولوية المطلقة. د. فؤاد كذلك صديق شخصي لصاحب الشركة وفي كل عام يرسل لنا الكثير من السائحين من ألمانيا. لا يهم متى حجزت حضرتك. لابد أن تذهبي إلى أسوان في ميعادك، وإلا فقد يغضب منا د. فؤاد."

وقالت د. ضحى بحزم هذه المرة: "لا يهم د. فؤاد. أنا كذلك لن أقول له أنني ذهبت إلى أسوان بوسائلي الخاصة خارج الشركة. فقط اعطني معلومات كاملة عن الفندق في أسوان وعن ترتيبات الزيارة وسأذهب أنا إلى أسوان بشكل أسرع وأكثر راحة من حافلة الشركة."

ولم أتمالك نفسي وبدأت أغيظ فتحي وقلت له: "أرأيت لقد أظهرت الدكتورة الآن أن أخلاقها أفضل من أخلاقك وأنها مهتمة بتحقيق العدالة."

ونظر لي فتحي نظرة بذيئة وقال: "إهدأ قليلاً يا أستاذ. أرجو أن تنتظر أنت ود. ضحى لدقائق معدودة حتى أبحث موضوع الحجز مع مستر وائل. انتظرا هنا وسأتيكما خلال دقائق معدودة وأطلعكما على النتيجة، فلربما نستطيع أن نخرج بحل يُرضي جميع الأطراف."

ذهب فتحي إلى المكاتب الداخلية واستدرت كي أحدث د. ضحى ووجدت أنها قد جلست على كرسي خالي وسط العديد من الناس في الرسبشن. كانت هناك كراسي أخرى خالية بعيدة عنها ولكن ليس بجانبها، ولكني فضلت أن أنتظر واقفًا على أحد جوانب كاونتر منطقة الاستقبال حتى يعود فتحي. كنت أريد أن أتحدث إليها ولكنها اختارت مكانًا لا يمكن لي أن أجلس بجوارها فيه.

وسرعان ما عاد فتحي ووقف بجانب الكاونتر منضمًا إلي ووجه حديثه لد. ضحى والتي انضمت لي ولفتحي على الكاونتر وقال: "انتهى الأمر. الأستاذ" وأشار إلي "سيأتي معنا في الرحلة. عادة ما تخرج الرحلة وبها مشرف على الرحلة ومساعد معه. هذه المرة المساعد سيركب القطار وسنلتقيه في أسوان وسأخرج أنا مع الرحلة وحدي وسيتيح هذا كرسيًا خاليًا في حافلة الرحلة سيأخذه الأستاذ."

واستكمل فتحي حديثه قائلاً: " أتوبيس الرحلة سيخرج من مدينة نصر وهاهي بطاقة التعريف بالشركة بها كل تليفوناتها وفي ظهر البطاقة ستجدون رقم الهاتف المحمول الخاص بي."

وقال لي وكأنه يصرفني: "يمكن يا أستاذ أن تذهب إلى الخزينة وسيدفعون لك مبلغ ألف ومائتي جنيه."

والتفت فتحي إلى د. ضحى وقال: "هل من الممكن أن أحصل على رقم هاتفك لأنبئك إن حصلت تغييرات من الآن وحتى الصباح."

ورددت على فتحي: "ولماذا تطلب رقم هاتفها وحدها؟ لما لم تطلب رقم هاتفي أنا أيضًا؟ لابد أنك ستتصل بها وتغير ترتيبات الرحلة."

ونظر لي فتحي وقد استشاط غضبًا: "ما بالك يا أستاذ؟ ثم لماذا تفترض أصلاً أنني أنوي تغيير ترتيبات الرحلة؟"

وقلت لفتحي محتدًا: "أنا أمنع أي اتصال بينك وبين د. ضحى حتى الصباح، ثم إن رقم هاتفك مكتوب فقط في الجانب الخلفي للبطاقة التي أعطيتها لد. ضحى ولا يوجد كذلك في الجانب الخلفي لبطاقتي."

وخاطبت د. ضحى قائلاً: "أرجو أن نتبادل البطاقات. آخذ أنا بطاقتك وتأخذين أنت بطاقتي."

ومدت د. ضحى يدها ببطاقتها فأخذتها وأعطيتها بطاقتي.

وقال فتحي وكأنه لا يصدق عينيه: "يا أستاذ كل ما حدث أنني نسيت كتابة رقمي خلف بطاقتك. لماذا تتصرف وكأن هناك مؤامرة ضدك؟"

وصرخت في فتحي: "ولماذا تحاول أنت تصوير أفعالي وكأنني مجنون أو مصاب بلوثة أو بنظرية المؤامرة؟"

وتقدمت خطوة من فتحي وتقدم هو خطوة مني وتقدمت د. ضحى خطوة لتقف بيننا وصرخت هي: "انتهى الأمر. ألا تستطيعان أن تكفا عن الشجار للحظة واحدة؟ هو أصلاً لا يوجد أي داعٍ لكي تحدث اتصالات بيننا حتى التاسعة صباحًا. إن شاء الله أنا سأكون في المكان المحدد أمام الحافلة في الساعة التاسعة صباحًا وأنا متعجلة للخروج في هذه الرحلة ولدي في القاهرة الكثير جدًا من الأعمال والمشاوير يجب أن أنجزها حتى التاسعة صباحًا."

ثم قالت محدثة فتحي دون أن تنظر لي: "مع السلامة يا أستاذ فتحي وآسفة على كل ما حدث."

ورد فتحي بلطف: "لم يحدث شيء يا دكتورة. إن شاء الله نتقابل على خير غدًا صباحًا."

واستدارت د. ضحى واتجهت نحو الباب وتبعتها أنا طبعًا. لابد أن أشرح لها موقفي.

أسرعت وراء د. ضحى وناديتها: "د. ضحى. د. ضحى." ولكنها لم تجبني بل أسرعت السير مبتعدة عني وتظاهرت بأنها لم تسمعني ولكني أسرعت الخطى خلفها حتى أدركتها وناديتها وكنت أسير بجانبها: "د. ضحى. د. ضحى."

اضطرت إلى التوقف والتحدث معي وردت ممتعضة: "أفندم."

وقلت لها وقد تعمدت أن تكون لهجتي جادة ومتحفظة: "أنا شاكر للغاية لدفاعك عن خروجي في الرحلة. أنا مسرور منك وقد قررت أن أكافئك وأغذيكي."

وردت بدهشة لا مبرر لها: "ماذا؟"

قلت لها: "هناك مطعم جيد للغاية قريب من هنا، وأنا أدعوك للغذاء فيه."

وردت ضحى وقد بدت عليها الدهشة الشديدة: "للأسف يا سيد."

وقلت لها: "اسمي ماجد سليم."

وردت: "للأسف يا سيد ماجد. أنا مشغولة وليس لدي وقت للذهاب للمطاعم."

وقلت لها: "إذن فهل يمكنني أن أحصل على عنوانك كي أرسل لك الوجبة."

وردت مصعوقة: "أية وجبة."

ورددت بمنطقية: "وجبة الغذاء."

وردت ساخرة: "التي تكافئني بها."

ورددت بجدية: "نعم. أنت تستحقينها فعلاً."

وردت د. ضحى بنفاذ صبر: "لا حول ولا قوة إلا بالله. آسفة جدًا. أنا لست معتادة على قبول وجبات على حساب أحد ثم إنني متعجلة. من فضلك اتركني الآن."

ولم أيأس بل قلت لها: "إذن فهل يمكنني أن أحصل على رقم هاتفك كي أشرح لك موقفي."

وردت: "أنا لا أعطي رقم هاتفي لأحد."

واستدارت وانطلقت تمشي بسرعة وهذا دفعني إلى التحرك بسرعة خلفها والحديث وأنا أمشي خلفها أحاول أن أجاريها في سرعتها وقلت لها: "طبعًا أنا كنت أريد أن آخذك إلى المطعم كي أشرح لك أنني لم أكن سأخذ مكانك في الرحلة كما طلبت وإنما أنا كنت أضغط عليهم كي يخروجني في الرحلة أنا أيضًا. أنا كنت أنتظر منذ أسبوعين كي يخرجوني في رحلة بلا فائدة. طبعًا. أنت تفهمين أن الضغط ضروري لأن من واجب كل إنسان أن يدافع عن حقه."

وقفت د. ضحى على جانب الطريق وكأنها لا تراني ولا تسمعني محاولة أن توقف تاكسي وحين جلست في التاكسي ظللت أنا ممسكًا بالباب مفتوحًا كي أستمر في شرح موقفي. كان المرور مزدحمًا والسيارات كثيرة أمام التاكسي ولهذا كان التاكسي متوقفًا بالضرورة بسبب توقف المرور وقلت لها وأنا ممسك بالباب الخلفي لسيارة التاكسي مفتوحًا: "صدقيني. أنا لم أكن أنوي أخذ مكانك في الرحلة كما طلبت منهم ذلك. أنا تظاهرت بأنني مستعد لأخذ مكانك كي يراضوني ويجعلوني أذهب مع الرحلة."

وأخيرًا ردت د. ضحى وقالت بلهجة كأنها تنتهي من الأمر بكامله: "لا يهم يا أستاذ ماجد. المهم أن الرحلة ستخرج برضى جميع الأطراف."

وقتها فتح المرور وانطلقت السيارات أمام التاكسي ولكن التاكسي كان يقف في منتصف الشارع وتراكمت سيارات خلفه وهو متوقف وبدأت السيارات خلفه تطلق نفيرها وبدأ السائق يرمقني بنظرات أقل ما يُقال عنها أنها نارية وقال سائق التاكسي بصوت عالٍ: "يا حاج."

والتفت إلى السائق الذي قال: "من فضلك أغلق باب التاكسي."

ورددت عليه: "أنا فقط كنت أشرح موقفي للدكتورة." والتفت لها وسألتها: "بالمناسبة ما هو تخصصك يا دكتورة؟"

وقال السائق بغضب وهو يصر على أسنانه: "كف عن هذه الحركات وأغلق الباب."

ورددت عليه باستنكار وبغضب: "أي حركات؟ من فضلك كف أنت عن تلميحك بأنني أغازلها. أنا زميلها وأحاول التعرف عليها."

وتعالت أصوات النفير خلف التاكسي ولهذا تحدث سائق التاكسي بأسلوب أكثر تهذيبًا وقال: "أرجوك. أغلق الباب كي نستطيع أن ننطلق."

وقلت لد. ضحى: "حسنًا. لنتعارف غدًا صباحًا حين نتقابل في التاسعة. في أمان الله."

أغلق ماجد باب التاكسي واستدار ليعبر الشارع إلى الرصيف بينما قال سائق التاكسي وهو يصر على أسنانه: "أعوذ بالله. رجل رذل."

نزلت في صباح اليوم التالي من التاكسي وأنا أجر حقيبتي في المكان المحدد لوصول الأتوبيس. كانت الساعة التاسعة تمامًا وكان من المقرر أن يأتي الأتوبيس في التاسعة. ونظرت أمامي وعلى الجانب الأخر كانت هناك سيارة تاكسي أخرى تقف ونزلت منها د. ضحى وسرعان ما عبرت الشارع وهي تحمل حقيبتها وكانت حقيبة صغيرة.

وبمجرد أن واجهتني ابتسمت وشجعني هذا فمددت لها يدي مصافحًا وسألتها: "د. ضحى. ما هو إسمي؟"

وسرعان ما اتسعت ابتسامتها وقالت: "أهلاً يا أستاذ ماجد سليم. ما هي أخبار حضرتك؟"

وقلت لها: "الحمد لله. إنها لصدفة سعيدة أن نصل معًا إلى نفس المكان في نفس الوقت. سيارة التاكسي التي كنت أستقلها أنزلتني لتوها في هذا المكان وسرعان ما رأيت سيارة التاكسي الخاصة بك تتوقف وأنت تنزلين منها في الجانب المقابل من الشارع. صدفة بديعة."

وردت د. ضحى وهي تنظر حولها: "من المفروض أن تصل الحافلة في التاسعة. الساعة الآن حوالي التاسعة وخمس دقائق تقريبًا. هل تأخرت الحافلة قليلاً؟"

قلت لها: "بالطبع من الواضح أن الحافلة قد تأخرت حوالي خمس إلى عشر دقائق حتى الآن. أنا منذ البداية لم أكن مرتاحًا لذلك الشاب مشرف الرحلة. يبدو عليه أنه متسيب وحين يكون مشرف الرحلة غير منضبط تكون مواعيد الرحلة بالكامل غير منضبطة. إسأليني أنا فأنا لدي خبرة كبيرة في الرحلات."

وردت د. ضحى: هناك حافلة صغيرة هناك. هل تظن أن هذه هي حافلتنا."

وكنت أنا طبعًا أتوقع حافلة كبيرة ذات وسائد هوائية ومساعدات قوية ومكيفة بالكامل وهالتني هذه الحافلة الصغيرة التي كانت تبدو كأتوبيسات الضواحي. وقلت لها: "بالطبع لا. لا يمكن أن تكون هذه هي حافلتنا. الرحلة حتى الصعيد ستستغرق الكثير من الوقت وليس من المعقول أن نجلس طوال الرحلة في هذه الحافلة التي تبدو بحالة سيئة للغاية."

ومن بعيد هالني أنني رأيت فتحي مشرف رحلتنا يتعلق بباب الحافلة الصغيرة التي كانت د. ضحى تنظر إليها. بدأ فتحي يشير للسائق بالعودة بالحافلة إلى الخلف كي يصل إلينا.

وصت إلينا الحافلة الصغيرة وفتحي يقف على السلالم الخارجية لها.

وقال فتحي: "أهلاً يا د. ضحى ويا أستاذ ماجد."

ومد فتحي يده ليأخذ حقيبة سفر د. ضحى وقال لها: "سأخذ الحقيبة وأضعها على الشبكة الحديدية العلوية فوق الحافلة مع بقية حقائب الركاب."

وهالني أن د. ضحى تتحدث معه بشكل طبيعي دون أن تعترض وقالت: "كلا. هذه حقيبة صغيرة سأضعها تحت مقعدي في الحافلة ولن تضايقني."

وصرخت أنا مستنكرًا ما يحدث قائلاً لفتحي: "ليس من المعقول أن تجعلونا نركب في هذا الشيء. مع هذه البداية ستكون الرحلة كارثية. أنا غير موافق. الرحلة في حافلة كهذه ستكون طويلة وشاقة للغاية."

ونظرت إلى الأعلى فوجدت وجوهًا بيضاء وشعرًا أشقر. إنهم السائحون الذين تحدث عنهم فتحي قبل ذلك بأنهم سيكونون جزءًا من الرحلة وصرخت في فتحي: "هل أحضرتم هؤلاء السائحين من بلادهم ليركبوا في ميكروباص حقير كهذا، وكي تضعوا حقائب

سفرهم على شبكة فوق الميكروباص. أنتم مجانين. آخر ما يمكنكم أن تفعلوه بهذه الحافلة الحقيرة هي أن تؤجروها بالنفر بين المحافظات وتحصلوا على أجر عن كل راكب بالنفر وليس أن يركب فيها سائحون أجانب من القاهرة وحتى الصعيد. ماذا سيقول السائحون لأهليهم وأصدقاءهم حين يعودون إلى بلادهم. أنا أصر الآن أن نعود لمقر الشركة ثانية ونركب حافلة مكيفة الهواء وإلا فلن أخرج في هذه الرحلة."

ورد فتحي وهو مبتسم وسعيد وبدا وكأنه يستمتع فعلاً بوقته ولا أعرف لماذا بدا لي أنه كان يتوقع رد فعلي هذا وأنه كان يعول عليه وقال: "إفعل ما يروقك يا أستاذ. جميع المشتركين الأخرين في هذه الرحلة قد ركبوا الحافلة بالفعل ووضعوا حقائبهم على الشبكة أعلى الحافلة ولم يعترض منهم أحد. أنت تريد ألا تذهب في هذه الرحلة. الأمر متروك لك. عد اليوم إلى بيتك وأعدك أن تذهب إلى أسوان في أول رحلة تخصص لها الشركة حافلة كبيرة."

توقفت لحظة أفكر وكان أخوف الأشياء إلي وقتها أن أعود إلى القاهرة وأن أواجه وحدتي ويأسي وكوم الأطباق المتراكم في حوض المطبخ. كانت ابتسامة فتحي السمجة تتحداني وقلت له: "كلا. أنا رجل عنيد وسأذهب في هذه الرحلة. اصعد إلى الشبكة وقم بتثبيت حقيبتي عليها وربطها جيدًا وسأراقب ما تفعله. أنا وطنت نفسي على أن أذهب في هذه الرحلة وسأذهب فيها."

ووقفت أنظر إلى فتحي وقد تسلق سلمًا على جانب الحافلة وحمل حقيبتي وربطها وثبتها جيدًا في الشبكة فوق الحافلة وسائق الحافلة يساعده في ذلك وأنا أنظر إلى فتحي. لقد سأمت تلاعبه بي ولكن الأمور بخواتيمها."

ونزل فتحي ووقف أمام باب الحافلة على الرصيف وأشار لي كي أدخل وسألته وأنا أصر على أسناني من الغيظ: "هل هذه الحافلة مكيفة؟"

ورد فتحي وهو يشير بكفه بجانبها ويهزها ليقول إنها وسط وقال: "ربما كانت تعتبر نصف مكيفة أو شيء كهذا."

ونظرت له بغيظ دفين وصعدت إلى الحافلة.

كنت أمني نفسي بالجلوس إلى جوار د. ضحى والتعرف عليها ولكنني حين صعدت إلى الحافلة وجدتها جالسة في المقعد الأول خلف السائق وبجوارها سيدة تبدو في الخمسين من عمرها. كانت د. ضحى تمسك بيدها كتابًا تقرأ فيه بينما كان السيدة الخمسينية تقرأ أحد الجرائد.

نظرت داخل الحافلة ولم أجد أي مكان شاغر فيما عدا مكان محشور مع ثلاثة ركاب أخرين في المقعد الخلفي العريض في آخر الحافلة. بدأت هذه الرحلة تبدو ككابوس. كل شيء فيها خطأ ولم أصدق أنني دفعت حوالي خمسة آلاف جنيه مصري كي أجلس حتى أسوان في معقد محشور في آخر هذه الحافلة الحقيرة.

وصرخت في فتحي الذي كان مبتسمًا ويبدو سعيدًا للغاية: "ما هذا؟ المكان الوحيد الخالي هو في الأريكة الخلفية في آخر الحافلة؟"

ورد فتحي وقد بدأ يظهر تبرمه ويتظاهر بأنه متضايق من كثرة اعتراضي على الرغم من أنه كان يبتسم منتصرًا منذ لحظة فقط: "للأسف يا أستاذ ماجد. هذا المكان كان مخصصًا للمساعد الخاص بي وأنت أصررت على أن تحل محله. هذا هو المكان الوحيد المتاح."

وقلت بانفعال: "ولكن هذا ليس عدلاً. لقد جئت في الميعاد المحدد لوصول الحافلة حتى أحجز لنفسي مكانًا جيدًا وكان المفروض أنها

حافلة كبيرة ومكيفة. المفروض أن تأتي الحافلة لتقف في المكان المحدد لها خالية ويتم ملئها بأولوية الوصول. أما هكذا فالحافلة قد جائت ملئى وكل مقاعدها مشغولة."

وقال فتحي متبرمًا: "يا أستاذ ماجد. حرام عليك. المسألة وما فيها أن هؤلاء السائحين كانوا كلهم ينزلون في نفس الفندق في منطقة وسط البلد وهذا هو أول أسبوع لهم في مصر فخفنا لو أعطيناهم العنوان وتركناهم يحضرون بمعرفتهم أن يتوهوا أو يتأخروا عن الحضور إلى الحافلة ولهذا مررنا عليهم بالحافلة وأخذناهم من الفندق الذي ينزلون به. المصريون الأخرون المشتركون في الرحلة كذلك يقيمون في منطقة وسط البلد ولهذا طلبنا منهم الانتظار أمام فرع الشركة في وسط البلد ومررنا عليهم وأخذناهم في طريقنا. أنت ود. ضحى فقط لا تقيمون في منطقة وسط البلد ولهذا أتينا لكم على مدينة نصر بشكل مخصوص. والآن ما هي مشكلتك؟"

رددت عليه: "ستجعلونني أركب ميكروباص حقير من ذلك النوع المخصص لركاب الضواحي وحقيبتي على الشبكة العلوية وكذلك سأجلس طوال الرحلة على الأريكة الخلفية في هذا الميكروباص ولازلت لا تدرك ما هي مشكلتي. مشكلتي أن ترتيبات الرحلة لا تتناسب بالمرة مع المبلغ الذي دفعته للذهاب فيها."

ورد فتحي: "من البداية أصلاً لم يكن من المفروض أن تذهب حضرتك في هذه الرحلة. أهم شيء لدى شركتنا هو رضا العميل."

ورفع فتحي يده أمامي كي يسكتني حين رأى ابتسامتي الساخرة وقال: "نعم. أهم شيء لدينا هو رضا العميل. لو أنك انسحبت الآن فسوف نجعلك تخرج في أول رحلة سياحية تنظمها الشركة بعد ذلك ووقتها ستكون الحافلة المخصصة للرحلة كبيرة ومكيفة تمامًا. أما هذه المجموعة وأشار إلى الركاب فهم راضين بترتيبات الرحلة لأنهم متعجلين وطلبوا أن تخرج الرحلة بأية ترتيبات نستطيع

تدبيرها في الوقت القصير المتاح لنا ولكنهم طلبوا أن تخرج الرحلة بأسرع ما يمكن. أسألهم حضرتك إن كنت لا تصدقني."

نظرت حولي ووجدت سبعة أجانب يجلس ثلاثة منهم في المقعد الخلفي وثلاثة في مقاعد فردية على اليسار وواحد خلف المرأة الجالسة بجانب د. ضحى. طبعًا أنا أجيد الانجليزية كبقية المصريين ولكنني استبعدت الأجانب فورًا، فعادة ما يتصرف السائحون الأجانب كالنعاج. هم يخافون وعادة لا يعترضون، ولهذا تحولت إلى المصريين وكانوا خمسة. د. ضحى والمرأة بجانبها وثلاثة رجال يجلسون على مقعدين ثنائيين أحدهما وراء الأخر خلف د. ضحى والمرأة الجالسة بجانبها، ولاحظت طبعًا أنه لا يوجد أحد من المصريين يجلس على الأريكة الخلفية التي كان من المفروض أن يجلس عليها أربعة أفراد. ومع ذلك تحدثت إلى المصريين وقلت لهم: "الآن يا جماعة. نحن في مركب واحد. هل أنتم راضين عن سفركم في هذه الحافلة؟"

لم ترد د. ضحى ولم ترد المراة بجانب د. ضحى بل تحدث أحد الرجلين الجالسين على الكرسيين الأخيرين قبل الأريكة الخلفية وقال: "نعم. حضرتك. أنا شخصيًا نزلت إلى مصر في أجازة قصيرة وأنا متعجل للذهاب إلى أسوان في رحلة، ولهذا فأنا راض عن هذه الترتيبات. قد لا أكون سعيدًا بها ولكني راض. المهم أن يكون الفندق في أسوان جيدًا وأن نزور الأماكن الأثرية ونستمتع بالمكان أما الحافلة فمسألة لن تستغرق سوى بضع ساعات وسنتحملها كيفما كانت."

ورد الرجل الجالس بجواره: "لو أن حضرتك مقيم في مصر وغير متعجل، فالأفضل أن تنتظر حضرتك لفترة وتخرج في رحلة تريحك أكثر من هذه."

وتعجبت من هذين الرجلين. لماذا يدافعان عن سفرهما في هذه الحافلة الحقيرة بهذه القوة. بعض الناس لهم آراء غريبة جدًا، وعادة ما يظهرون لك وأنت تناقش نقاشًا منطقيًا لتبدو أنت لا هم الشخص الغريب. وقلت لهما: "ولماذا أصلاً لا تخرج لنا الشركة حافلة كبيرة ومكيفة؟ لماذا هذه الاستهانة بنا؟ نحن لم ندفع مبلغًا صغيرًا؟؟"

ورد فتحي: "حضرتك تعرف أن هذا الوقت هو موسم سياحة. معظم حافلات الشركة قد خرجت في رحلات مع مجموعات كبيرة ذاهبة إلى الغردقة أو شرم الشيخ. المجموعة الذاهبة إلى أسوان هي كما ترى حضرتك، مجموعة صغيرة، وقد قررنا أن نستخدم هذه الحافلة الصغيرة تجاوزًا وعلى العموم حضرتك مقيم في القاهرة ولو انتظرت فستكون هناك رحلة ترتيباتها أفضل بكثيرخلال أسبوعين أو نحو أسبوعين من الآن."

ونفخت متبرمًا وذهبت وجلست في الأريكة الخلفية للحافلة وسط ثلاثة رجال أخرين وكان هذا ايذانًا بذهابي في هذه الرحلة التي كنت أشعر في داخلي بقوة أنها ستكون بالتأكيد "غير مريحة."

ماجد يحكي

جلست في المقعد الخلفي للحافلة وعلى جانبي ثلاثة شبان أجانب. أحدهم كان نائمًا والأخر يقرأ في كتاب والثالث في حالة ملل كما يبدو. قدمت نفسي له وقدم نفسه لي وسكت. لم يبد عليه أنه يريد أن يزيد من معرفته بي. قدرت أنني سأتواصل معه في وقت لاحق، وركزت على المصريين الجالسين أمامي. عادة ما أخرج في رحلات كهذه التي أخرج فيها لأكون صداقات تستمر طوال الرحلة مع رجال غير متزوجين مثلي أو مع عائلات ودودة وعادة ما أخرج معهم وأكل معهم وأقضي وقتًا جيدًا مع أصدقائي الجدد في الرحلة.

هذه الرحلة لم يكن بها سوى رجلان مصريان ويبدو أن معهما رجل أخر أجنبي. كان العدد المتاح لتكوين صداقات محدودًا ولكنني قررت أن أحاول تكوين صداقات وأن أتحدث معهم بشكل مستفيض على شكل دردشة يعني وذلك لتمضية الوقت بشكل أساسي، فجلوس المرء بمفرده لساعات طويلة في هذه الحافلة لن يكون شيئًا مستحبًا، ولهذا بادرت بالحديث مع الرجلين الجالسين أمامي وبدأت بتحيتهما:

قلت لهما: "صباح الخير."

لم يرد أيًا منهما.

ولكني لم أيأس بل هززت الرجل الجالس أمامي مباشرة وقلت له: "صباح الخير، ما هو اسم الكريم؟" وعنيت بذلك اسمه بالطبع.

ورد الرجل بامتعاض: "صباح النور. اسمي نبيل."

توقعت أن يسألني عن اسمي ولكنه لم يفعل.

ومع ذلك، قررت أن أستمر في الحديث إليهما فسألت الرجل عنه وعن جاره في المقعد: "هل خرجتما في هذه الرحلة معًا؟"

وسألني نبيل: "من تقصد بأننا خرجنا في هذه الرحلة معًا؟"

قلت له: "أعني هل أنتما متعارفان قبل الرحلة أم تعرفتما على بعضكما البعض في هذه الحافلة؟"

ورد نبيل: "من تعني بأننا متعارفين؟"

قلت له: "أنت وجارك في المقعد. لقد كنتما تتحدثان بينكما عندما ركبت الحافلة؟"

ورد نبيل: "كلا. لقد تعرفنا لتونا في الحافلة، ثم لماذا تريد أن تعرف وماذا يفيدك أو يضيرك إن كنا تعارفنا خارج الحافلة أو في الحافلة؟"

وشرحت له الأمر: "لاشيء بالمرة. أنا دائمًا أذهب في رحلات كهذه وأتعرف على أشخاص محترمين مثل حضراتكما وأصبح واحدًا من مجموعتهم بمعنى أننا نتنزه سويًا ونتحدث سويًا ونتصاحب طوال الرحلة وهذا طبعًا يخلق جوًا من المؤانسة ويجعل الرحلة أكثر امتاعًا. أنا اسمي ماجد سليم. ما هو اسم الأخ الجالس إلى جوارك؟"

ورد الرجل الثاني بتأفف واضح: "اسمي محيي الدين."

فقلت له: "طبعًا أنا لا أود أن أتطفل ولكني لاحظت أنكما تعرفان الخواجه الجالس أمامكما. أرجو أن أتشرف بمعرفة اسمه."

ورد الخواجة بالعربية وبعدائية وكأنني أهينه: "اسمي كليف، وأنا أعرف العربية جيدًا ولهذا فأنا لست خواجه."

وقلت له مبتسمًا وأنا أحاول أن أزيل أي تلميح للاساءة من كلامي وأن أظهر الود بقدر الامكان: "أولاً: أهنئك على حسن معرفتك باللغة العربية وحديثك الطلق بها وهذا سيساعد بلا شك في التواصل بيننا. ثانيًا: أنا لم أقصد الاساءة. خواجة لا تعني شيئًا سيئًا وإنما تعني فقط شخصًا ليس مصريًا."

ورد كليف هذا بنفس العدائية: "كلا. خواجة تعني أن المرء لا يحسن الحديث بالعربية بدليل أنه عندما كان اليهود المصريون يعيشون في مصر كانوا مصريين جنسية ونشأة ومع ذلك كان الناس يلقبونهم بالخواجة لأنهم لم يكونوا في البداية على الأقل يحسنون الحديث بالعربية. أنا أحسن الحديث بالعربية، وبهذا فأنا لست خواجة."

ما الذي أتى باليهود في حديث كهذا، ولماذا اليهود بالذات؟ ولماذا لم يكونوا يجيدون الحديث بالعربية إن كانوا مصريين جنسية ونشأة. المهم، كنت لا أزال أريد أن أتعرف على هؤلاء الثلاثة.

وسألته: "ومن أي البلاد أتيت أصلاً؟"

وسألني بنفس درجة العدائية: "وما شأنك أنت من أي البلاد أتيت أنا؟"

ورددت بشكل هاديء كي أهديء من درجة عدائيته: "الأمر عادي. أنا فقط أحب أن استكمل تعارفي معك."

ورد كليف: "أنا اصلاً من خارج مصر. هل ارتحت حضرتك؟"

ورددت عليه وقد بدأت أشعر بصده لي: "ارتحت جدًا. لماذا حضرتك عدواني إلى هذه الدرجة؟"

ورد كليف: "من فضلك. هذا الأمر يخصني ولا يخصك."

على الجانب الآخر، كان من الواضح أن دكتورة ضحى والمرأة الجالسة بجانبها كانتا قد تعارفتا ويبدو أن العلاقة كانت تسير بينهما على خير ما يرام.

ضحى تحكي:

عندما رأيت أتوبيس الرحلة شعرت بخيبة الأمل الشديدة وسرعان ما عبر عن خيبة أملي الأستاذ/ ماجد، ورغم أنني قد قدرت أنه غريب الأطوار على أقل تقدير وأنه نزوع جدًا إلى الشجار بشكل مبالغ فيه، إلا أنني في هذه المرة رأيت أن معه حق تمامًا. كان أقل ما يمكن قوله عن هذا الأتوبيس الصغير هو ما قاله عنه الأستاذ ماجد وهو أنه لا يصلح إلا للتأجير بالنفر كأتوبيس ريفي يعمل بين

القرى ووقتها يكون حظ سكان القرى شديد السوء، ولكن جميع من حولي كانوا يتصرفون وكأن هذا الأتوبيس عادي، ولهذا قدرت أنني ربما تأثرت بالإعتراضات الكثيرة جدًا التي يعبر عنها الأستاذ/ ماجد وكما يفعل كل من حولي أخفيت خيبة أملي وسكت ولكني طبعًا تعجبت كثيرًا لدفاع بعض الركاب عن ذلك الأتوبيس الكارثي.

وسرعان ما لفتت نظري جارتي في المقعد. كانت أمرأة خمسينية طويلة تبدو عليها القوة وممتلئة الجسم قليلاً وكانت تحمل نسخة ورقية من جريدة US Today أي أنها كانت تقرأ بالإنجليزية. استغربت ذلك، ووقتها قدرت أنها ربما كان من الأنفع لها أن تمسك بنسخة من إحدى الجرائد المصرية الشائعة فلابد أن ما ستعرفه عن مصر هو أكثر أهمية بالنسبة لها إلا لو كانت تعيش في الولايات المتحدة الأمريكية ونزلت لتقضي إجازتها في مصر مثلي.

وسرعان ما فتحت تلك المرأة حقيبة متوسطة الحجم كانت تضعها على الأرض تحت الكرسي الذي نجلس عليه وبدأت تنظر داخلها وأخرجت سندوتشات داخل أكياس وفتحت إحدى الأكياس، وعلى الرغم من أنني أفطرت في صباح ذلك اليوم وكنت أحمل أنا كذلك سندوتشات في حقيبة يدي إلا أن رائحة الدجاج الرائعة المشهية المنبعثة من سندوتشاتها جعلتني أشعر بالرغبة في تناول الطعام مجددًا.

وسرعان ما التفتت لي المرأة ومدت يدها إلي بإحدى سندوتشات الدجاج التي كانت رائحتها لا تقاوم، وقالت: "تفضلي يا حبيبتي. أنا معي سندوتشات جبن وكبد وفول ودجاج، ولكن الدجاج هو تخصص أصيل بالنسبة لي. أنا أصنع سندوتشات الدجاج بالخيار المخلل والمايونيز بشكل رائع وكل من أعرفهم يطلبون مني إعداد

مثل هذه السندوتشات لهم. أرجوك، لا تردي يدي. لو كنت لا تحبين الدجاج فقولي ذلك، ويمكنك وقتها أن تتناولي سندوتش من نوع أخر. أنا أصنع سندوتشات كبد بالبهارات من نوع كبد اسكندراني بشكل Professional. كذلك فإن الفول الذي أصنعه بالطرشي المطحون وطعمه لا يقاوم، ولن أحدثك عن سندوتشات الجبن الخاصة بي وروعتها. خلاصة القول أنني لن أسمح بعدم تناول سندوتشاتي. أنا وأنت زميلتان في رحلة طويلة ومثل هذه الرحلات تتطلب المؤانسة والمشاركة. شعار الاستقلال التام لا يناسب مثل هذه الرحلات بالمرة."

وطبعًا، بالإضافة إلى كون الرائحة لا تقاوم، لا يصح في العرف المصري أن يُعرض على المرء طعام من شخص من نفس جنسه في رحلة ويرفض تلك الدعوة وإلا فإن معنى ذلك هو رفض صداقة الشخص الذي يعرض الطعام.

ولكني قلت لها: شكرًا، ولكن أنا كذلك معي سندوتشات، فعندما أخرج أنا كذلك في رحلات كهذه عادة ما يكون معي ما يكفيني من طعام وماء ومشروبات. أنا معي كل شيء أحتاجه. شكرًا على الدعوة على أي حال. اسمي ضحى الخطيب وأنا أستاذ جامعية مغتربة أعمل في ألمانيا ولكني كثيرًا ما آتي إلى مصر في الشتاء."

وردت المرأة: "وأنا إسمي سلوى وأحمل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع. كنت أعمل في جامعة القاهرة ولكني حاليًا أعمل في إحدى الجامعات الخاصة وهي جامعة صغيرة تم انشاؤها مؤخرًا."

وابتسمت وأنا أقول لها: "تشرفنا جدًا"

ومدت المرأة يدها بالسندوتش مجددًا، وقالت: "التعارف بدون طعام من هذا النوع لا يناسبني. لابد أن تجربي سندويتشاتي. هيا لا تردي يدي."

وطبعًا فعلت ما كنت أرغب في فعله منذ البداية. مددت يدي وأخذت منها السندويتش وبدأت في أكله أمامها. كان طعمه لذيذًا جدًا. كثيرًا ما أقابل سيدات عاديات يستحق طعامهن جائزة "الشيف المثالي" ومن الواضح أن دكتورة سلوى كانت من هذا النوع من السيدات.

ويبدو أن تعبيرات وجهي التي تدل على استمتاعي بطعم السندوتش قد أرضت جارتي في المقعد، فقد ابتسمت دكتورة سلوى وهزت رأسها برضا وكأنها تقول: "ألم أقل لك. قد أعجبك طبعًا."

ومددت أنا يدي إليها بسندويتش من صنعي. كان سندويتش لسان وكنت أجيد صنعه، ولم تتردد دكتورة سلوى فقد أخذت مني السندوتش ولكنها لم تتناوله فورًا بل وضعته في حقيبتها.

وبما أننا قد تعارفنا، فقد بدأت دكتورة سلوى كعادة السيدات المصريات في نفس سنها التحدث مباشرة عن حياتي الخاصة، وقالت: "يدك ليس بها أي خواتم. أرجح أنك غير متزوجة يا حبيبتي."

وأجبتها ضاحكة: "أنا متزوجة وغير متزوجة في نفس الوقت. تستطيعين أن تعتبري أنني قد تزوجت عملي منذ وقت طويل وعلاقة الزواج هذه تناسبني تمامًا."

وردت دكتورة سلوى متعجبة: "كيف هذا يا حبيبتي؟ إن لم تكن دكتورة مثلك شابة ومتعلمة وجميلة قد تزوجت، فمن الذي يجب أن

يتزوج. أنا مقتنعة أن الرجال في هذه الأيام قد أصيبوا في أبصارهم. لم يعودوا يرون مطلقًا."

وضحكت أنا على ما تضمنه حديثها من إطراء واضح وقلت لها: "ربنا يخليكي."

وبدأت دكتورة سلوى في الحديث بلا تحفظ كعادة السيدات المصريات في لقاءات كهذه، حيث يتحدثن بحرية دلالة على أنه ليس لديهن ما يخفينه، وقالت دكتورة سلوى: "أنا لدي ابنتان. إحداهما مهندسة والأخرى طبيبة. الأولى المهندسة لديها شركتها الخاصة فقد أعطيتها أنا بعض المال منذ سنوات كي تشارك بعض زميلاتها في إنشاء شركة صغيرة تقوم بأعمال هندسية محدودة وقد توسعت أعمال شركتها. وابنتي هذه أنا لا أقلق عليها البتة، فهي عملية وتعرف مصلحتها وهناك شاب مهتم بها وهذا الشاب أهله أغنياء وأتوقع أن تتزوج قريبًا."

وهززت أنا رأسي وقلت لها: "الحمد لله رب العالمين. من الأشياء الجيدة أن يكون للمرأة إبنة لا تقلق عليها."

وهزت دكتورة سلوى رأسها كما لو كان الأمر لم ينتهي عند هذا الحد وقالت وهي تظهر ضيقها: "أما ابنتي الطبيبة فهي مشكلة حياتي. أنهت الماجستير وبدأت في الإعداد لرسالة الدكتوراه، وهي تعمل في مستشفى حكومي وما يعطونه لها من مال لا يكفي حتى لمواصلاتها. هي تأخذ مني مصروفًا كما كانت تفعل حين كانت طالبة جامعية، ولا يبدو أن لمشوارها نهاية. هي تؤمن أن الطب رسالة وتقول أنها تريد أن تؤجل الزواج حتى تنهي كل دراساتها

ولا اظن أنه سيكون معها أبدًا مال لتعتمد على نفسها وبالطريقة التي تسير بها حياتها لا أظن أنها ستتزوج أبدًا."

كنت أستغرب طبعًا حديث دكتورة سلوى عن ابنتيها بهذا الشكل لإمرأة غريبة تمامًا عنها فهي لا تعرف عني أي شيء ولكنها قد بدأت تعرفني بأدق جوانب حياتها، ولكني قلت لها: "لا تقلقي على هذا الأمر. في النهاية ستتزوج وتجد عملاً بأجر معقول إن شاء الله. وفقها الله سبحانه وتعالى."

وردت دكتورة سلوى: "أنا أدعو الله أن تجد عملاً أفضل في القطاع الخاص وترتبط بأحد زملاءها بسرعة. أنا أريد أن أتفرغ لنفسي. هناك رجل قد تعرفت عليه وقد تقدم للزواج مني ولكني اؤجل كل شيء حتى تتزوج ابنتاي. الأولى أظن أنها ستتزوج خلال سنتين كحد أقصى أما الثانية فتردد بحماقة أنها قد تبقى طول عمرها بلا زواج. وفي الحقيقة بهذه الطريقة التي تعيش بها فلا أظن أنني سأنتظرها حتى تتزوج. سأقدم على خطوة الزواج وأترك لها الشقة وأذهب للعيش في بيت الزوج، ولكني أؤجل هذه الخطوة حتى تتزوج ابنتي الكبرى.

وعندما رأت تلك المرأة نظرة الاندهاش في عيني قالت: "نعم. أنا أيضًا أريد أن أعيش. بعدما تتزوجان ستذهب كل منهما إلى بيتها، وفي النهاية سأظل وحيدة وإذا تقدم بي العمر أكثر من ذلك فقد لا يرغب في أحد وهذا العريس الجديد ميسور الحال ولديه فيلا أنيقة ويسافر كثيرًا إلى الخارج أي أنه فرصة بالنسبة لي لا يمكنني التمنع عليها لوقت طويل وإلا فسيبحث عن زوجة أخرى."

الفصل الرابع: استراحة السفر:

ماجد يحكي

استمرت الحافلة تسير لمدة حوالي أربع ساعات وعلى الرغم من أن المكان غير مناسب حتى للجلوس ناهيك عن النوم، فقد أسندت رأسي .. رأسي فقط، لأنه لم يكن هناك متسع يكفي كي أسند ظهري على ظهر المقعد ورحت في سبات متقطع استيقظ فيه متعبًا ومتوترًا مع كل مطب وما أكثر المطبات على ذلك الطريق.

استيقظت حين قللت الحافلة الصغيرة من سرعتها كي تدور وتدخل إلى الطريق الترابي لمسافة عدة كيلومترات وتوقفت الحافلة بعدها أمام استراحة، وطبعًا كلمة استراحة هذه استعارة مكنية كأن تقول أن الفتى كالأسد الهصور كناية عن الشجاعة وطبعًا الفتى لن يكون أبدًا أسدًا وما توقفنا عنده لن تكون أبدًا استراحة فلم يكن بها ما يريح، ولكنها كانت شيئًا بائسًا فقيرًا قذرًا يمكن مع الكثير من الخيال والكثير من الاحساس بالمغص أن تتخيل أنك قد تستريح فيه.

وطبعًا بما أنني قد اعترضت على كل شيء قبل ذلك، فلم تعد لدي رفاهية الاعتراض على الاستراحة وإلا لتركوني عندها وانطلقوا وحدهم إلى أسوان خاصة أنه يخيل لي أنه قد أصبح هناك رأي عام ضدي داخل الحافلة.

وأمسك فتحي بالميكروفون وقال: "سيداتي. سادتي. يوم سعيد. لقد توقفنا عند هذه الاستراحة"، وأشار إليها كي يعرف الجميع أنها استراحة. وطبعًا يمكن للأشخاص غير سليمي النية من أمثالي الزعم بأنه قد فعل ذلك لأن المكان أصلاً لا يصلح كاستراحة ولهذا يجب أن يُشار إليه بكلمة استراحة ليعرف الجميع أنه استراحة وإلا فلن يعرفوا ذلك من تلقاء أنفسهم أبدًا، ولكن ما علينا. استمر فتحي في حديثه وقال: "من يصلي منكم سيجد مسجدًا صغيرًا به مصلى صغير للنساء خلف الكافيتريا الموجودة أمامكم. من يريد منكم أن

يدخل إلى الحمام فهناك حمام داخل الاستراحة وهناك حمام أخر بالمسجد. انزلوا وحركوا أرجلكم فسنبقى بعدها ساعات داخل الحافلة قبل الاستراحة التالية. لديكم ساعة للاستراحة وصلاة الظهر لمن يريد وسننطلق في الساعة الثانية والنصف.

ثم قال بالانجليزية: " Ladies and gentlemen, this is a rest house. The bus will stop here for a break for about an hour. Please, return to the bus before two thirty. Thank you very much."

ذهبت لصلاة الظهر في المسجد وصليت العصر مع الظهر جمعًا وقصرًا وبينما أنا خارج من المسجد وجدت د. ضحى ومعها تلك المرأة التي كانت تجلس بجوارها في مقعد الأتوبيس تخرجان معًا من مصلى السيدات.

ذهبت إلى ذلك الشيء المسمى "كافيتريا" ظلمًا وعدوانًا. وجلست على إحدى الطاولات المصنوعة من البامبو على كراسي من البامبو مغطاة بمساند قذرة ممزقة. ما يثير قرفي في مثل هذه الأوقات هو ما يتفق مع قول المتنبي "ولم أر في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام،" فمع بعض العناية يمكن تجميل هذا البامبو وتنظيفه وإعادة تنجيد المساند وخياطتها بشكل جيد بحيث لا تخرج محتوياتها القطنية من بعض الفتحات في الخياطة، ويمكن كذلك تنظيف البلاط الموجود، وهو بلاط جيد بالمناسبة وليس مكسرًا ولكنه قذر للغاية، وبمجرد تنظيف البلاط وبعض الأسطح في هذه الكافيتريا ستختفي أسراب الذباب التي تقف على كل الأسطح هنا، ولن يكلف هذا كله الكثير من المال بل يمكن أن يقوم به مالك المكان وأسرته بأنفسهم، ولا أفهم لماذا لا يفعلون ذلك؟

طبعًا أنا أخر شخص يمكن أن يتحدث على النظافة ولكني شخص غير متزوج وأنا حر في المساحة التي أسكن فيها، أما هذا المكان

فهو محل أكل عيش. مالكوا الكافيتريا هذه يخدمون الناس والناس يستحقون أفضل ما يمكنك أن تقدمه لهم إذا كنت في مجال تقديم خدمات تتلقى عنها مالاً أو هكذا أظن أنا حين أكون زبونًا. المشكلة الأكبر هي لماذا أحضرونا إلى هذا المكان بالذات. هناك الكثير من الأماكن النظيفة على الطريق، ولكن يبدو أنهم يوفرون المال على حسابنا أو ربما كان السائق وفتحي يحصلان على عمولة ما أو مال ما ليحضرا أتوبيسات الشركة السياحية التي يعملان بها إلى هذا المكان القذر غير عابئين بمصلحة زبائن الشركة ولا سمعتها.

المهم، طلبت ١ شاي وآتاني سائل أسود غطيس داخل كوب ارتشفت منه عدة رشفات ثم آثرت السلامة وتركته بعيدًا عني على طرف الطاولة الأبعد مني يتراكم على حافته الذباب الموجود بكثرة في هذا المكان.

وسرعان ما شممت رائحة سمك مشوي ووجدت الطاولة الخاصة بد. ضحى وتلك المرأة رفيقتها يُفرد عليها مفرش من المشمع النظيف ويوضح عليها صفيحة فويل نظيفة عليها سمك مشوي وبدأت المرأتان في الأكل والمصمصمة، وسمعت رفيقة د. ضحى تقول بصوت عالٍ: "هنا يا حبيبتي السمك المشوي رائع على الرغم من أنه من غيرِ المنصوح بأكل أو شرب أي شيء أخر في هذه الكافيتريا." ونفخت المرأة صدرها في عجب وقالت: "لقد أمرتهم بتنظيف المشمع جيدًا وعدم احضار أطباق بل إحضار فويل يتم التخلص منه بعد الأكل واحضار السمك المشوي ساخنًا ليوضع عليه، وكما ترين السمك ساخن للغاية وهو طازج جدًا." واستمرت المرأتان في انهماكهما في أكل السمك المشوي ويبدو أن أيًا منهما لم تجد في السمك ما يريب.

وأشرت إلى الرجل الذي كان يلبس جلابية غير نظيفة على الإطلاق والذي كان يتحرك حول الموائد وأحضر لي الشاي قبل ذلك ويبدو أنه النادل وطلبت سمك مثل ذلك الذي تنعم به د. ضحى ورفيقتها،

وقلت له بوضوح أنني أريد أن يتم وضع مشمع نظيف للغاية على الطاولة ووضع فويل جديد قوق المشمع ووضع السمك فوق الفويل ولا أريد أن يوضع السمك على أطباق من الموجودة في الكافيتريا ونفحته بعشر جنيهات كرشوة له ليفعل ما طلبته بكفاءة. وآتاني السمك المشوي بعد دقائق وهو يكاد يشتعل من فرط سخونته وطبعًا كنت أنا حصيفًا واستمعت نصيحة تلك المرأة رفيقة د. ضحى وتجاهلت الأطباق والملاعق والسكاكين وأكلت بيدي من فوق الفويل الذي كان السمك موضوعًا عليه، وتجاهلت ذلك الشيء الذي يشبه الطحينه والشيء الأخر الذي كان يشبه السلطة اللذين أتيا مع السمك المشوي. كان هناك شيء يشبه من بعيد الخبز البلدي وهذا تجاهلته أيضًا.

وركزت فقط على السمك المشوي والذي كان يبدو طازجًا وطعمه رائع وبعد ربع ساعة من التركيز الشديد والأكل بسرعة كنت قد قضيت على حوالي كيلوجرام من السمك المشوي الممتع وأسكنته معدتي التي كانت قبل أكله بائسة. ذهبت بعد ذلك وغسلت يدي في الحمام القذر الملحق بما يسمى الكافيتريا.

بعد ذلك نزلت من الكافيتريا متجهًا إلى الأتوبيس الذي كان واقفًا أمام الكافيتريا، والذي يبدو أنه تحرك أثناء تناولي للسمك، وسألت نادل الكافيتريا عن الأتوبيس وأخبرني أنه لابد وأنه قد ذهب ليملأ خزان الوقود بالبنزين في محطة الوقود القريبة.

بعد قليل أتى الأتوبيس وتوقف في المساحة أمام الاستراحة ولكن بعيدًا قليلاً عن الاستراحة، وتم فتح الجزء الخلفي من الأتوبيس ووقف خلف الأتوبيس أمام المحرك الذي يوجد في الجزء الخلفي من الأتوبيس المدعو فتحي متولي مشرف الرحلة وكذلك وقف السائق والرجال الثلاثة نبيل ومحيي الدين وكليف الذين لم أرهم في المنطقة منذ توقف الأتوبيس ويبدو أن الأتوبيس أخذهم في رحلته

إلى محطة الوقود. بعد قليل أتى رجل يبدو من ثيابه المشحمة أنه ميكانيكي وخلفه سار شاب يحمل علبة أدواته.

كان زملاؤنا الأجانب في الرحلة قد نظروا نظرة واحدة إلى "الكافيتريا" في الاستراحة ولم يدخلوها قط بل آثروا الجلوس على تركيب حجري معين ربما كان قد إقامته لغرض ما في السابق ولكن يبدو أن نفعه لذلك الغرض قد انتهى الآن، وذلك التركيب كان مصطبة بجانبها جدار قصير تظلل عليهما تندة حجرية "مظلة" على مسافة قصيرة على جانب الكافيتريا وجلسوا يشربون من زجاجات المياه والمشروبات الغازية ويأكلون من سندوتشات "شطائر" أحضروها معهم.

كذلك أنا لم أر أيًا من الرجال الثلاثة نبيل ومحيي الدين وكليف يتحرك داخل الكافيتريا، وعندما اقتربت منهم بعد ذلك كانوا يقفون خلف الأتوبيس ويتحدثون مع الميكانيكي ومساعده وفتحي ويبدو وكأنهم هم كذلك يفحصون محرك الأتوبيس.

ذهبت أنا أيضًا إلى خلف الأتوبيس لأقف مع الجميع أمام المحرك الموجود في الجزء الخلفي من الأتوبيس وسرعان ما انضمت لنا المرأتان د. ضحى ورفيقتها التي كانت تدعوها د. سلوى.

وتقدمت د. سلوى نحو فتحي وسألته: "ماذا هناك يا فتحي؟"

ورد فتحي بحزن شديد: "للأسف يا دكتوره. لقد ذهبنا لنملأ خزان السيارة بالبنزين من محطة البنزين القريبة من هنا، وهناك تعطل المحرك الخاص بالحافلة. لابد أن هناك مشكلة بالمحرك. للأسف سنضطر إلى أخذ الأتوبيس إلى ورشة التصليح الخاصة بهذا الميكانيكي،" وأشار إلى الميكانيكي الموجود بيننا.

طبعًا كان الجميع متضايقين وكنت أنا أكثرهم ضيقًا، فلا يكفي أنني قد قبلت الخروج في هذه الرحلة بهذا الأتوبيس الصغير غير المكيف

وحقيبة سفري موضوعة على الشبكة أعلاه، وأنا أجلس في الكرسي الخلفي غير المريح بالمرة، فلابد أن يكتمل النكد ويتوقف الأتوبيس عن العمل ونضطر للانتظار في العراء أو داخل هذه الكافيتريا القذرة لساعات إضافية حتى يتم إصلاح الأتوبيس.

وقد أظهرت المرأة المرافقة لد. ضحى والمدعوة د. سلوى قوة شخصيتها حين صرخت في فتحي مشرف الرحلة: "يبدو أن هذه الرحلة هي آخر رحلة سأخرج فيها مع شركتكم يا فتحي. كوننا متعجلين لنخرج في الميعاد الذي يوافق إجازاتنا لا يعني أن تخرجونا في أتوبيس صغير وغير مريح وغير مكيف ثم يتضح بعد ذلك أنه لا يعمل بكفاءة ويتوقف في أول استراحة لنا على الطريق."

وصرخت المرأة بصوت كالصرير: "هذا كثير يا فتحي! أعني كثير كثير. أمامكم من الآن نصف ساعة نجلس فيها في الكافيتريا وتقومون فيها بإصلاح هذا الشيء الهباب." وأشارت د. سلوى إلى الأتوبيس واستكملت حديثها قائلة: "ونستكمل رحلتنا بعد ذلك وإلا فأنتم ملزمون بإحضار أتوبيس كبير مكيف على حساب الشركة، وأنا لا أبالي إن كنتم ستؤجرون ذلك الأتوبيس أو حتى تشترونه. هذه ليست مشكلتنا وهذا هو آخر كلام سأقوله لك."

وقال فتحي بلهجة متوسلة: "لو أن هناك أتوبيس رحلات يتم تأجيره في هذه المنطقة لأجرناه، ولكن المكان مقفر كما ترين حضرتك. ليس هناك أتوبيسات ولا أي شيء أخر. على العموم انتظروا قليلاً في الكافيتريا حتى يتم اصلاح الأتوبيس."

وأردف فتحي بصوت كالعويل: "المشكلة أن هذه المنطقة كذلك ليس بها قطع غيار والورشة الوحيدة الموجودة فيها، كما يحدثنا الميكانيكي، أدواتها بدائية ولكن سنرى ما يمكننا فعله."

واستمر فتحي يتحدث مع د. سلوى كما لو أنه لم يكن هناك ركاب غيرها وقال: "ارتاحي في الكافيتريا قليلاً يا دكتورة، وسنتصرف

ونجد حلاً للمشكلة وإلا فسنتصل بالشركة لترسل لنا أتوبيس كبير مكيف من القاهرة."

وسرعان ما تحرك الأتوبيس ذاهبًا إلى الورشة. جلست أنا في الكافيتريا وطلبت شاي وحين أتى جلست أشاهده دون أن أشرب منه واشتريت زجاجة مياه مغلقة وشربت منها. وعلى المائدة المجاورة جلست د. ضحى ومعها د. سلوى والتي بدأت أنا أميل إليها خاصة أنها كفتني الكلام أمام فتحي، ولو فتحت فمي وقتها لتشاجرت مع فتحي ولربما كنت قد تشابكت معه بالأيدي من فرط احساسي بالظلم، ولكن د. سلوى تحدثت أولاً وقالت ما كنت أود أن أقوله وعبرت عن موقفنا جميعًا بجلاء.

الأجانب جلسوا تحت تلك التندة يشربون المشروبات الغازية والماء ولم يأتوا لفحص المحرك مثلنا ولكن أظن أنهم قد فهموا خلاصة الموقف خاصة حين تحرك الأتوبيس وعدنا نحن إلى الكافيتريا. لم يتحركوا من مكانهم طوال اليوم ولم يظهروا استياءًا ولم يصرخوا ولم يأتوا لضرب أي شخص. في بعض الأحيان أغبط هؤلاء السائحين على قوة أعصابهم وبرودهم، ولكني حين أشاهد نشرات الأخبار الأجنبية أدرك أنهم ليسوا على هذه الدرجة من هدوء الأعصاب والبرود الذي يظهرون بها في بلادنا، فلديهم من الجرائم والمشاكل مثل ما لدينا وأي فارق بينهم وبيننا سببه النظام الجيد لديهم وليس برود الأعصاب.

الرجال الثلاثة نبيل ومحيي الدين وكليف ذهبوا مع فتحي إلى ورشة الإصلاح كما يبدو. كنت أشعر بالوحدة ولكني لم أرد أن أتحدث إلى أحد وإلا فسأنفجر. كل ما كنت أريد أن أفعله طوال النهار هو أن أصرخ وأشكو، ولو فتحت فمي لما خرجت منه كلمة واحدة إلا في السياقين اللذين ذكرتهما، وبدا لي أن الأخرين قد ملوا من شكواي الدائمة. ولم أرد أن أتحدث وأنا في هذه الحالة المعنوية السيئة إلى د. ضحى ورفيقتها، فقد كانتا منغمستين في أحاديث وحكايات طويلة

وكل منهما تُري الأخرى الصور التي لديها على المحمول، ولم أرد أنا أن أؤثر على معنوياتهما المرتفعة بمعنوياتي المنخفضة جدًا.

وأمتد الوقت ثقيلاً، وسرعان ما دوى صوت آذان المغرب وذهبت وصليت المغرب ثم صليت العصر أربع ركعات صلاة الفائتة فلم يكن هناك معنى للقصر ولا للجمع وأنا جالس في الكافيتريا ليس لدي ما أفعله. وكذلك ذهبت د. ضحى ورفيقتها في وقت صلاة العصر إلى مُصلى النساء ومن بعد ذلك صلينا العشاء والأتوبيس الزفت لم يأت بعد ولم يظهر أثر لا لفتحي مشرف الرحلة ولا لأي من الرجال الثلاثة الذين ذهبوا معه.

مع الوقت تناقص عدد الأتوبيسات الموجودة أمام الكافيتريا ولم تعد تأتي أتوبيسات جديدة حتى أصبح مدخل الكافيتريا مكشوفًا تمامًا ليس أمامه أي سيارات ولا حافلات ولا مركبات. وتم تعليق قناديل بدائية تعمل كمصابيح جاز في الكافيتريا مما جعل الكافيتريا تقريبًا مظلمة بعد صلاة المغرب وحين سألت عن ذلك أخبرني النادل أن المنطقة كلها ليس بها كهرباء ولا ماء جاري وأنهم يحصلون على المياه بالطريقة التقليدية من بئر بالمنطقة. رائع! لقد اكتملت فصول المأساة.

بعد فترة طويلة من بعد صلاة العشاء، أتى فتحي إلى الكافيتريا وخلفه جاء يمشي السائق. كان فتحي يبدو في حالة مزرية للغاية وقد أخرج قميصه خارج بنطلونه ولم يكن ذلك اتباعًا منه للموضة بل كان دليلاً على البهدلة وكان وجهه أسود من هباب السيارة والشحم وشعره مليء بشحم تزييت السيارة وشكله يوحي بالإعياء الشديد، وبمجرد أن ظهر التف حوله جميع ركاب الأتوبيس وكنا جميعًا نحاصره بنظراتنا، وإن كنت أنا قد أحسست مؤقتًا بالشفقة عليه. يبدو أنه قد بذل كل جهده ولكن حتى فتحي لا يمكنه إحياء الأموات والأتوبيس الذي أحضرنا حتى تلك النقطة كان ميتًا إكلينيكيًا منذ فترة طويلة. هو فقط كان يتحرك بالكثير من الدفع والكثير من

الجهد والتمنيات الطيبة ولكنه سلم النمر في تلك الليلة ولم تعد محاولات البشر لإحياءه ذات جدوى.

وقال فتحي ما توقعته بالضبط: "للأسف يا جماعة. الأتوبيس لا يريد أن يتحرك. لقد اتصلنا بالشركة كي تدبر لنا أتوبيس أخر غيره ينقلنا إلى أسوان، وهم وعدونا أن يرسلوا إلينا أتوبيس يصلنا عند الفجر تقريبًا."

ومد فتحي قامته ورفع صوته وكان يبدو في موقف دفاع وكأنه يستعد لمواجهة هجوم الركاب عليه وقال: "للأسف يا جماعة. هذه الكافيتريا ستغلق الآن، ولن يسمحوا لنا بالبقاء فيها أثناء فترة الليل."

وقلت أنا بصوت حاولت السيطرة عليه: "وهل سنبقى في الأتوبيس طوال الليل أم أنكم ستجعلوننا نبيت في الجامع، أم ماذا؟"

وعلى الرغم من أنني أفهم موقف فتحي وقررت في نفسي ألا أثقل عليه إلا أنني لم أتمالك نفسي وأردفت: "أنا من البداية قلت لكم من منظر الأتوبيس فقط أن هناك حالة استهتار واضحة بالمسافرين. لم يكن يجب أن أترككم تأخذوننا إلى هذه الرحلة بذلك الأتوبيس أبدًا."

ونظرت حولي أنظر إلى بقية الركاب وكأنني أقول لهم "لقد قلت لكم ولكنكم لا تعقلون،" وقلت بصوت مسموع: "وكان يجب على الركاب الأخرين في هذه الرحلة أن يقفوا موقف صدق وألا يتهاونوا مع الشركة."

وسمعت د. سلوى وهي تتحدث وصوتها يكاد ينفجر بمجرد خروجه من فمها: "والحل يا فتحي. حتى يأتي أتوبيسكم المحروق عند الفجر. أستغفر الله العظيم. أين ستضعوننا؟"

وقال فتحي وقد ظهر عليه جليًا أنه وقتها كان يدافع عن نفسه وهو يتحسب لعاصفة الاحتجاجات التي ستواجهه: "أهالي المنطقة

أخبرونا عن بيت ريفي قريب يستضيف عادة السائحين الذين يريدون أن يعيشوا الحياة الطبيعية بدون زيف المخترعات الحديثة، وذلك البيت يوصف بأنه نظيف وحالته جيدة ولكن للأسف المنطقة كلها ليس بها كهرباء ولا مياه جارية."

وصاح ذلك الرجل المدعو نبيل بغضب شديد وكان يقف خلف فتحي: "ماذا! هذه المنطقة ليس بها ماذا! ماذا تقول يا فتحي؟ تحدث العربية فأنا لا أفهمك."

وصرخت د. سلوى: "لا. هذا كثير. كثيرجدًا جدًا. كثير كثير يعني. جعلتمونا نركب في أتوبيس صغير وغير مكيف ولا يعمل بشكل جيد. ورضينا بالهم ولكن يبدو أن الهم لا يرضى بنا. ما تفعلونه بنا يا فتحي مرمطة وبهدلة ولن نسكت على ذلك أبدًا."

وصحت أنا وقد سرني أن الركاب قد بدأوا يعترضون ويغضبون ويعبرون بكلمات سلبية عن الحالة المريرة التي وصلنا إليها، وقد بدأ الغضب يسيطر علي مرة أخرى نتيجة لاحساسي بالظلم الذي زاد عندما تعالى تعبير الأخرين عنه. أردت أن أبين لزملائي المسافرين مدى خداع الشركة لنا وغدرها بنا. نحن عملاؤها الذين وثقوا بها، وقلت محدثًا فتحي: "أنتم انتظرتم عمدًا حتى هذه الساعة كي لا نجد أية مواصلات أخرى نركبها ولا أي حل لمشكلتنا والآن تريدون أن توفروا المال على حسابنا، وبدلاً من أن نقضي هذه الليلة في فندق خمس نجوم كما نستحق طبقًا للمال الذي دفعناه لكم ها أنتم تريدوننا أن نقيم في بيت ريفي بدائي بدون كهرباء أو مياه جارية. كلا. أنا لن أسمح بهذا. سأذهب إلى قسم الشرطة وأشكوكم هناك. أريد أن ترد لي الشرطة حقي."

ونظرت حولي فلم أجد أحدًا يساندني في موضوع ذهابي للشرطة هذا، ورد علي فتحي باستهزاء: "ولم لا يا أستاذ ماجد؟ هناك نقطة شرطة قريبة على بعد حوالي عشرين كيلومتر من هنا. إمشي على

الطريق السريع الذي جئنا منه في مسار مستقيم ولن تمر أربع أو خمس ساعات من المشي الحثيث إلا وستجد نفسك أمامها."

وصرخت في فتحي بغضب: "الحق أنك وقح. ماذا تقصد بحديثك هذا؟ هل تقصد أن أخبط رأسي في الحائط."

وجاءني صوت د. ضحى الملتزم الهادىء من خلفي يقول: "كلا طبعًا يا أستاذ ماجد. لن يقوم أي منا بخبط رأسه في الحائط. الحل أن نخرج إلى الطريق السريع كلنا معًا ونحاول أن نوقف سيارة أتوبيس أو عدد من سيارات التاكسي الصغيرة. هناك أتوبيسات رحلات سياحية كثيرة تذهب وليس بها ركاب إلى الصعيد لإعادة ركاب موجودين بالفعل في الصعيد إلى القاهرة، وهذه الأتوبيسات السياحية تقطع المسافة من القاهرة وفي بعض الأحيان إلى أسوان دون أن تحمل ركابًا، وقد شهدت هذا بنفسي في رحلات سابقة."

ورد فتحي بأدب وبدون سخرية وهو يحدث د. ضحى: "يا دكتورة. الخروج إلى الطريق السريع الآن خطر. المسافة حتى الطريق السريع مشيًا على الأقدام ليست بسيطة كما يبدو لك، ولا يوجد إضاءة على الطريق الفرعية هنا. يمكن أن تدوسنا أية مركبة أو سيارة أو تصطدم بنا. لا يوجد في هذه المنطقة كهرباء. كذلك الناس هنا تتحرك بالسلاح والمشي في طرق مقفرة لا يرتادها الناس ليلاً محفوف بالمخاطر. قد نقابل عصابة ما، وقد نتوه ولا نعرف طريقنا في الظلام وقد ندخل في موقف لا نستطيع الخروج منه."

وأردف فتحي وقد ظهر عليه أنه يستميت ليقنع الركاب: "المسألة هي قضاء فترة الليل فقط يا جماعة. الفترة من الآن وحتى الفجر. عدة ساعات فقط. ستمر هذه الليلة بالطول أو بالعرض. بقى على الفجر عدة ساعات فقط وبحلول الفجر سيكون أتوبيس الشركة قد وصل إن شاء الله. فلنذهب إلى ذلك البيت الريفي. سنتواجد وقتها في مكان آمن بين أربعة جدران، وبدلاً من أن نظل واقفين أو جالسين

على الأرض سنجد بعض الآسرة نتمدد عليها. هي فقط بضع ساعات وستمر على أي حال."

وقالت د. سلوى ويبدو أنها قد سلمت بالأمر الواقع: "وكيف سنذهب إلى ذلك البيت الريفي؟" ورد فتحي: "للأسف، سنضطر أن نمشي بحقائبنا حوالي نصف ساعة. البيت الذي نقصده في شارع جانبي على بعد مسافة من هنا."

وأشار فتحي أمامنا فرأينا رجل يلبس جلبابًا قديمًا ويحمل مصباحين يعملان بالكيروسين ويجد في السير وخلفه يجد في السير لمواكبته رجل أخر يحمل مصباح كيروسين ويحمل على كتفه بندقية ويبدو أنه غفير أو حارس من نوع ما.

وقال فتحي: "الحاج صابر الذي سيوصلنا إلى البيت الريفي قد وصل وهاهو ذا وأشار إلى الرجل الأول الذي يحمل مصباحي كيروسين."

وتقدم الرجل الريفي وناول فتحي أحد المصباحين بينما احتفظ بالأخر، وبدأ فتحي يدور حول المجموعة ويتأكد من أن كل الموجودين يستطيعون حمل حقائبهم وقام فتحي بحمل حقيبة سائحة أجنبية كانت تحمل حقيبتين. كنت أنا طبعًا أحمل حقيبتي وكانت ثقيلة نسبيًا وكانت د. ضحى تحمل حقيبتها الصغيرة ود. سلوى تحمل حقيبة أخرى صغيرة لم يبدو أن معها غيرها. كان نبيل يحمل حقيبة متوسطة ويبدو أنها خفيفة وكذلك محيي الدين وكليف. الغريب أن الحقائب الثقيلة كانت حقائب السائحين الأجانب، ولكن فيما عدا تلك السائحة التي كانت تحمل حقيبتين فقد حمل كل من السائحين حقيبته بنفسه.

وقال فتحي: "رجاء يا جماعة. لنمشي بجانب بعضنا البعض ونراعي بعضنا بعضًا. الأقوى يساعد الأضعف على حمل حقيبته عند اللزوم. هنا الطرق غير ممهدة وغير مستوية وليس بها إنارة

ولذلك لو أن أحدنا بطيء المشي وتأخر عن المجموعة فقد يتوه وبعد قليل لا يرى طريقه. سأمشي أنا والحاج صابر في المقدمة. نبهونا إذا تأخر أي من الناس في المشي حتى لا نتحرك بسرعة ونتركه وراءنا. من فضلكم انظروا إلى مواضع أقدامكم من أجل ألا يتعثر أحد منا ويسقط."

وأعاد فتحي ما قاله بالانجليزية:

"Please, everybody, we must walk next to one another and be cautious and help one another. The stronger should help the weaker if need be. In this area, roads are unpaved and uneven and there is no lighting. If any of us is a slow walker and lags behind the group, he or she might lose their way and after sometime they won't see the ground under their feet. I and Elhaj Saber, and that's the man standing next to me, will walk in the forefront of the procession. Please, alert us if anyone lags behind so that we won't walk ahead and leave him or her behind, and please look at the ground under your feet, so that no one will lose his footing and fall."

وبالفعل فقد قدرت أنا أن المرأتين المصريتين هما الأضعف وليس معهما من يساعدهما ولهذا تقدمت وأنا أحمل حقيبتي الثقيلة لأمشي بجانبهما، وكنا نتحرك في أول صف خلف فتحي والحاج صابر بينما مشى الغفير خلفنا بجانب بقية المجموعة.

وقلت أحدث المرأتين: "هذا ما كان ينقصنا. هذه الرحلة الجميلة أعادتنا إلى القرن الثامن عشر. قرن لمبات الكيروسين."

وسمعت صوت د. ضحى وهي تقول وهي تمشي مطرقة تنظر إلى قدميها وقد فتحت ضوء الموبايل الخاص بها: "أصلاً من الصعب جدًا تخيل أن هناك أماكن في مصر ليس بها كهرباء ولا مياه جارية. كيف يعيش الناس هنا؟"

مشينا في طريق مستقيم لفترة، ثم دخلنا إلى شارع جانبي مظلم وكان الجميع قد فتحوا أضواء الهواتف المحمولة الخاصة بهم، ولكن مع ذلك حث الجميع خطاهم كي يظلوا قريبين من حملة المصابيح لأنهم هم من يعرفون مكان البيت الريفي الذي كنا جميعًا ذاهبون إليه، وكان حملة المصابيح يسيرون في المقدمة ويتحركون بخفة وسرعة على عكس المجموعة المسافرة التي لم تكن معتادة على المشي على طرق غير ممهدة وقد أثقلت خطواتها حقائب السفر التي كانت معهم. وفجأة سمعنا صوت سقوط في الخلف.

وصرخت أنا: "يا جماعة. يا من تحملون المصابيح. من فضلكم، ارجعوا قليلاً. يبدو أن هناك من سقط في الخلف."

توقف الجميع وعاد فتحي والحاج صابر والسائق إلى الخلف وكذلك الغفير وتحت أضواء المصابيح وجدنا الأستاذ/ محيي الدين ملقى على الأرض وحقيبة ملابسه مفتوحة على مصراعيها وقد تبعثرت العديد من أشياءه خارج الحقيبة على الأرض الرملية."

وقفز محيي الدين على قدميه دلالة على أنه لم يصبه شيء وبدأ بتجميع أشياءه التي كان بعضها قد طار بعيدًا وانضم إليه نبيل وكليف وانحنيت أنا لمساعدتهم على تجميع أشياءه.

رفعت قميص كان مكويًا بعناية كان ساقطًا على الأرض الرملية بجانب الحقيبة وتحته رأيت بوضوح مسدسًا أسود لامعًا بدا لي وكأنه مسدس حقيقي من الذي يستخدمونه في إطلاق النار. ترددت للحظات ماذا أفعل ولكن يد نبيل كانت أسرع مني. حمل المسدس وهو يداريه ببعض الأمتعة ووضعه في الحقيبة واستمر يضع

الأمتعة فوقه ليخفيه. وضعت أنا الجاكت والأشياء التي كانت مرمية بجانب الحقيبة من ناحيتي ثم عاونت كليف في غلق الحقيبة دون أن أنطق بكلمة واحدة.

كان من الواضح أن الحاج صابر وفتحي قد رأيا المسدس بدورهما ولكن أيًا منهما لم ينطق بكلمة كما لو كان من العادي بالنسبة للمسافرين أن يحملوا سلاح ناري ضمن أمتعتهم. كان محيي الدين بمجرد وقوفه وإدخال من حوله لأشياءه إلى حقيبته مشغولاً بنفض ثيابه لازالة التراب الذي علق بها.

وقال محيي الدين معتذرًا: "آسف يا جماعة. حقيبتي ثقيلة نوعًا ما ولهذا تأخرت في المشي وتعثرت في جذع الشجرة هذا المدفون في الأرض."

وتحركت المصابيح وأضواء الهواتف المحمولة تكشف وجود جذع شجرة مدفون في الأرض الرملية وجزء صغير منه يبرز فوق الأرض.

كانت هناك همهمة عامة من مجموعتنا تقول شيئًا مثل لا عليك أو لم يحدث شيء وقال فتحي: "الحمد لله. لقد مر الأمر بسلام."

وفجأة أحسست أنا أن هناك شيء يتحرك بجانب قدمي بسرعة وحول الغفير الذي كان يقف بجانبي مصباحه نحو ذلك الشيء وصرخ أحد السائحين وهو يقفز ويتراجع بسرعة للخلف: " A Snake. A Snake"

وتراجع محيي الدين ونبيل اللذين كانا يقفان بجانبي بحركة سريعة وقفزا إلى الجانب والتفت أنا ناحيتهما لأرى ثعبانًا صغيرًا يتحرك بحركة ملتوية ومتعرجة وسريعة للغاية نحو بعض الأعشاب القريبة بجانبنا ويختفي وسطها.

وصرخت أنا وقد أصابني الهلع بسبب مرور هذا الثعبان بجانبي أحدث الغفير الذي كان يحمل بندقية: "أنت يا من تحمل بندقية. افعل شيئًا ما."

ورد علي الغفير: "وماذا أفعل يا أفندي؟"

وطبعًا كلمة أفندي ترجع إلى القرن السابق على الأقل وهذا يعني أن غياب الكهرباء قد أعاد تلك المنطقة إلى أزمان سحيقة سابقة فعلاً.

وقلت له: "أطلق عليه النار."

وسمعت قهقهات الغفير والسائق والحاج صابر. أنا إبن المدينة الرقيع الذي لا يفهم شيئًا أو هذا ما عنته ضحكاتهم بالنسبة لي على الأقل.

وحين رأى الغفير من نظرتي أنني أنتظر أن يرد علي قال: "لو أنني أطلقت عيارًا ناريًا الآن لأيقظت المنطقة كلها ووقتها سيسخرون مني جميعًا وسُأتهم أنني جبان رعديد."

وصرخت فيه: "إذن لماذا تحمل هذا السلاح على كتفك؟"

ورد الرجل: "وهل سأستعمل كل هذه البندقية من أجل ظهور هذا الثعبان الصغير الذي مضى في حاله. المنطقة هنا في الليل تجوبها الذئاب والعقارب والثعابين والثعالب وكل هذه الأشياء نادرًا ما تؤذي البشر. أنا أحمل هذا السلاح من أجل البشر. قطاع طرق. بلطجية. لصوص. هؤلاء هم من اعتادوا الأذى وكما يقولون – ما عفريت إلا بني آدم."

المهم استكملنا المشي ونحن نحافظ على كوننا نتحرك متقاربين، وفي النهاية وصلنا إلى بيت ريفي به دورين.

وبمجرد ظهورنا صفق الغفير بجانب البيت الذي كان بابه مفتوحًا ونادى: "يا أهل الله يا من هنا. السائحون وصلوا."

الفصل الخامس: البيت الريفي

وسرعان ما تم اسكان السائحين الاجانب في الطابق السفلي الذي أكتشفت عندما رأيته في ضوء النهار في اليوم التالي أنه الأفضل أثاثًا ومظهرًا، بينما حمل أحد الرجال حقيبتي وظهر ثلاثة رجال أخرون يحملون حقائب المصريين ومعهم الأجنبي كليف إلى الطابق العلوي وكان يتقدمنا فتحي يحمل مصباح الكيروسين الذي أعطاه له الحاج صابر وفي أسفل السلم كان يقف الغفير يحمل مصباح الكيروسين الخاص به.

وتحت ضوء مصباح الكيروسين وأضواء الهواتف المحمولة تم فتح أول غرفة في الطابق العلوي وهي غرفة مفردة على اليسار إلى جانب السلم وقال فتحي: "هذه غرفة لشخص واحد. تفضل يا أستاذ ماجد."

وطبعًا كان هذا هو الترتيب المفضل لي فأنا لا أحب أن أنام في غرفة مع شخص أخر، وإن كنت لم أطلب هذا الترتيب، ومع ذلك حين دخلت إلى الغرفة ورأيت بها سريرًا كبيرًا ودولاب وطاولة بجانب الجدار قلت لفتحي أمام الثلاثي نبيل ومحيي الدين وكليف والذين دخلوا خلف فتحي حامل المصباح بعدما دخل إلى غرفتي قبل أن يعلن أنها الغرفة المخصصة لي في تلك الليلة، وقلت لفتحي: "الغرفة كلها لي. ما كل هذا التكريم؟"

ورد فتحي: "إنها غرفة صغيرة نسبيًا وبها سرير واحد ولهذا فهي لا تستوعب سوى شخص واحد فقط. أرجو أن تعتبر في ذلك ترضية لك عن الرحلة الصعبة التي مررت بها اليوم."

لم أعتبر أنا هذه ترضية ولكني لم أكن أرغب في افتعال مشكلة جديدة ولهذا لزمت الصمت. وضعت حقيبتي بالغرفة وخرجت مع المجموعة خلف فتحي الذي كان يحمل المصباح.

خرج الجميع من غرفتي واتجه فتحي بعد ذلك إلى غرفة على يمين السلم وكانت هذه الغرفة تتوسط غرف الطابق حيث أن الطابق كان به ثلاث غرف.

ودخل فتحي إلى الغرفة ونادى: "د. سلوى ود. ضحى. هذه الغرفة لكما"

وسرعان ما غابت المرأتان وكل منهما تحمل حقيبتها داخل الغرفة بينما اقتاد فتحي الرجال الثلاث نحو الغرفة الأخيرة في أقصى يمين الطابق الثاني، ودخلوا جميعًا إلى الغرفة وسمعت فتحي يقول: "الأساتذة نبيل ومحيي الدين وكليف. هذه هي غرفتكم وهي غرفة ثلاثية بها ثلاثة آسرة ولن تبقوا فيها طويلاً. حتى الفجر فقط. وفي الفجر يكون الاتوبيس الذي ارسلته الشركة لحملنا إلى أسوان قد جاء وإن شاء الله سنبيت الليلة القادمة في أسوان."

وقلت له بصوت مسموع وأنا أقف أمام باب باب غرفتهم: "أفلح إن صدق."

وقال فتحي: "اعذروني يا جماعة. هذا الترتيب لم يكن مخططًا له للرحلة، بل حدث بالصدفة بسبب تعطل الأتوبيس، وإن شاء الله نعوضكم عن هذه الليلة في أول رحلة أخرى تخرجون فيها مع الشركة."

وبعدما دخل الثلاثة رجال إلى غرفتهم، غادرهم فتحي ومعه مصباح الكيروسين واتجه نحو السلم، وفعلت د. سلوى والتي خرجت ووقفت على باب غرفتها ما كنت أنا أريد فعله ونادت فتحي: "فتحي. فتحي. ما هذا؟ ألن تتركوا لنا مصباح كيروسين؟"

ورد عليها فتحي: "للأسف يا دكتورة. هذه المصابيح مملوكة للحاج صابر ولميكانيكي ورشة السيارات والغفير وليست مملوكة للبيت هنا. يبدو أن صاحب البيت وابنه قد خرجا لأغراض لهما في هذه الليلة وذهب كل منهما في مهمة منفصلة ولهذا أخذ كلاً منها أحد المصباحين اللذين يوجدان عادة في هذا البيت."

وصاحت د. سلوى: ما معنى هذا؟ هل ستتركوننا طوال الليل بلا مصباح."

ورد فتحي معتذرًا: يا دكتورة. الفجر لم يبق عليه سوى سويعات قليلة. ما إن تغمضوا أعينكم وتفتحونها ستجدون أن الفجر قد أتى وأنتم لن تحتاجوا إلى ضوء قبل الفجر، ولديكم عند الضرورة أضواء هواتفهم المحمولة. فقط أنت ود. ضحى ادخلا إلى غرفتكما وأغلقا الباب بالقفل. ستجدون مفتاحًا في فتحة المفتاح خلف الباب. ولكن أنا والسائق سنعود إلى الجراج ومعنا مصباح ميكانيكي ورشة السيارات، بينما كل من الغفير والحاج صابر سيعود كل منهما إلى بيته وسيتحركان في طريقين منفصلين وسيحتاج كل منهما إلى مصباح الكيروسين الذي يحمله. نحن ليس لدينا مصباح كيروسين زائد. طبعًا نحن لم نتوقع أن يكون صاحب البيت وابنه غير موجودين وقد أخذ كلٌ منهما مصباحًا ولم يتركوا مصابيح بالبيت."

وردت د. سلوى متبرمة: "الرحلة حتى الآن كابوس مرعب يا فتحي، ولم يتم مراعاتنا مطلقًا فيها."

ورد عليها فتحي: "لا عليك يا دكتورة. سنعوضك عن هذه الرحلة في الرحلة القادمة. أنت عميلة الشركة ونحن نطمع في كرمك."

ولم تعقب د. سلوى ونزل فتحي حاملاً مصدر الضوء الكبير الوحيد بالبيت إلى الطابق الأسفل بينما سمعت أنا صوت المفتاح وهو يدور في القفل في غرفة د. سلوى ود. ضحى.

عدت أنا بعد ذلك إلى الغرفة المخصصة لي، وبمجرد أن وضعت رأسي على الوسادة والتي كانت قاسية كالحجارة استغرقت في نوم عميق بسبب التعب الشديد الذي كنت أشعر به. كنت أحس بأن كل جزء من جسمي يتأوه من التعب. ولكن طبعًا بما أنني أعاني من أرق مزمن وحاد وعدم القدرة على النوم ليلاً، فلم أنم سوى ثلاث ساعات، ثم انتبهت. المكان كان ساكنًا تمامًا لا شيء يتحرك فيه ولا حوله. لا أصوات تنبيه لسيارات اتوبيس ولا أطفال تصرخ في الشارع ولا شيء، وربما لهذا أعتقد أن الجو الغريب هذا أيقظني.

انتبهت وحدي هكذا دون أن يوقظني أي شيء. كان المكان كذلك مظلمًا لا تكاد ترى فيه أصابع يدك، ولكني تحسست بجانبي ووجدت التليفون المحمول الخاص بي والذي أخبرني أن الساعة كانت الواحدة صباحًا، وكنت وقتها بكامل يقظتي. تركت شاشة المحمول تغلق ولم أحاول أن أفتحها فلم تكن هناك شبكة اتصالات تعمل في تلك المنطقة. كذلك أردت أن أحافظ على شحن البطارية فلا أحد يدري ما يحدث لنا بعد ذلك. كان وقتها الفجر يؤذن في الخامسة صباحًا تقريبًا ولهذا قدرت أنني سأنتظر حوالي أربع ساعات وأنا مستيقظ.

ضحى تحكي:

طبعًا كما قلت من قبل. الترتيبات الخاصة بالرحلة لم تكن بالمرة على ما يرام حتى الآن. وعلى الرغم من أنني لم أشكو حين رأيت أتوبيس الرحلة صغير وقديم ولا يصلح حتى كأتوبيس للضواحي أو لحمل البشر أصلاً إلا أنني لزمت الصمت ولم أعترض، وحسنًا فعلت فقد اعترض بدل مني ذلك الرجل الغريب المدعو ماجد ولم يتقبل اعتراضه أحد فالجميع تصرفوا وكأنه يبالغ والحق أنه كان يشكو أكثر من اللازم، فقد تشاجر أكثر على الأشياء الصغيرة.

ولكني في تلك اللحظة حين أجبرت على النوم في تلك الغرفة المظلمة دون كهرباء أو مياه جارية وكنت أرغب بشدة في الاستحمام، فكرت في أن ذلك الرجل المدعو ماجد لم يكن على خطأ. فعلاً ترتيبات الرحلة سيئة للغاية، وكما قالت د. سلوى قبل أن تنام: "هذا كثير جدًا. وكل الترتيبات مثل القطران ولو كنا في أي دولة متقدمة لما جرؤت الشركة على معاملتنا بهذه الطريقة ولخشيت أن يقوم بعضنا بمقاضاتها ورفع دعوى ضدها أمام المحاكم والمطالبة بتعويض كبير، أما في مصر هنا فلابد أن تحدث مصيبة قبل أن يستطيع أحد مقاضاة جهة ما. ولو اشتكيت قال لك كل من يستمع لشكواك: "احمدي الله، وطبعًا الحمد لله على كل حال، ثم ينطلق ذلك الشخص الذين تشتكين له ليحكي لك مأساة ناتجة عن خروج بعض الناس في رحلة مع مجموعة سياحية ما، وكأن المفروض أن يرضى المرء بكل الظلم الذي يحدث له دون أن يشكو لأن هناك أخرون في ظروف مختلفة تمامًا قد عانوا أكثر مما عاناه هو."

وسمعت د. سلوى تنهي كلامها بقولها: "كل هذا وتستمر الشركة في العمل وكأنه لم يحدث شيء."

المهم استمعت إلى شكوى د. سلوى بنصف أذن فلا جدوى من هذا كله الآن. وفكرت أن ترتيبات الرحلة أصبحت الآن تتضمن اقامتي مع د. سلوى في غرفة أغلقتها د. سلوى بالقفل لتضمن سلامتنا، وطبعًا أنا كنت أحمد الله عز وجل على لطفه بأن أتاح لي في الرحلة مرافقة إمرأة مثل د. سلوى يمكنها أن تقيم معي في نفس الغرفة وأشعر بالاطمئنان إليها وبالاطمئنان لأنها موجودة معي فلو كنت وحدي في الغرفة لما استطعت النوم وحدي ولطاردتني الأفكار السوداوية حول ما يمكن أن يحدث لي وأنا أنام في غرفة بمفردي وسط مجموعة من الرجال في الغرف الأخرى وبدون كهرباء. كذلك طمأنتني حقيقة أن د. سلوى صوتها عالي حين تشعر بالظلم وأنها بذلك ترد عنا بعض الظلم الذي كان من الممكن أن يحيق بنا لولا أنها عادة تشكو بصوتٍ عالٍ.

المهم، بعدما استكملت د. سلوى شكواها لي مما فعلته بنا الشركة وتجاوبت أنا معها وعبرت عن احساسي بالضيق لتعامل الشركة معنا بهذه الطريقة، غرقت أنا ود. سلوى في سبات عميق بعد التعب الذي واجهناه في ذلك اليوم المضني من السفر غير المريح والانتظار لساعات وساعات داخل تلك الكافيتريا القذرة دون جدوى.

نمت وحلمت في تلك الليلة. في حلمي ضحكت وضحكت في هستيريا شديدة وبدأت تظهر أمامي أشكال مربعات ومخمسات تتكون في فراغ منير وتقترب مني ثم ترتد إلى الخلفية بعيدًا عني ثم تأتي مكانها أشكال مربعات ومخمسات أخرى. رأيت نفسي في أيام الجامعة. كنت أجلس على مقدمة سيارة داخل الجامعة وارتدي بدلة جينز. الجاكت مفتوح وتحته يبرز قميص زاهي الألوان وحول السيارة كان هناك شبان وشابات وكنا نضحك ونضحك وفجأة تبدلت الصورة. ما هذا الشيء الذي انغرس في ذراعي؟ هل هو نابا ثعبان؟

نعم. نابا ثعبان كبير جسمه يتلوى على الأرض ولكن رأسه أمام وجهي. رأيت أمامي ثعبان مخيف بدأ يفتح فمه وبدأ فمه يتسع وكأنه سيبتلعني وفمه يكبر ويكبر ثم رأيتني أسقط على سلم حجري وأسقط وأسقط وتدور بي الدنيا وأتقلب وأسقط ثم أجري وأجري وأجري. صحراء. الثعبان. الثعبان. حذار من الثعبان. شيء ينغرس في ذراعي .. نابا ثعبان .. أنا أجري في صحراء .. الثعبان يظهر من تحت قدمي ويلتف على ساقي ... لا أستطيع أن أجري .. اسقط في الصحراء .. وسقطت وهجم علي دب بثلاثة رؤوس. كانت الثلاثة رؤوس يفتح كل منهم فمه ويود أن يقتطع جزءًا مني. الدب. دب كبير انقض علي وحملني على ظهره. أحاول المقاومة. لا استطيع أن أتحرك. الدب. الدب سيأكلني حين يصل إلى عرينه. الدب.

شعرت بألم في ذراعي بسبب الإبرة التي انغرست فيه. الدنيا حولي مظلمة وأنا اسمع في الخلفية صوتًا يقول: "ألم تفق بعد؟"

وسمعت صوت امرأة تقول: "لم تفق بعد يا دكتور."

وسمعت الصوت الأول يتحدث من بعيد وبجانبه صوت مياه: "حاولي ثانية."

شعرت بأحد يضربني برفق على خدي. فتحت عيني وفوجئت بضوء قوي مسلط عليهما. أغلقت عيني ثانية. فتحت عيني وكانت نظرتي غائمة. أرى كل شيء حولي رماديًا ولكن هناك أشياء بيضاء في الجانب. أين أنا؟ أغلقت عيني وانتظرت لدقيقة.

فتحت عيني ثانية وشاهدت شخصان وكان نظري غير مركز، ولكني وقررت فورًا أنهما طبيب وممرضة. كان كلاهما يلبس معطفًا أبيض وكان الطبيب يحمل مصباح الموبايل الخاص به ويسلطه على عيني.

وقالت الممرضة: "الحمد لله على السلامة يا دكتورة."

وسألني الطبيب: "هل تستطيعين الكلام؟"

حاولت ووجدت أنني لا استطيع. سعلت مرتين أو ثلاثًا ثم حاولت الكلام ثانية. آتاني صوتي متحشرج وحديثي غير منتظم. سكتت ثم نطقت ثانية وقلت: "نعم. الآن استطيع الكلام. أين أنا وماذا حدث لي؟"

ورد الطبيب: "هنا مستوصف في قرية المالكية. لقد فقدت وعيك ونقلوك إلى هنا."

المالكية. ماذا قال عن المالكية؟ نقلوني. أحسست أنني يجب أن أفكر في شيء ما ولكني في نفس الوقت أحسست بألم شديد يعتصر معدتي وبألم في جانب راسي، وشعرت بشلل يتسرب إلى جسمي. لم أعد أريد أن أنظر أو أتحدث. أغمضت عيني وبقيت صامتة لبرهة.

وسمعت صوت الممرضة يسأل: "هل فقدت وعيها ثانية؟"

ورد الطبيب: "كلا. نبضها يبدو أكثر انتظامًا الآن. فقط تحتاج إلى دقائق كي تفيق بشكل كامل."

وفتحت عيني بعد دقائق وسألت: "تقول يا دكتور أنني فقدت الوعي. لماذا؟ ما هو سبب الإغماء؟"

ورد الطبيب بلهجة ذات مغزى: "ليس لدينا في المستوصف هنا تحاليل للتأكد بشكل كامل ولكن من واقع خبرتي من الواضح أنك قد تعاطيت مخدرات من فترة ليست بالطويلة."

وقلت له محتدة وإن كنت أجاهد لإخراج الصوت من فمي ويبدو أن رئتاي لا تعملان كما ينبغي فهناك ألم في صدري وأنا أتحدث بصعوبة: "كلا. حضرتك. أنا لا أشرب إلا الأسبرين حين تؤلمني رأسي وهذا نادر. أشرب الشاي والقهوة وغير ذلك لا أتناول أي شيء على الإطلاق. أعني لا مكيفات ولا مسكنات وبالتأكيد لا مخدرات."

ورد الطبيب: "على العموم. أنت في حالة طيبة. لقد اجرينا لك قياسات للضغط والسكر وحالتك طبيعية والنبض طبيعي. كل شيء على ما يرام. كان هناك ضابط شرطة قد جاء إلى المستوصف."

وسقط قلبي بين ضلوعي وأحسست بالرغبة في القفز والجري. ورأى الطبيب نظراتي الزائغة المرتعبة وقال: "كلا. إطمئني. ضابط الشرطة لم يأت بشأنك أصلاً. لقد أتى بشأن حالة أخرى. حالة شاب جاء للعلاج في المستوصف هنا منذ حوالي الساعتين وقد تلقى طلق ناري في ذراعه. هذا الطبيب أخذ زملائك في الرحلة إلى قسم الشرطة وسألهم وقالوا أن ما تعانين منه لابد وأنه تلبك معوي أو شيء من هذا القبيل وقد سمح الطبيب لزملاءك في الرحلة بأن يصطحبوك معهم. هم الآن خارج الغرفة وسوف أسمح لهم بالدخول."

واستكمل الطبيب حديثه وظهرت في حديثه تلك اللهجة ذات المغزى وقال: "ولكن على العموم لو أنك تتعاطين شيئًا ما، آمل أن تكفي عن تعاطيه. ليس من المعقول أن تقوم دكتورة مثلك تعمل في ألمانيا بهذا الفعل خاصة بعدما فقدت وعيك هذه المرة. كذلك أرجو أن تراعي أنك بمثابة سفيرة تمثل مصر في الخارج وصورتك تعكس صورة مصر."

وقلت لهذا الطبيب وتنفسي ثقيل وأنا أكاد لا أخرج الكلمات من فمي من شدة إحساسي بصعوبة التنفس: "يا دكتور أنا أقصى شيء يمكنني أن أتناوله هو الأسبرين. لماذا لا تصدقني؟"

وأخفض الطبيب عينيه وكأنه يقول لنفسه: "لا جدوى."

وقلت له له فجأة: "نعم. لقد تذكرت. لقد جرت محاولة للسطو على بيت عمتي منذ يومين ولكن الجيران تدخلوا واضطروا اللصوص إلى الهرب قبل أن يسرقوا شيئًا ذا قيمة ولكن أنا جرى تخديري بواسطة مادة مخدرة ما أثناء عملية السطو."

ورد الطبيب: "طبعًا هذا قد يكون السبب في توقعي أن ما أدى إلى ما أصابك هو مادة مخدرة. يمكن طبعًا في بعض الحالات النادرة أن يتأخر تأثير المادة المخدرة قليلاً لسبب ما لا نعرفه، ربما كان متعلقًا بحساسية ما تعانين منها أو شيء كهذا."

وفي النهاية قال الطبيب: "على العموم تستطيعين الآن الخروج من المستوصف مع زملاءك في الرحلة الذي جاؤوا لمرافقتك. هم ينتظرونك في الخارج."

أغلقت عيناي وحاولت النوم وسرعان ما سمعت صوت د. سلوى وقد بدا في صوتها القلق. كان الطبيب قد ترك الغرفة ومعه الممرضة. وفتحت عيناي وكانت أمامي د. سلوى زميلتي في الرحلة. كانت تبدو قلقة وكانت تحمل حقيبة يدي معها.

قمت إلى وضع الجلوس بصعوبة وساعدتني د. سلوى. احتضنتني د. سلوى اشفاقًا علي من الحالة التي كنت عليها وجلست بجانبي على السرير وقالت: "كيف حالك يا حبيبتي؟. أنا لا أصدق ما حدث لنا الليلة. بم تشعرين الآن؟ هل تشعرين أنك بخير؟"

وأمسكت بيدها وقد سرني أنني وجدت أحدًا يضمني ويمكنني أن أطمئن إليه في هذه الحالة العسيرة التي كنت عليها. كان ملمس يدها مطمئنًا لي وأجبتها وأنا أشعر بإعياء شديد: "نعم. نعم. أنا بخير. الحمد لله. الحمد لله."

وقالت د. سلوى: "لقد شعرت بالقلق الشديد عليك ولهذا نقلتك أنا وفتحي هنا بقميص نومك. خفت أن أتمهل حتى أغير لك ملابسك أولاً وفكرت لعلك تحتاجين إلى تدخل طبي عاجل. ولكني الآن قد أحضرت لك بعض ملابس الخروج الخاصة بك كي تلبسينها وأنت خارجة من هذا المستوصف." قالت د. سلوى هذا وأشارت إلى كيس بلاستيكي غير شفاف كانت قد وضعته على الكرسي المجاور للسرير في ذلك المستوصف.

أحسست أن جفني ثقيلين للغاية وأن رأسي في ثقل الجبال. أغلقت يداي على كفي د. سلوى وكأنهما طوق نجاة وأغلقت عيناي ثانية.

وآتاني صوت د. سلوى وأنا على هذه الحالة بين اليقظة والمنام وقالت: "ضحى. هل أنت واعية يا حبيبتي؟ هيا. حاولي أن تنزلي عن هذا السرير وتقفي على قدميك. أنا سأساعدك على ذلك."

أعانتني د. سلوى على الوقوف على الأرض والمشي للحظات ولكني لم أكن أستطيع الاستمرار في الوقوف. وأشرت لد. سلوى بذلك فقادتني إلى الفراش وأرقدتني عليه ورأسي مرتفعة وظهري مستند على ظهر السرير الذي كان منحنيًا لأعلى.

وقلت لها: "الحمد لله يا دكتورة. أنا أشعر أنني بخير ولكني أرغب بشدة في شيء يرفع ضغطي قليلاً. ليتني أستطيع الحصول على مشروب منبه ما. شاي أو قهوة. أشعر برغبة شديدة في النوم. ما الذي حدث بالضبط؟"

وقالت د. سلوى بأسى شديد: "لقد كنت نائمة في الفراش الذي بجانب فراشك يا حبيبتي في تلك الغرفة كما تعلمين. فجأة أحسست أنك قمت من سريرك وذهبت لباب الغرفة وسمعت صوت المفتاح يدور في القفل. ناديتك فلم تسمعيني. التفت نحو الباب فلم أر ظلك. أنت تعلمين أن ذلك المكان لم يكن به ضوء."

وهززت رأسي للدلالة على أني أعلم ذلك وإن كنت لم أفتح عيني. وقالت د. سلوى: "قمت بسرعة شديدة وفتشت في الغرفة باستعمال ضوء هاتفي المحمول فلم أجدك. تملكني الرعب. لبست بسرعة شديدة ملابس الخروج الخاصة بي وخرجت من الغرفة فلم أجدك أمام باب الغرفة ونزلت إلى الطابق الأول وأنا أستنير بضوء الهاتف المحمول الخاص بي ولم أجدك في الطابق الأول وخرجت إلى الشارع، وأخيرًا وجدتك ملقاة في الطريق أمام البيت. كنت متكومة على الأرض لا تتحركين. استغثت وصرخت ولم يسمعني أحد. جلست أهزك وأنت لا تتحركين وإن كنت أشعر أنك تتنفسين ولحسن الحظ جاء فتحي فجأة وهو يركب ذلك الأتوبيس الكبير الذي أرسلته الشركة من القاهرة وكشف له ضوء الأتوبيس عني وعنك وأنت متكومة في الطريق. طبعًا أنا كنت وقتها في حالة سيئة جدًا من الخوف عليك ومن الرعب من المكان، فقد كان المكان مقفرًا وكنت أقف وحدي في الطريق لا أعرف ماذا سأفعل."

وأردفت د. سلوى قائلة: "ساعدني فتحي والسائق أن نحملك إلى داخل الأتوبيس ومضينا نسأل كل من نقابله في الطريق عن مستشفى أو مستوصف يقدم خدمة ليلية وأولاد الحلال دلونا على هنا."

وقلت لها وأنا لازلت مغمضة العينين: "الطبيب يقول أنني أتعاطى مخدرات وذلك هو السبب في حالتي هذه."

وصاحت د. سلوى: "جته نيلة. هذا الطبيب صغير في السن ولابد وأنه قد تخرج حديثًا من الكلية ولا خبرة له. التعليم الآن في مصر قد فسد تمامًا وأصبح الطلاب يتخرجون من الكليات وليس لديهم أي علم بالعمل الذي سيمارسونه بعد تخرجهم. لله الأمر من قبل ومن بعد."

وأردفت د. سلوى: "هذا كله يا حبيبتي من السمك المعفن الذي أكلناه في تلك القهوة أو الكافيتريا الزفت التي أخذونا إليها. تلك السمكة الكبيرة التي تناولتها لم تكن طازجة ولكني لم أقل لك ذلك حتى لا تشعري بالقرف منها لأنني رأيت أن شهيتك كانت مفتوحة وظننت أن الأمر سيمر بسلام. ما كان يجب أن نختار وجبة السمك من الأساس، فالسمك يفسد بسرعة ويحتاج إلى نظافة عند اعداده وإلا فإنه سرعان ما يسبب التسمم والمرض."

وأكملت د. سلوى: "طبعًا. أنت رأيت بنفسك الأطباق كانت غير نظيفة وكذلك الأكواب وأدوات المائدة وكان الذباب في كل مكان. هل رأيت الملاعق والشوك وكم كانت صدئة وغير نظيفة."

ورددت على د. سلوى: "ولكني يا دكتورة لم ألمسها قط."

وردت د. سلوى: "بصرف النظر يا حبيبتي. المكان كله كان غير نظيف وأنتم يا حبيبتي تأتون من الخارج من البلاد المتقدمة وأنتم معقمين ومغلفين. المياه لديكم نظيفة والأكل نظيف ونسبة التلوث قليلة، وما إن تضعوا لقمة من طعامنا في أفواهكم إلا ويحدث لكم العجب العجاب. إبنة خالتي تقيم في أمريكا منذ سنوات وكل سنة تنزل فيها إلى مصر يصيب أولادها مشاكل معوية رهيبة لأنهم يأكلون طعامًا من الشارع. في السنة الماضية نقلنا إبنها إلى المستشفى وكانت حالته كحالتك هذه لأنه أكل سندويتش صغير من

عربة خشبية تبيع سندوتشات كبد في الشارع. كانت لي صديقة أيام الشباب نتيجة لوجبة تناولتها في مطعم ما أصابها التهاب الكبد الوبائي "أ" وفي مدى ستة أشهر اضطرت أن تبقى فيها في البيت بلا عمل فقدت عملها وخطيبها وتسجيلها لرسالة ماجستير كانت قد سجلت لها، وكان عليها أن تبدأ حياتها العملية والشخصية من جديد بعدما تعافت من تلك الفترة من المرض. طعام الشوارع هذا مأساة كاملة."

قلت لها وقد بدأت أفيق: "أنا أكلت كثيرًا في مصر في السابق ولم يصبني شيء."

وقالت د. سلوى: "نعم يا حبيبتي ولكن ليس سمكًا كالذي أكلناه بالأمس وليس في تلك الكافيتريا القذرة التي أكلنا فيها أمس."

أحسست فجأة بغثيان شديد. جريت نحو الحوض في طرف تلك العيادة وتقيأت وكان معظم ما تقيأته عبارة عن أجزاء من السمك الذي أكلته بالأمس. لم يهضم. وكأنما كان ذلك القيء يصدق قول د. سلوى. ما ينقص مصر حقًا هو الرقابة. لا توجد رقابة على أي شيء، وبالتأكيد ليست هناك رقابة على وجبات المطاعم، وكما قالت د. سلوى لتوها "لله الأمر من قبل ومن بعد."

عدت إلى الفراش ومددت عليه وأغلقت عيناي. كنت أحس أنني فقط أريد أن أنام.

وسألتني د. سلوى: "هل أنت بخير يا حبيبتي؟"

ورددت عليها وأنا مغمضة العينين: "نعم. الحمد لله. الحمد لله. كم الساعة الآن؟"

وردت د. سلوى: "نحن بعد الفجر بساعة أو ساعة ونصف تقريبًا. الساعة الآن السادسة والنصف صباحًا. أقول لك ماذا يا عزيزتي. أنا بعدما أحضرتك إلى هنا وأطمأننت أنك تحت رعاية طبية جعلت فتحي

يعيدني إلى ذلك المنزل الريفي وأحضرت حقيبك يدك. خفت أن أتركها في المنزل الريفي فتسرق وأحضرتك كذلك حقيبة سفري وحقيبة سفرك. ما رأيك أن نذهب أنا وأنت إلى أسوان. يمكنك أن تمددي على الكنبة الخلفية في الأتوبيس الكبير الذي جاء به فتحي بالأمس. فتحي قال لي أنه جاهز لكي يأخذنا أنا وأنت فقط إلى أسوان، حيث أنه قلق مثلي بسبب نقص إمكانيات هذا المستوصف الطبية. أسوان فيها مستشفيات كبيرة وأطباء ذووا خبرة. أنا لا أطمئن إلى العلاج الذي تلقيته هنا. المكان يبدو بسيط والطبيب صغير السن. الأتوبيس الذي أحضروه في هذه المرة مكيف وكبير، وبعدما يوصلنا فتحي والسائق إلى أسوان يمكنهما العودة لأخذ بقية الركاب من ذلك المنزل الريفي. لا أظن أن بقية الركاب سيستيقظون إلا بعد حوالي أربع ساعات على الأقل ووقتها نكون نحن قد وصلنا إلى أسوان ونستريح هناك إما في الفندق الكبير الذي حجزوا لنا فيه أو إذا كنت لازلت متعبة ذهبنا إلى مستشفى. ولكن لا يمكننا البقاء هنا حتى يستيقظ الركاب. لو ساءت حالتك أكثر من ذلك فماذا نفعل هنا؟"

كنت أشعر بألم شديد في معدتي ورأسي وقلت لها: "لا استطيع يا دكتورة. أنا أصلاً أشعر بدوار شديد ولن أحتمل رحلة طويلة بالأتوبيس إلى أسوان وأنا في حالتي هذه. أنا أفضل أن أبقى في المستوصف هنا عدة ساعات حتى أستعيد قوتي ويستيقظ بقية الركاب ويركبون الأتوبيس ووقتها يمكنهم أن يمروا علي لأخذي معهم في طريقهم إلى أسوان."

في تلك اللحظة دخل الطبيب والممرضة علينا وسألت أنا الطبيب: "هل يمكنني يا دكتور أن أبقى هنا بضعة ساعات حتى أفيق بشكل كامل وأستعيد عافيتي. أنا أشعر بدوار شديد الآن ويمكنني أن أدفع مقابل الوقت الذي أمضيه ممددة في العيادة."

وقال الطبيب: "خذي راحتك. لا أظن أن مرضى جدد سيأتوننا الآن حتى الصباح وهناك كذلك غرفة ثالثة في المستوصف يمكننا أن نستقبل فيها أي مرضى جدد يأتوننا. الوردية المناوبة الجديدة ستبدأ بعد عدة ساعات ووقتها قد يطلب الطبيب منك الذي يعمل في هذه العيادة أن تخليها أما أنا فلا أحتاج هذا المكان الآن. سأجلس في مكتب المستوصف حتى نهاية المناوبة."

وسألته: "وهل يمكنني أن أستغل كرمك أكثر من ذلك وأحصل على كوب من الشاي."

وقال الطبيب: "نعم. طبعًا. يمكن للممرضة فاطمة" وأشار إلى الممرضة المرافقة له، أن تعد لك شاي وقهوة وكل ما تريدينه. كذلك يمكنها أن تشتري لك ما تشائين من الكانتين الخاص بالمستوصف. أنا أنصحك بتناول الطعام لأن ما حدث قد استنفذ طاقة جسمك. فاطمة يمكنها كذلك أن تحضر لك ساندوتشات. أنا أنصح بسندوتشات مربى وأشياء خفيفة. معدتك لن تحتمل الفول والطعمية أو الأطعمة المقلية الآن. أنا سأذهب الآن لمكتب المستوصف ولو احتجت لشيء أرسلي الممرضة فاطمة كي تستدعيني. أنا لا يمكنني أن أعطيك أي مسكنات أو مهدئات حيث أن مشكلتك كما قلت لك وقد أعطيتك بالفعل دواء لمشكلة معدتك، وسرعان ما سيعمل الدواء وستشعرين بمفعوله. هل تريدين شيئًا بخلاف الشاي والسندوتشات؟"

كان شابًا صغيرًا هادئًا وكان من الواضح أنه يبذل كل جهده للمساعدة، وشكرته أنا وقلت له: "شكرًا يا دكتور. ربنا يبارك في عمرك، ولكن لو سمحت بالنسبة لحساب المستوصف وثمن العلاج."

وقال الطبيب: "في الواقع الأستاذ زميلك في الرحلة دفع الحساب مقدمًا وترك مبلغ لأية مصاريف إضافية، وما دفعه يغطي جميع المصاريف ومصاريف أي شيء قد تحتاجينه بعد ذلك."

وسألت الدكتور: "زميلي في الرحلة!"

وردت د. سلوى: "ماذا هناك يا ضحى؟ لا داعي للحديث عن هذه الأشياء الصغيرة. نحن شاكرين جدًا لك يا دكتور عنايتك بها."

قالت هذا للدكتور الشاب الذي عالجني والذي اتهمني ضمنًا أنني مدمنة مخدرات.

ورد الدكتور: "لا شكر على واجب. إنه واجبي. على العموم. كلي جيدًا. الحمد لله على سلامتك."

وغادرنا الطبيب وسألت أنا د. سلوى: "د. سلوى. من دفع الحساب؟"

وردت: "إنه فتحي. لقد أعطيته المال ليذهب إلى الحسابات ويرى كم يطلبون وقلت له أن يدفع جميع المبالغ التي يريدونها كلها مقدمًا حتى نضمن أن يهتموا بك."

وطبعًا كان ذلك الخبر غير سار لي بالمرة، فأنا لا أحب أن يدفع لي الناس مصاريف أي شيء يخصني.

وقلت لد. سلوى شاكرة: "هل هذا معقول يا د. سلوى؟ حتى الأخوات الشقيقات لا تفعلن هذا مع بعضهن البعض. كم دفعت؟"

وردت د. سلوى: "لا والله. لن تردي لي مليمًا. الحساب كله كان مبلغًا صغيرًا جدًا، وأنت ترين بنفسك مستوى المستوصف هنا. إنه مجرد مستوصف فقير."

وقلت لد. سلوى: "أنا عاجزة عن الشكر يا دكتورة."

طبعًا لم أرد أن أفسد على د. سلوى احساسها بالسعادة بسبب الجميل الذي أسدته لي وأن أحرجها بإصراري على رد المال لها، ولكني آليت على نفسي أن أدفع قيمة ذلك الحساب لها فيما تبقى من الرحلة

بأن أدفع لها حسابها في المطاعم والتنقلات كتعويض عن أجر الخدمة الطبية وبقية الأشياء التي قدموها لي في ذلك المستوصف."

ونظرت إلى الممرضة والتي كانت تقف بجانبنا تنتظر طلباتي بالنسبة لما ستحضره لي من الكانتين. وقالت د. سلوى: " أنا سأذهب إلى فتحي كي يذهب بالأتوبيس إلى ذلك البيت الريفي وينام قليلاً هو والسائق فهما لم يستريحا منذ صباح أمس على أن يعود إلينا بالأتوبيس عندما يستيقظ بقية الركاب ويمروا علينا بالأتوبيس أثناء ذهابهم إلى أسوان."

تحدثت إلى تلك الممرضة وطلبت بعض السندوتشات كما أمر الطبيب ودفعت لها حساب السندوتشات والشاي وخلافه.

ماجد يحكي:

وصل الأتوبيس إلى ذلك المستوصف الذي كانت ترقد به د. ضحى. توقف الأتوبيس لدقائق وظهرت د. ضحى تتحرك مستندة إلى ذراع د. سلوى. كانت د. ضحى ترتدي ملابس الخروج ولم تكن بقميص النوم، وكان يبدو عليها بعض الإعياء ولكنها كانت منتبهة وتتحرك بشكل معقول. أحسب أنها كانت لا تزال تشعر بالتعب ولكن سرعان ما ستكون بخير. هذا تقديري أنا وأنا لست طبيبًا بالطبع.

حين ظهرت د. ضحى واقفة داخل الأتوبيس، صفق الجميع بحماس وغنى لها المصريون: "حمد لله على السلامة يا أبو أجمل ابتسامة."

جلست د. ضحى على مقعدين وثنت قدميها وكانت شبه ممددة بالقدر الذي يسمح به طول المقعدين بينما جلست د. سلوى مقابلها في المقعدين المقابلين في الحافلة وكانت تعتني بها.

الفصل السادس: ما حدث في أسوان

ماجد لازال يحكي

وذهبت لأحيي د. ضحى. كانت ممددة ووجهها شاحب قليلاً وكانت مغمضة العينين ولكنني قلت لها: "حمدًا لله على سلامة حضرتك. آمل أن تكوني قد أصبحت بخير."

وردت د. ضحى وقد فتحت عينيها: "الحمد لله. شكرًا على سؤال حضرتك عني يا أستاذ ماجد."

وقلت لها: "لا شكر على واجب. ما هو تشخيص الطبيب لحالة حضرتك؟ آمل ألا يكون السبب هو قرصة ثعبان أو عقرب."

ومن جانبي أتى صوت د. سلوى: "عقرب! من تحدث عن عقارب؟ كما ترى الدكتورة متعبة ولا تحتاج إلى أن يصدر أحدهم فألا سيئًا بشأنها. تفائلوا بالخير تجدوه."

وقلت لها وقد ضايقتني عدوانيتها وتدخلها في حديثي إلى د. ضحى: "أنا لا أتحدث عن فأل سيء. أنا فقط أطمئن."

وردت د. سلوى: "وهل من يطمئن على شخص ما يقول له قرصك عقرب؟ اطمئن. الدكتورة بخير. هي فقط لم تسترد قوتها بعد. وهي لا تحتاج إلى من يضايقها. ليتك تتركها في حالها أفضل."

والتفت لد. سلوى وقلت لها: "أنا أصلاً لم أتحدث معك ولم أوجه لك أية كلمة."

ورفعت د. سلوى من صوتها وهي تقول: "أنت أصلاً لا تجرؤ على التحدث معي. تقول أنك تريد أن تطمئن وها أنت ذا قد أطمأننت. ماذا تريد بعد؟"

وسرعان ما أتى فتحي من مقدمة الأتوبيس وقد بدا عليه الانزعاج بسبب صوت د. سلوى العالي وسأل فتحي د. سلوى: "خيرًا يا دكتورة. هل هناك شيء؟"

وردت د. سلوى: "اسأل البيه. أتى يضايقنا."

وقلت لفتحي معترضًا: "أنا أصلاً لم أحدثها، ثم إن هذه المرأة لسانها طويل وهي تهين الناس بدون وجه حق. من تظن نفسها؟"

ورد فتحي بصوت عالٍ هو الأخر: "يا أستاذ أنت أصلاً لا شأن لك بها. هاتان هما امرأتانِ وحدهما. المفروض أن تبتعد عنهما."

واستفزني رد فتحي جدًا وقلت له بغضب: "وهل فعلت أنا شيئًا خطأ؟"

ورد فتحي بصرامة: "نسأل الله ألا يحدث خطأ أبدًا. ليتك تعود إلى كرسيك وتلزمه من فضلك."

وصرخت به وأنا أنظر إلى د. ضحى والتي لم تعرني أي اهتمام وأغلقت عيناها في تعب. صرخت في فتحي: "أنا فقط كنت أطمئن."

ورد فتحي: "ألا تسأل نفسك لماذا أنت فقط أتيت لتطمئن على الدكتورة؟ هؤلاء الركاب جميعًا سادة مهذبون ومع ذلك لم يحاول أي منهم الاطمئنان على الدكتورة بهذه الطريقة. عد إلى كرسيك يا أستاذ وفي خلال بضع ساعات قليلة ستجد نفسك في أسوان وهناك ستجد أشياء تشغلك."

عدت إلى كرسيي وأنا أغلي من الغضب. الدكتورة سلوى وفتحي كلاهما يتصرفان وكأنني قد تجاوزت حدودي حين سألت د. ضحى هل هي بخير وكأن هذا ليس من حقي، وماذا فعلت أنا أصلاً؟ أنا فقط أردت أن أطمئن عليها والمرأة شكرتني وعلى حد علمي لم يصدر مني ما يُشين. وزفرت بحرقة. هذه الرحلة لم يكن يجب أن أخرج

فيها. كنت في بدايتها آمل أن تتحسن الأحوال ولكن منذ بداية الرحلة والأحوال من أسوأ إلى أسوأ. لا أفهم لماذا يتصرف الناس هكذا.

مر الوقت ثقيلاً لساعات وكنت أنا مشغولاً في أفكاري واحساسي بالإهانة حتى أنني لم أنتبه عندما دخلنا مدينة أسوان وبدأت آثار العمران تظهر في المدينة ونحن نتحرك من الريف. توقف الأتوبيس وأفقت من أفكاري السوداوية على صوت فتحي يقول: "والآن وبعد رحلة طويلة، وصلنا إلى الفندق في أسوان." وأعادها فتحي بالانجليزية.

صفق الركاب جميعًا بحماس ونظرت أنا إلى الفندق الذي كان الأتوبيس يقف بجانبه. طبعًا كان الفندق خمس نجوم كما يُتوقع طبقًا للمبلغ الذي دفعناه لتلك الرحلة. حتى وصولنا إلى ذلك الفندق كانت كل ترتيبات الرحلة تشبه كما لو كنت قد خرجت مع مركز شباب أو جمعية خيرية ولكن بوصولنا إلى أسوان تعدلت الأمور. كان الفندق كبيرًا وجميلاً ونظيفًا وصعدت إلى غرفتي فوجدتها جميلة ونظيفة واستحممت بماء ساخن وغزير ومن الدش وصففت حاجياتي في الخزانة المخصصة لذلك وقمت بتعليق ملابسي المكوية واستعددت للحياة السعيدة، وأحسست بالتسامح مع كل ما فات في تلك الرحلة ومع الشركة التي بهدلتنا في تلك الرحلة. أخيرًا تم تعديل الميزان. ارتديت ملابس نظيفة ذات رائحة جميلة ووضعت بضع رشات بارفان فخم كانت ابنة اختي قد أتتني به من الإمارات وأحسست أنني شخص جديد جديد جديد.

نزلت إلى مطعم الفندق لآكل ما لذ وطاب. قررت أن أنفق بسخاء في تلك الليلة لتعويض التقشف الذي عانيت منه في اليوم السابق.

ضحى تحكي:

وصلنا إلى الفندق، وتبين لي أنني سأشترك مع دكتورة سلوى في غرفة واحدة في ذلك الفندق كذلك، حيث أخبرنا فتحي أن حجز

الفندق لم يشمل غرفة خاصة للأستاذ ماجد والذي أصر على أن تكون له غرفة خاصة به وحده، وقال أنه قد اتفق على ذلك عندما دفع ثمن الرحلة، وبالتالي كان على أثنين من أفراد الرحلة أن يتنازلا ويقيما في غرفة واحدة وعندما عرض علي فتحي أن أتنازل وأقيم مع د. سلوى في نفس الغرفة قلت له أنني موافقة على أن توافق د. سلوى كذلك.

كنت أعرف ما أحتاجه واتجهت فور دخولي إلى الفندق إلى الكافيتريا الخاصة به، حيث تُباع القهوة وهناك طلبت قهوة اسبريسو دوبل. كنت أحتاج تلك القهوة بشدة كي أفيق من الدوار والتعب والرغبة في النوم وهذه المشاعر التي كنت أشعر بسببها بالاحباط والاكتئاب. ذهبت لأشرب القهوة لذلك السبب أولاً وثانيًا كي أتيح لدكتورة سلوى وقتًا كافيًا كي تستحم وتغير ثيابها حيث أن الغرفة بالطبع كان بها حمام واحد، وقلت ذلك لد. سلوى. قلت لها أن الاستحمام بالتأكيد سيكون مناوبة وسأعطيها الدور الأول وسأبقى في المقهى لمدة نصف ساعة أو نحوها حتى تُقدم لي القهوة وأشربها.

بعدما شربت القهوة جائتني د. سلوى وكانت قد استحمت وغيرت ثيابها وتبدو نضرة جدًا ومستمتعة بوقتها بعدما عانينا منه في الليلة السابقة. جائتني د. سلوى في الكافيتريا وأعطتني مفتاح الغرفة وقالت لي أنها تنتظرني في المطعم لكي نتناول طعام الغذاء معًا. بعدما شربت القهوة أحسست أنني على ما يرام تمامًا وشعرت بدفقة من القوة أعطتها لي القهوة الاسبريسو دوبل وطبعًا معروف أن الاسبريسو هي القهوة التي تحتوي على أكبر كمية من الكافيين.

صعدت إلى الغرفة واستحممت ووضعت ثيابي في الخزانة وعلقت الثياب المكوية في خانة التعليق. كنت د. سلوى قد تركت لي نصف المساحة في كل شيء. المهم رتبت أموري داخل غرفة الفندق ثم نزلت إلى الطابق الأول بالفندق حيث قصدت إلى المطعم.

كانت د. سلوى قد سبقتني إلى المطعم وكانت جالسة على منضدة تقرأ الجريدة اليومية وتقلب في صفحاتها. عندما وصلت إلى المنضدة قلت لها: "آسفة يا د. سلوى. لقد تأخرت عليك. قضيت وقت أطول من اللازم في الحمام. لقد أوحشني الدش والمياه الساخنة الغزيرة على الرغم من أنني لم أتركها سوى يوم واحد فقط، ولكن رحلة الأمس ما بين الرحلة المتعبة والبيت الريفي البدائي ومستوصف الخدمة الليلية قد جعلتني أتوق إلى الاستحمام بماء غزير كما فعلت منذ قليل."

قالت د. سلوى: "لا عليك يا ضحى. أنا استعجلت لأنني كنت أريد أن انتهي بسرعة من استحمامي لأنك كنت تنتظرين، ولكني أنوي أنا كذلك أن استحم لوقت طويل بعدما ننتهي من جولاتنا السياحية اليوم."

وسألتها: "هل طلبت غذاء؟"

وردت د. سلوى: "نعم. طلبت لنفسي ولك حساء طماطم وهذا المطعم يعده بشكل رائع، وقد جربته هنا من قبل. وطلبت لنفسي لازانيا وستيك مشوي ونبهت على النادل أن يأتي كي يتلقى طلبك بمجرد جلوسك على المائدة."

ووصل النادل فعًلا بمجرد جلوسي وسأل: "طبعًا حضرتك د. ضحى. صديقتك، وأشار إلى د. سلوى، نبهت علي أن أحضر بمجرد وصولك إلى المائدة. ماذا تحبين أن تتناولي؟"

وأجبته: "للأسف. أنا معدتي متعبة من الأمس. سأتناول حساء الطماطم فقط."

وقالت د. سلوى: "كلا يا ضحى. إرحمي نفسك يا ابنتي. أنت فعلاً لم تأكلي أي شيء منذ سندويتش المربى الذي تناولتيه عند الفجر، وقد قال الطبيب أنك يجب أن تأكلي. لن تعيشي على الهواء يا ابنتي."

والتفتت أنا للنادل وابتسمت وقلت له: "للأسف. لا أشعر بالرغبة في تناول شيء الأن. يكفي حساء الطماطم."

وانحنى النادل قليلاً وأومأ رأسه بمعنى أنه قد فهم وانصرف.

ما إن انصرف النادل حتى أتى الأستاذ ماجد وسأل بأدب: "هل يمكنني أن أجلس معكما؟"

طبعًا هذا الرجل قد تلقى الكثير من الاهانات والتقريعات لدرجة أنني فتحت فمي مشدوهة حين سأل ذلك السؤال. كل هذه الاهانات تلقاها ولا يزال يطمح إلى الجلوس مع د. سلوى على نفس الطاولة. الحق أنه حقًا متسامح. متسامح أكثر من اللازم في نظري.

خفت أن تهينه د. سلوى مرة ثانية والرجل لم يفعل أي شيء خطأ ولهذا بادرت بسرعة بالرد عليه وقلت: "نعم يا أستاذ ماجد. تفضل حضرتك. Have a seat."

أحسب أن دهشة د. سلوى من تصرف الرجل ربما كانت أكبر من دهشتي حتى أنها منعتها من أن تبادر بالرد على سؤاله قبلي.

وما إن جلس الأستاذ ماجد حتى بادرته د. سلوى بقولها: "إمرأتان تجلسان وحدهما. لماذا ترغب في الجلوس معهما؟"

وابتسم الأستاذ ماجد بتسامح. هذا الرجل غير منطقي. وقال: "عادي جدًا. أنا زميلكما في الرحلة وأنا لا أحب أن آكل وحدي وهذا هو ميعاد وجبة الغذاء."

وابتسمت له أنا مشجعة إياه على الاستمرار في الجلوس. الحق أنني كنت أشفق عليه. يبدو أنه انسان طيب فعلاً ولكن من الواضح أنه لا حظ له. ستأكله د. سلوى مع الطعام في اللحظات التالية.

وسألته د. سلوى: "ولماذا لا تجلس مع رجال أمثالك؟" وأشارت د. سلوى إلى طاولة يجلس عليها اثنان من الرجال المصريين المرافقين لنا في الرحلة ويجلس معهما رجل أجنبي لاحظت أن يتحرك معهما في كل مكان. يبدو أنهم مجموعة واحدة.

ورد الأستاذ ماجد: "هولاء الثلاثة لا يريحونني، ثم هم لا يحبون أن ينضم إليهم أي شخص أخر، ربما فيما عدا فتحي. لقد حاولت أن أتعرف عليهم في الأتوبيس الأول الصغير بلا جدوى. عرفت اسمائهم بالكاد. الأجنبي الذي معهم يتحدث العربية بطلاقة ولكن بلكنة أجنبية، وهو يرفض أن أسميه "خواجة." لا أدري لماذا أحس أنهم عصابة. لو علمت أنهم يرتكبون أعمالاً إجرامية لما أدهشني الأمر."

وقالت د. سلوى موبخة إياه: "أليس من العيب أن تتحدث عن أناس محترمين كهؤلاء من وراء ظهورهم بهذا الشكل؟ من يصدق أن هؤلاء الرجال المحترمين الثلاثة يمُكن أن يُظن بهم أنهم عصابة؟"

ثم أشارت د. سلوى للأستاذ ماجد باصعبها بشكل مستفز من أعلى لأسفل ومن أسفل لأعلى وكأنها تحقره. لا أفهم ما الذي يضايقها في ذلك الرجل. هو فقط شخص ودود. ويمكن أن يكون ودودًا أكثر من اللازم قليلاً. أم لعلني أنا من أعمى عن خطأ أساسي فيه؟ ألا يبدو غريبًا بعض الشيء؟ وإصراره على التودد لنا غريب أيضًا.

وقالت د. سلوى وهي تخفض صوتها: "هؤلاء الرجال "عصابة" وأنت الرجل الشريف. لا تجعلني أضحك. قارن نفسك بهم. أنظر ماذا يلبسون وماذا تلبس أنت. على الأقل هم رجال يجلسون مع بعضهم البعض في حالهم ولا يتنطعون على مائدة تجلس عليها إمرأتان وحدهما."

أكثر ما يغيظ في ذلك الرجل أنه يتلقى الاهانة تلو الاهانة دون أن يظهر عليه أنه تضايق. لم يظهر الأستاذ ماجد الضيق بل ابتسم

بتسامح وقال لد. سلوى مجادلاً: "أنت تكررين هذه العبارة "إمرأتان بمفردهما" "إمرأتان وحدهما." حين أسمعك يا دكتورة أشعر أنني في القرن الثالث عشر."

وقالت د. سلوى وهي تزم شفتيها: "الأصول لا تتغير."

ورد عليها الأستاذ ماجد بشكل منطقي وقال: "وأنا لم أفعل أي شيء يخالف الأصول. أنا، لو تذكرت حضرتك، استأذنت قبل أن أجلس ولو كنت حضرتك تمانعين في جلوسي معكما فما الذي منعك من الاعتراض. إلا لو كنت حضرتك قد أردت أن أجلس حتى تسيئي معاملتي وهذا ظلم كبير."

وردت د. سلوى وكان من الواضح أنها قد بدأت تفقد أعصابها: "هل انتهيت من كلامك؟"

ورد الأستاذ ماجد: "كلا حضرتك. هناك شيء أخر لابد أن تسمحي لي أن أعترض عليه. أولاً أنت قلت أن ملابس هؤلاء الثلاثة أقيم من ملابسي وبالتالي فلابد أنهم أفضل مني. وأنا لا أفهم ما هي علاقة الثياب بالخيرية؟ هل يجب على الأفضل أن يلبس ثيابًا أفضل دائمًا؟ كلا طبعًا. الخير والشر هما صفتان مكنونتان لا يمكن معرفتهما من المظهر، ثم إن لدي أسبابي كي أشك فيهم واستنتج أنهم عصابة."

وصاحت د. سلوى: "أنا غير مهتمة بالمرة بمعرفة أسبابك."

وقاطعها الأستاذ ماجد. هذا الرجل يصر على أن تقوم د. سلوى بإهانته. د. سلوى ليست من النوع المتسامح وهي متحاملة عليه من الأصل. أعصابها لن تحتمل أكثر من ذلك، وقال الأستاذ ماجد مقاطعًا لها: "كذلك أنت تكررين عبارة "إمرأتان وحدهما" "إمرأتان تجلسان وحدهما." وهذا غير حقيقي. نحن نجلس هنا في مكان عام وحولكما يوجد أكثر من عشرين شخص بالمطعم وسيأتي عشرون أخرون إلى هنا لأن هذا هو وقت الغذاء. أنا أريد أن أسأل حضرتك

فقط لماذا تعاملينني بشكل غير جيد رغم أنني أعامل حضرتك بشكل جيد جدًا وبمنتهى الاحترام ولا أرى أنني تجاوزت حدودي ولا مرة واحدة منذ تعرفت على حضرتك؟"

لم ترد د. سلوى بل نظرت فوق كتف الأستاذ ماجد واتجهت عيناي أنا إلى نفس الاتجاه لأرى ما لفت انتباهها. كان فتحي مشرف الرحلة قد دخل من باب المطعم. واتجه إلى طاولة الرجال الثلاثة المشتركين معنا في الرحلة وجلس عليها قليلاً وبدا وكأنه يتفق معهم على شيء ثم تركهم وتوجه إلى منضدتنا، وقال فتحي: "صباح الخير يا جماعة. هل يمكن أن أجلس معكم لدقائق؟"

وردت د. سلوى فورًا: "صباح الخير يا فتحي. تفضل بالجلوس."

جذب فتحي كرسيًا وجلس وقالت له د. سلوى: "الحمد لله أنكم في هذه المرة قد جعلتمونا ننزل في فندق محترم. كنت أضع يدي على قلبي من الخوف من أن أجد نفسي في فندق درجة عاشرة مثل البيت الريفي الذي وضعتمونا فيه بالأمس."

ورد فتحي بجدية: "يا دكتورة ذلك البيت الريفي نتج عن ظروف الطريق وكذلك الأتوبيس الصغير الأول نتج عن ازدحام الموسم السياحي وعدم إيجاد الشركة لأتوبيسات مناسبة، ولكن أنت طبعًا تعرفين شركتنا وقد خرجت معنا في رحلات قبل ذلك وسنعوضكم من الآن فصاعدًا عن أي تقصير حدث في الرحلة قبل ذلك."

وسكتت د. سلوى وإن كانت لا تزال تزم شفتيها متبرمة وكأنها لم تقتنع بما قاله فتحي، ولكن فتحي أكد لها: "سترين يا دكتورة أن وعود شركتنا حقيقية. البرنامج السياحي للرحلة سيبدأ غدًا. الشركة تعتذر عن الازعاج الذي سببته لكم أمس وقد قررت أن يكون اليوم يوم حر تنتقلون فيه كما تشاؤون أو ترتاحون في الفندق كيفما يحلو لكم. نحن قدرنا أنكم قد تكونون متعبين من الرحلة الصعبة التي مررتم بها بالأمس ولهذا تركنا لكم يوم للراحة، ومن الغد يبدأ تنفيذ

برنامج الرحلة التي خرجتم في الرحلة على أساسه. الشركة كاعتذار منها عن أية مصاعب واجهتموها بالأمس سوف تزيد مدة الرحلة يومًا إضافيًا تتحمل فيه الشركة تكاليف الإقامة في هذا الفندق وكذلك مصاريف الانتقالات والبرنامج السياحي. لقد أتيت لتوي من غرف السياح الأجانب المشتركين معنا في الرحلة وقد وافقوا جميعًا على مد فترة الرحلة يومًا إضافيًا وعلى أن يكون هذا اليوم للراحة."

وأشار فتحي إلى الطاولة التي يجلس عليها الثلاثة رجال المشتركين في الرحلة وقال: "والأساتذة هناك كذلك وافقوا على نفس الشيء أن يتم زيادة مدة الرحلة يومًا وأن يكون هذا اليوم للراحة. هل توافقون أنتم على ذلك؟"

وقالت له د. سلوى: "أنا موافقة. هذا الترتيب مناسب جدًا بالنسبة لي، ولو تمت بقية الرحلة بشكل مناسب فسأعتبر هذا اعتذارًا مقبولاً من شركتكم على البهدلة التي عانينا منها بالأمس. ما هو رأيك يا ضحى؟"

ورددت أنا: "أنا كذلك أوافق."

وأجاب الأستاذ ماجد: "وأنا كذلك موافق. فعلاً لقد تعبنا من السفر هذه المرة وأنا لم أنم جيدًا ليلة أمس، ولهذا فما يجب أن نفعله هو أن نرتاح ثم نخرج في جولات في المدينة في المساء وغدًا إن شاء الله يبدأ البرنامج السياحي. أنا شخصيًا أنوي أن أنام في غرفتي حتى المساء وفي المساء أتمشى حتى مرسى المراكب هنا. أنا أحب المشي في أسوان على شاطيء النيل فهي مدينة ساحرة."

وسألت أنا فتحي: "وماذا فعلت يا فتحي في الموضوع الخاص بي؟"

وقال فتحي: "أفضل يا دكتورة أن نتحدث في هذا الأمر لاحقًا وليس الآن."

وجال فتحي ببصره حول المائدة وكأنه يرسل لي رسالة واضحة بدون كلام أنه لا يجوز الكلام أمام الأستاذ ماجد ود. سلوى، وبالطبع فقد كان الأمر على أعلى درجة من السرية.

وشعرت أنا بقلق شديد وسألت فتحي: "هل رفضوا الزيارة؟"

وأجاب فتحي: "كلا. هم لم يرفضوها ولكنهم أجلوها فقط. سوف نقوم بالزيارة في آخر أيام هذه الرحلة، وهذا كان أحد أسباب أننا زدنا أيام الرحلة يومًا إضافيًا وسوف نقوم بتعديل حجز حضرتك في الفندق هنا طبقًا للتطورات التي تنشأ عن الزيارة."

وسألت فتحي مجددًا: "وهل وفروا لي عينات ومعمل أفحصها فيه أو هل قالوا أنهم سيوفرون أية تسهيلات؟"

ورد فتحي: "لا يا دكتورة. لقد فضلوا أن تقومي أنت بنفسك بتحديد الأماكن التي ستأخذين منها العينات أثناء الزيارة وسيقومون بتوفير التسهيلات بعد ذلك طبقًا لتطورات الزيارة."

وطبعًا كان هذا الأمر غير مرضي بالمرة بالنسبة لي. المشكلة أن الناس في مصر وخاصة موظفي الحكومة يتصفون بالبطء الشديد والعقبات كثيرة والروتين يؤجل كل شيء وأنا ليس لدي وقت لكل هذا. لابد أن أعود للجامعة في ألمانيا بسرعة، ولابد أن أكون قد حسمت كل شيء قبل العودة.

وقلت لفتحي وأنا أتعمد اظهار ضيقي وامتعاضي: "يا فتحي أنا ليس لدي الكثير من الوقت. لماذا أجلوا الزيارة؟"

ورد فتحي: "هم يقولون أن الأمر يحتاج لترتيبات. للأسف يا دكتورة. الناس مثل حضرتك القادمون من الخارج يكون قلبهم حامي ويستعجلون في فعل كل شيء ويكونون مرتبطين بجداول عمل ومواعيد في بلادهم، إنما في بلادنا الأشياء تأخذ الكثير من الوقت. أنت تعرفين الروتين."

وقرر الأستاذ ماجد في هذه اللحظة أن يكون نفسه، ولا أدري لماذا تأخر هكذا في فعل ذلك فسأل ببساطة: "ما هو الموضوع؟"

وردت د. سلوى بغلظة: "ها أنا ذا أجلس على نفس المنضدة مثلك تمامًا ولا أعرف ما هو الموضوع ولكني لم أسأل لأنه من الواضح أن الموضوع لا يخصني."

وسأل الاستاذ ماجد: "ماذا! هل هذا الموضوع سر مثلاً؟"

وردت د. سلوى بحزم: "لا تسأل."

وظهر على وجه الأستاذ ماجد الضيق ولكنه سرعان ما ظهر أنه تناسى ضيقه وقال: "على العموم بما أن فتحي قد انضم إلينا فأنا أدعوكم جميعًا إلى الغذاء على حسابي."

ورد فتحي وهو يتثائب: "كلا. لا تحتسبني ضمن الضيوف في هذه الدعوة يا أستاذ ماجد. أشكرك كثيرًا ولكني لم أنم منذ يومين، ولست جائعًا للطعام. أنا فقط جائع للنوم وسوف أنتهز فرصة اليوم الحر وأذهب الآن لأنام. نلتقي غدًا صباحًا إن شاء الله في أتوبيس الرحلة."

قام فتحي وانطلق بسرعة مغادرًا المطعم.

وعلى الرغم من أن فتحي قد رفض دعوته للغذاء، فإنه من الواضح أن الأستاذ ماجد لم يشعر بأي حرج، بل قال محدثًا إياي ود. سلوى: "خسارة أن فتحي لن يأكل معنا. انتهى الأمر. إذا فأنا أدعوكما لتناول الغذاء على حسابي."

وردت د. سلوى وقد بدا عليها الغضب الشديد: "ماذا؟"

ورد الأستاذ ماجد مبتسمًا وهو يجيل بصره بيني وبين د. سلوى: "أنا سأدفع حساب هذه المائدة. الدكتورة" وأشار الأستاذ ماجد إلي،

"لها عندي وجبة غذاء دعوتها عليها في القاهرة ولم يكن لديها وقت لتناولها، ولكنها حق لها عندي وأنا سأدعو حضرتك يا د. سلوى كذلك إلى الغداء كعربون تعارف بيننا."

وصرخت د. سلوى بدون مناسبة لذلك: "ماذا! الحق أنك انسان غريب." وارتفع صوتها عاليًا جدًا ومحدثًا صريرًا من فرط غضبها "غريب .. غريب." قالتها وهي تمد الكلمة لتؤكد عليها "أنا لم أر مثلك ولن أرى مثلك. بأية مناسبة تدعو نساءًا مثلنا على الغذاء يا حضرة."

النادل بالتأكيد قد ارتعب حين سمع صوتها الغاضب يزأر كالأسد ويعصف بقاعة الطعام، ووجدنا النادل فوق رؤوسنا بمجرد انتهاء د. سلوى من حديثها وسأل النادل د. سلوى: "هل هناك شيء يا دكتورة؟"

وصرخت د. سلوى: "من فضلك. اجعل هذا البني آدم يمشي من هنا."

وقال النادل محدثًا الأستاذ ماجد بحسم: "من فضلك يا أستاذ. الطاولة هناك" وأشار إلى أبعد طاولة عن طاولتنا في الجانب الآخر من المطعم "خالية. أرجو أن تنتقل إليها."

وقال الأستاذ ماجد غاضبًا بدوره: "كلا. أنا لن أقوم من مكاني. أنا عندما جئت إلى هذه الطاولة استأذنت وهاتان المرأتان قد اذنتا لي وأسأل د. ضحى إن كنت لا تصدقني."

وصرخت د. سلوى: "أذنا لك قبل أن تستفزنا بحديثك السخيف."

وقال النادل وهو يحاول أن يخفض صوته وعينا كل أنسان في المطعم موجهة إلينا: "من فضلك يا أستاذ. المطعم يمتليء بالسائحين الأجانب وهناك الكثير من الزبائن المحترمين جالسين.

أرجوك أن تغير مكانك. لا أريد احراجًا. افعل ذلك من أجلي. أرجوك."

من الواضح أن حديث النادل بهذه الطريقة قد أثر على الأستاذ ماجد والذي انصاع للنادل وقام. أنا شخصيًا كنت أضع يدي على قلبي خوفًا من فضيحة ومشاجرة تحدث بين د. سلوى والأستاذ ماجد داخل المطعم وبدون أي سبب لذلك.

وقال الأستاذ ماجد للنادل: "سأقوم من أجلك فقط." وبعدها التفت الأستاذ ماجد إلي وإلى د. سلوى وكالعادة قال ما كان يجب ألا يقوله أبدًا: "هذه آخر مرة أطلب فيها أن أجلس معكما. أنتما من ضيعتما على أنفسكما الفرصة."

ورغم أن الجو كان مكهربًا للغاية إلا أنني فجأة أحسست بالرغبة الشديدة في الضحك وبذلت كل جهدي كي لا أضحك. قال الأستاذ ماجد هذه الكلمات ثم اتجه إلى المنضدة التي أشار إليها النادل وجلس أمامها وهو ينظر ناحيتنا بحقد شديد. للأسف أحس في كل مرة أن هذا الرجل يظلم نفسه بسبب تلقائيته الشديدة وعفويته وكونه لا يحسن استخدام كلماته.

عندما قال الأستاذ ماجد تلك الكلمات الأخيرة قبل أن يتحرك من مائدتنا، رأيت د. سلوى وكأنها تستعد للرد عليه بشكل قوي كعادتها ووضعت أنا يدي على ذراعها مهدئة لها والحمد لله انصاعت لي ولم تحدث المشاجرة التي كنت أخاف منها، وكأنني جالسة بين طفلين غضوبين.

وطلبت أنا من النادل كوب من عصير الليمون ليهدىء أعصاب د. سلوى وبعدما شربته أحسست أنا أنها قد هدأت وعاتبتها وقلت لها: "لماذا يا د. سلوى غضبت هكذا؟ بما أننا لم نكن لنلبي دعوته فقد كان يكفينا أن نرفض بهدوء وبلطف. لم يكن هناك داعٍ لكل هذا الغضب وأن نحرجه بهذا الشكل."

وردت د. سلوى: "أنا أعرف أمثال هذا الرجل وكيف يجب التعامل معه. أنت يا حبيبتي قضيت وقتًا طويلاً بعيدًا عن مصر ونسيت طباع أمثال هذا الرجل الحقير. لا يليق أن يأتي شخص ويغازل نساءًا في مثل سننا هكذا على الملأ وأمام الناس. هذا لا يليق البتة، فضلاً عن سلوكه المستفز وغلظت د. سلوى من صوتها وقالت تحاكي نبرة الأستاذ ماجد: "سأدعوكما على الغذاء. سأدفع حساب الغذاء." من يظن نفسه كي يمن علينا بهذا الشكل؟ الناس قد فقدت حيائها."

وقلت لد. سلوى: "لا أظن أن الأستاذ ماجد كان يقصد أن يغازلنا."

وردت د. سلوى بلهجة ذات مغزى: "إذا فماذا يريد منا؟"

وسكت أنا وضحكت في سري. الحقيقة التي ظهرت لي في الفترات السابقة ومن ذلك الموقف أن احساس د. سلوى بانوثتها زائد قليلاً."

وقالت د. سلوى وقد خفضت صوتها: "أنت تتعاطفين معه لأنني لم أخبرك بما قاله عنك في ذلك اليوم عندما عدت أنا للمنزل الريفي لإحضار حاجياتك."

وأدهشني ذلك جدًا، وقلت لها: "ولماذا يتحدث هذا الرجل عني؟"

قالت د. سلوى: "استيقظ ذلك الرجل في الصباح الباكر في المنزل الريفي وعندما عرف أن الأتوبيس الكبير قد أتى من القاهرة أراد أن يتم ايقاظ بقية الركاب فورًا وأن نذهب إلى أسوان، وعندما أخبرته أنا باستحالة ذلك لأنك مريضة وموجودة في مستوصف وقد لا تستطيعين السفر معنا، فضلاً عن أن معظم الركاب لم يستيقظوا بعد، تشاجر معي أنا وفتحي وقال أنك غير مهمة وأراد أن يتركك وحدك في المستوصف وقال ما معناه أن من يعملون في ألمانيا هؤلاء يكونون عادة أغنياء ويمكنك حين تستعيدين صحتك أن تستأجري تاكسيًا وأن تحضري للفندق في أسوان وحدك وأن ما كان يهمه في

تلك اللحظة أن يذهب إلى الفندق ليستمتع بالرحلة في أسوان، ولكن فتحي تشاجر معه وأخبره أنه هو من يتخذ القرارات باعتباره المشرف على الرحلة وأنه يمكن لماجد هذا أن يذهب فيبحث عن تاكسي ويذهب إلى الفندق في أسوان على حسابه لو أراد، وتركناه ورائنا وهو غاضب جدًا وخرجت أنا وفتحي وركبنا الأتوبيس وعدنا للمستوصف حيث كنت موجودة وتجاهلناه تمامًا. لهذا أحسست أنا بالغيظ حين رأيته يسأل عن صحتك بكل تزلف في الأتوبيس بعدما خرجت من المستوصف وكأنه فعلاً كان قلقًا وأراد أن يطمئن عليك. هذا الرجل منافق وذو وجهين ولا يمكن الوثوق به، وأنا بصراحة منذ ذلك الموقف لم أعد أحبه."

<u>أرجو قراءة الجزء الخاص بالمقدمة من هذه الرواية لكي يستطيع القاريء المتابعة.</u>

ما إن ألقى ماجد بنفسه في النيل حتى أسرع الرجلان اللذان خطفاه بتشغيل كشافات ضخمة وتسليطها على صفحة النيل، وحمل كل من الرجلين كشافًا في يده ودارا حول المركب يسلطان الضوء على صفحة النيل ويحاولان أن يعثرا على ماجد إن كان ملتصقًا بأحد جوانب المركب من الأسفل. دارا وهما يبحثان على صفحة النيل لفترة دون جدوى، فلم يظهر أثر لماجد على صفحة النيل ولا في الأجزاء الملاصقة للمركب. وصاح أحدهما: "أين ذهب هذا؟"

وصرخ الأخر: "لابد أنه مختبيء تحت المركب. هذه الكشافات تضرب في أعيننا نحن أكثر مما تنير لنا النيل. أغلقها لعل عينانا تعتاد على الظلام ونراه. لا يمكنه أن يظل مختبئًا لفترة طويلة فدرجة حرارة المياه الباردة ستقتله إن بقي هنا لفترة طويلة."

وسرعان ما صعد أحد الرجلين إلى الطابق العلوي من المركب الذي يعمل بالمحرك "اللنش" وقام بإطفاء الأنوار العالية.

بعد دقائق اقترب مركب شراعي كبير من اللنش، وتوقف الرجلان في مكانهما لعل المركب الشراعي يتجاوزهما بسرعة وينتهي الأمر.

اقترب المركب الشراعي من المركب الذي يعمل بالمحرك "اللنش" بسرعة منخفضة، وبشكل من الواضح معه أنه قلل من سرعته، وبدأ المركب بالمرور بجانب اللنش، ووقف شاب على طرف المركب الشراعي المرتفع وكان من الواضح أنه واقف على أطراف أصابعه وهو ينظر داخل اللنش، وطبعًا كان منظر اللنش وهو متوقف في وسط النيل يثير الاستغراب وربما الريبة. ماذا يفعل شاغلوا اللنش في وسط النيل ليلاً وما الذي أوقفهم في هذا المكان؟

وضايق هذا أحد الرجلين الموجودين في المركب الذي يعمل بالمحرك "اللنش"، وصرخ في ركاب المركب الشراعي: "لماذا تبطئون من سرعة مركبكم. أوقف المركب يا ريس. أوقفه. معنا سلاح."

بعدها بأقل من دقيقة كان من الواضح أن هناك من ألقى بالهلب الذي هو مرساة المركب الشراعي إلى النيل وسرعان ما توقف المركب الشراعي.

الفصل السابع: الصعايدة

قفز أحد الرجلين اللذان خطفا ماجد صاعدًا بسرعة إلى الطابق العلوي للنش وقام بتشغيل الكشافات المركبة في مقدمة اللنش وتسليطها على المركب الشراعي.

كان بالمركب الشراعي رجلان يلبسان الجلابيب البلدية الصعيدية. كان أحد هذين الرجلين في حوالي الخمسين بينما كان الأخر صغيرًا في حوالي العشرين من عمره، وعندما تسلطت عليهما أضواء الكشافات الساطعة أخذا يحولان وجهيهما بعيدًا عن أضواء الكشافات القوية ليتجنبا اصطدام أعينهما بالضوء الباهر الصادر

عن الكشافات ويوجهان أنظارهما إلى أرض المركب الشراعي الذي يقفان عليه.

وصرخ أحد خاطفي ماجد للرجلين الموجودين في المركب الشراعي:

"هناك رجل كنا قد قبضنا عليه ولكنه غافلنا وقفز في النيل هنا. لابد أنه الآن وبسبب سير مركبكما بهذه السرعة المنخفضة قد تعلق بمركبكما هذا. هذا الرجل قد قتل عائلة كاملة أب وأم وثلاثة أطفال، وأهل القتيل كلفونا أن نحضره لهم. هذا الرجل مطلوب للثأر ولو أن أحدًا خبأه أو آواه فسوف يتعرض للانتقام."

التفت إلى صوته الفتى صغير السن الواقف في المركب الشراعي ويبدو أن الضوء القوي المسلط عليه قد جعله يتوتر ويصبح عدوانيًا، وقال الفتى بغلظة: "أي رجل هذا الذي تتحدث عنه يا أستاذ. أنا لا أكاد أرى شيئًا في هذا الضوء الباهر ولكن قبل أن تسلطوا علينا الضوء لم يكن هناك سواك وسوى الرجل المرافق لك على مركبكما. أنا لم أر أحدًا أخر."

ورد الخاطف الموجود على اللنش بغلظة أكبر: "قلت لك أنه قد قفز في النيل."

وصاح الفتى الشاب الموجود على المركب الشراعي: "هاهو النيل أمامك. ليس به شيء. أغلق هذا الكشاف أو حوله عنا فالضوء يعمينا."

وخفض الرجل الثاني الواقف في الطبقة الأعلى من اللنش ضوء الكشاف وقال: "لن نذهب من هنا ولن تذهبوا أنتم حتى نجده."

ورد الصعيدي الشاب: "إذن فستنتظران هنا بقية عمركما. أي شيء يسقط هنا لن يبقى طافيًا طويلاً ففي هذا المكان هناك دوامات تحتية تجذب أي شيء إلى الأسفل وتحمله دون أن يظهر على السطح

وتلقيه بعد ذلك على أي شاطيء من شواطيء الجزر الصغيرة المنتشرة هنا أو تلقيه على أي شط على جانبي النيل بعد فترة. لو قفز أحد هنا في هذه المنطقة من النيل فسيموت وسيعثرون على جثته خلال يوم أو يومين على أحد جانبي النيل أو على أحد الجزر أو لعله يُعثر عليه طافيًا في منطقة أخرى من النيل تكون تياراتها التحتية أضعف. لو أنني مكانك لما أتعبت نفسي في البحث عنه."

ورفع الرجل الثاني الموجود على الطابق العلوي من اللنش من قوة ضوء الكشاف وسلطه مرة أخرى على أعين الرجلين بقوة أكبر ورفع كل من الرجلين يده يغطي جبهته وهو ينظر إلى أسفل بحيث لا يسقط الضوء مباشرة على عينيه.

وصرخ الرجل: "اسمعا انتما الاثنين. نحن معنا بنادق."

وصاح الصعيدي الشاب: "نحن أيضًا معنا سلاح ولكن السلاح لا يفيد بأي شيء هنا. لو تم اطلاق أي نار في هذا المكان فستجد مركب شرطة المسطحات فوق رأسك خلال دقيقتين كحد أقصى."

وصاح الصعيدي الكبير في السن: "نعم، كذلك هناك الكثير من المراكب التي تعمل بالمحرك تدور في هذه المنطقة طوال الوقت، والكثير من الناس هنا يحملون سلاحًا كعادة أهل الصعيد، كذلك فإننا في هذه المنطقة الآن في انتظار أحد لنشات شرطة المسطحات والتي تمسح هذه المنطقة من النهر جيئة وذهابًا طوال الليل."

وأكمل الصعيدي الشاب بصوت مسموع: "وعندما تطلقان النار وتصل شرطة المسطحات سيكون عليكما أن تشرحا للشرطة لماذا تستعملان السلاح وما هي قصة الرجل الذي قتل عائلة بكاملها، ومن أين اختطفتماه، أو لعلكما قمتما بصيده من مياه النيل، وكيف قبضتما عليه وماذا كنتما تنويان أن تفعلا به؟"

وصاح أحد خاطفي ماجد: "لو لم نجد الرجل الآن فلن نتحرك من مكاننا ولن تتحركا من مكانكما."

وضحك الصعيدي الشاب مستهزئًا وهو يقول: "افعل ما يريحك يا باشا. نحن معتادان على المبيت طوال الليل في المركب."

صرخ الرجل الذي يمسك بالبندقية في الطابق العلوي بالرجل الأخر: "ماذا تنتظر؟ ابحث عنه."

ودار الرجل الثاني بالضوء حول المركب الذي يعمل بالمحرك "اللنش" مرة أخرى ثم قفز إلى المركب الشراعي وأخذ ينظر وهو يسلط الكشاف الذي يحمله على صفحة مياه النيل على جانبي المركب الشراعي وتم تحريك المركب الشراعي من مكانه جيئة وذهابًا ومسح سطح النيل بالكشافات في جميع الاتجاهات، وبعد حوالي ثلث الساعة عاد الرجل الثاني من خاطفي ماجد للمركب الذي يعمل بالمحرك "اللنش" وقام الرجل الموجود على الطابق الثاني من اللنش بتشغيل المحرك وقال للرجلين الصعيديين في المركب الشراعي مهددًا: "لو اكتشفنا أنكما هربتما الرجل الذي نبحث عنه فسنجدكما ووقتها سيكون حسابنا معكمًا عسيرًا جدًا."

وصاح الصعيدي الشاب بسخرية وصوته وكل تصرفاته تدل على أنه يتشفى فيهما: "ولماذ تذهب بسرعة؟ ابق وخلص حسابك. لماذا تستعجل على الرحيل؟"

لم يرد أي من الرجلين على هذه المهاترة بل دارا باللنش وانطلقا بسرعة في اتجاه أسوان. بقى المركب الشراعي في مكانه وجلس فيه الرجلان بدون حركة حتى ابتعد اللنش.

وبعد بعض الوقت صاح الصعيدي الكبير: "أين أنت يا أخانا؟"

وأتاه صوت ماجد من الماء يقول: "مد لي يدك من فضلك. أنا لا استطيع أن أصعد إلى المركب دون مساعدة."

كان ماجد متعلقًا بعوامة عبارة عن إطار سيارات قديم تم ربطه في جانب المركب الشراعي ليعمل كمانع للصدمات حين تتحرك المركب على امتداد المرفأ أو يتم ربطها بجانب سفينة أخرى. قام الصعيدي الشاب بانزال سلم حديدي نقال بجانب الإطار الذي تعلق به ماجد وتسلق ماجد السلم وصعد إلى المركب الشراعي.

أراد ماجد بمجرد صعوده إلى المركب الشراعي أن يجلس في المكان التالي للجانب الذي صعد إليه وصاح به الصعيدي الكبير: "لا تجلس هنا. تحرك إلى الأمام وخبيء نفسك، فقد يعود من يبحثون عنك مرة أخرى."

وتحرك ماجد إلى الأمام حيث كانت هناك منطقة تعلوها قطعة من القماش يمكن في أي لحظة أن يتم إنزال قطعة القماش عليها لتعمل قطعة القماش كستارة تخفيه وجلس هناك.

وسأله الصعيدي الكبير: "من أنت وما هو اسمك؟"

أخرج ماجد من جيبه بطاقة الرقم القومي وناوله إياها.

وقال ماجد: "اسمي ماجد سليم."

وقال الصعيدي وقد زاد الضوء في مصباح يعمل بالكيروسين بجانبه كي يرى البطاقة بوضوح: "البطاقة تقول أنك محاسب في مطبعة."

وقال ماجد: "في الواقع أنا خريج كلية التجارة وقد عملت محاسبًا لبعض الوقت ولكني الآن لا أعمل."

وصاح الصعيدي الكبير بغلظة: "إذن فأنت عاطل."

ورد ماجد بشكل جافٍ ويبدو أنه أحس بالامتعاض: "كلا. أنا لست عاطلاً. أنا لا أعمل لفترة فقط."

وقال الصعيدي الكبير للفتى الشاب: "قم يا عزام. احضر له بعض الملابس الجافة الموجودة داخل الكيس كي يغير ملابسه."

وسرعان ما ذهب الصعيدي الشاب وأحضر كيسًا بلاستيكيًا كبيرًا يبدو أن به ملابس.

وقال الصعيدي الكبير لماجد: "قم يا أخ. اختف خلف ذلك الساتر" وأشار إلى قطعة قماش معلقة في مقدمة المركب وأكمل: "وغير ثيابك."

ورد ماجد وأسنانه تصطك ببعضها من فرط البرد: "لا داعي لذلك. دقائق وسأشعر بالدفء."

وصرخ به الصعيدي الكبير: "دقائق في هذا البرد وسيصيبك التهاب رئوي. قم وغير ثيابك. هيا اسمع الكلام."

وقام ماجد واختلفى خلف قطعة القماش في مقدمة المركب وغير ثيابه وارتدى بلوفر ثقيلاً وبنطالاً وغطاء راس ثقيل وكوفية حول عنقه، وعندما عاد وجلس في مكان الاختباء بحيث لا يراه من يصل إلى المركب فجأة صرخ به الصعيدي الشاب: "وما هي علاقتك بقتل العائلة التي تحدث عنها ذلك الرجل."

وقال ماجد: "أنا لا أعرف شيئًا عن ذلك الموضوع. أن أصلاً أسكن في القاهرة ونزلت إلى أسوان في رحلة سياحية مع فوج سياحي، وهذان الرجلان أرادا خطفي أنا نفسي، ولم يخطئا في هويتي. هما خطفاني من جانب مرسى المراكب وفي البداية ظننت أنهما يريدان خطف أي شخص بمعنى أن يسلباه ماله الذي يحمله في جيوبه والهاتف المحمول وربما لو كان يرتدي خاتم زواج ذهبيًا أو نحوه ثم وجدت أن الرجل يعرف اسمي وأنا لم أره قط من قبل. أنا كل سنة أزور أسوان مرة على الأقل في الشتاء ضمن رحلات سياحية،

وعادة ما كانت رحلاتي ممتعة. أما هذه الرحلة فسبحان الله كل يوم أغرب من اليوم الذي سبقه."

وصاح الصعيدي الشاب الذي ناداه الرجل الأخر عزام: "وهل من المعقول أن يخطفاك دون أن تعرفهما على الإطلاق. يا أستاذ حين تكذب اكذب كذبًا معقولاً. إذا كانا لا يعرفانك على الإطلاق، إذن لماذا خطفاك؟ لايمكن أن يكونا خطفاك لسرقة الموبايل والمال الذي تحمله كما أنني لا أرى في يديك أية خواتم. اللنش الذي يركبانه ثمنه مليون جنيه على الأقل، ويمكنهما أن يحصلا على مبلغ محترم جدًا من تأجيره لأسبوع واحد، ولو كانوا سيخطفون أي شخص لكانوا قد اختاروا شخصًا يلبس في يديه عدة خواتم ذهبية على الأقل. هل سلباك أشيائك حين كنت معهما على اللنش؟"

ورد ماجد: "كلا. لم يأخذا مني شيئًا. هما كانا سيقتلانني وأنا واثق من ذلك ولذلك غامرت حين توقف اللنش الخاص بهما وقفزت في النيل."

وقال عزام: "ها أنت ترى أن حديثك غير منطقي. لو كنت لا تعرفهما فلماذا خطفاك؟ هل بينك وبين بعض الأشخاص الأشرار عداوة مثلاً."

ورد ماجد: "كلا. على حد علمي أنا ليس لي أعداء. هناك الكثيرون من الناس ممن لا أستظرفهم ولكن لا أظن أن هذا دافع كافي للخطف."

ورد عزام: "ها أنت ترى أن حديثك لا يمكن تصديقه. إذا أردت أن نبدأ في تصديقك فعليك أن تجيب على السؤال: "لماذا خطفاك؟"

ورد ماجد: "لا أعرف. لا أعرف. لا أعرف شيئًا على الإطلاق."

وصاح به عزام: "كلمة لا أعرف هذه هي دائمًا حجة السُراق واللصوص. عندما لا يجدون كذبة مناسبة أو يكذبون كذبة خائبة

يقولون لا نعرف. اجلس في المركب وخبيء نفسك ولو عاد هذان الرجلان باللنش الذي يركبانه وطلبا تسليمك فسأسلمك لهما. نحن سنأخذك معنا للجانب الأخر من النيل ولكن لو صدرت منك حركة مريبة فسأضربك بالرصاص وألقيك في النيل."

جلس ماجد في نفس المكان المختبيء نسبيًا من المركب الشراعي وبعد دقائق أحس بالتعب الشديد وأغلق عينيه وسرعان ما أسند جسمه على جانب المركب وراح في سبات عميق.

خرجت امرأة ترتدي جلابية بلدي مزينة بالترتر الأسود وتضع على رأسها طرحة سوداء اللون من سيارة التاكسي وتبعتها د. ضحى. كانت د. ضحى ترتدي بدلة صفراء عبارة عن جاكت اصفر وبنطلون أصفر. ظهر الجاكت تحت العباءة السوداء المرصعة بالترتر الأسود التي كانت ترتديها فوق البدلة الصفراء وظهر الجزء السفلي من ساقي البنطلون الأصفر بوضوح من الأسفل لأن العباءة كانت قصيرة وارتدت د. ضحى على رأسها طرحة سوداء اللون كانت معصوبة من الخلف. وخرجت بعد ضحى من التاكسي إمرأة تلبس عباءة مطرزة وتغطي رأسها بحجاب أسود مماثلين تمامًا لما ترتديه المرأة الأولى، وخرج سائق التاكسي من مكانه وتحركت المرأتان ببطء سمح لسائق التاكسي أن يغلق السيارة ويلحق بهما، وكانت سرعتهما بطيئة لأنهما كانتا تسندان بذراعيهما ضحى التي كانت تمشي بينها وهي تترنح قليلاً وكأنها غير ثابتة على ساقيها وكأنها مريضة أو متعبة بشكل ما.

وتقدمت المجموعة أمام البناية التي توقفت أمامها سيارة التاكسي، وقبل أن تصل المجموعة إلى باب البناية خرج من البناية شاب عشريني ونظر إلى ضحى وهي تسير مترنحة تسندها ذراعا المرأتين عن يمينها وشمالها ويسير أمامهم سائق التاكسي وهو يتقدمون نحو باب البناية وقال الفتى: "من تريدون؟"

وردت إحدى المرأتين: "سنصعد إلى شقة السطح." وأشارت إلى ضحى وهي تقول: "لا تؤاخذنا فهي متعبة قليلاً."

وصاح الشاب: "شقة السطح الخاصة بمن؟ شقة الحاجة ملك؟"

وقالت المرأة بمسكنة: "نعم يا أخي. نحن أقرباؤها."

توقف الفتى لحظات كانت كفيلة بأن يتجاوز سائق التاكسي والمرأتان وبينهما ضحى الفتى الذي كان يقف بجانب باب البناية ودخلوا جميعًا إلى مدخل البناية والذي كان عبارة عن صالة واسعة تسبق السلالم كما هو الحال في كل العمارات القديمة. وجرى الشاب العشريني ووقف على أول درجات السلم ومد ذراعيه على اتساعهما بين الجدار بجانب السلم والدرابزين في الجانب الأخر من الدرج وسد أمامهم الطريق بيديه.

وصاح الفتى: "الحاجة ملك ليس لديها أقارب، ومنذ دخل ابنها كريم إلى السجن لم يأت أحد إلى الشقة. الحاجة ملك الآن تسكن في فندق صغير في القاهرة قريب من السجن كي تتمكن من زيارة ابنها بانتظام. ما الذي يثبت أنكم أقاربها؟"

وقالت إحدى المرأتين وهي تزفر وكأنها تدل على نفاذ صبرها: "نوصل هذه المسكينة" وكان حديثها طبعًا يشير إلى ضحى والتي كان من الواضح أنها في حالة سيئة للغاية وهي تقف بين المرأتين "إلى الشقة في الأعلى ثم اسألنا كما تريد بعد ذلك. هي لا تستطيع حتى أن تقف على قدميها."

وصاح الفتى: "لن يصعد أحد إلى تلك الشقة. أسرتي كانت متفقة مع الحاجة ملك على أنني أنا سأخذ تلك الشقة وأتزوج فيها. خذي تلك المرأة التي معك إلى المستشفى. هذه الشقة ملك لي وقد دفعت أسرتي للحاجة ملك عربون كمقدم من ثمن الشقة كضمان للاتفاق."

وقالت المرأة: "حين نصعد إلى الشقة في الأعلى، سنحضر لهذه المريضة طبيبًا ليعالجها. أرجوك تحرك من أمامنا. إن حالتها سيئة ولم تعد تستطيع الوقوف على قدميها."

وصاح الفتى: "لماذا تلبس هذه المرأة هذا الجلباب الحريمي الأسود العفن على ملابسها الأوروبية الأنيقة. من الواضح أنها تلبس بذلة حريمي صفراء نظيفة تحت ذلك الجلباب الحريمي القذر الذي ألبستموها إياه، ومن الواضح أن هذا حدث رغم إرادتها فهي لا تقدر في حالتها هذه على معارضتكم ولكن هذه المرأة النظيفة لم تكن لترضى أن تلبس جلبابًا كهذا لو كان الأمر بيدها."

تحرك سائق التاكسي إلى الأمام وكان قد ترك المرأتان تسبقانه حين رأى الفتى يقف في وضع المتحدي ويسد السلم.

اقترب الرجل من الفتى الموجود على الدرجة الأولى من الدرج واستعد الفتى ليمنعه ولكن الرجل أخرج من جانب جسمه مسدس كبيرًا كان يدسه في حزامه ويخفيه بالسترة التي كان يلبسها. وصاح الرجل بالفتى: "اصعد أمامي ولا تحدث صوتًا وإلا قتلتك."

ودفع الفتى الرجل في جانبه فترنح الرجل للحظة انتهزها الفتى ليجري ويتسلق السلالم بسرعة كبيرة وبخطوات واسعة جدًا.

وصرخ الفتى ينادي الجيران: "يا سيد، يا حازم، يا عمر. اغيثونا يا إخواننا. هناك أناس قد خطفوا امرأة ويريدون أن يصعدوا بها إلى بنايتنا."

انطلق الرجل سائق التاكسي يجري إلى أعلى الدرج ليخرس الشاب وفي يده المسدس، وألقى الفتى بحجر كبيره على رأس سائق التاكسي فلم يصبه، ورد الرجل بلا تفكير باطلاق الرصاص باتجاه الفتى ولكن العيار الناري بدوره لم يصب الفتى. وطبعًا كان صوت الرصاص مدويًا ومرعبًا في المنطقة الداخلية من البناية بالنسبة

لسكان البناية. وطبعًا حدا هذا ببعض سكان البناية إلى الخروج من شققهم لرؤية من يطلق النار، وفي بعض الشقق دخل السكان إلى شقتهم مرة ثانية وقاموا باغلاق أبواب الشقة ثانية وكانت النساء تولول بينما بدأ بعض الأطفال يبكون، وخرجت إحدى النساء في الطابق الثالث إلى شرفة شقتها التي تطل على الشارع وصرخت بصوت مدوٍ في الشارع: "أغيثونا يا أهل الخير. هناك رجل يطلق الرصاص فِي بنايتنا. أغيثونا." وأخذت المرأة تولول وتصرخ بتلك الكلمات بشكل متكرر وتستغيث.

وسرعان ما سمع المرأة الزبائن الجالسون في مقهى مجاورة وكان من الواضح أنهم قد جلسوا بأعداد كبيرة يتابعون مباراة كرة قدم.

اندفع الناس من المقهى ثم من الشارع إلى مدخل تلك البناية وكان سائق التاكسي قد أخفى مسدسه مرة أخرى وبدأت المرأتان الواقفتان على يمين ويسار ضحى تغلقان فتحة الجلباب الحريمي حتى لا تبدو من تحته البدلة الصفراء التي تلبسها ضحى من الأعلى وجذبتا الجلباب إلى الأسفل ليغطي بنطلون البدلة ولما لم تفلحا في ذلك بشكل كامل وقفت إحداهما أمام ضحى لتخفي أسفل الجلباب بجسمها وملابسها.

وصعد الناس الداخلون إلى العمارة الدرج ثم توقفوا حين رأوا الرجل والثلاثة نساء وصرخ أحد الناس بهم: "من أطلق الرصاص في هذه البناية؟"

ونزل الفتى الذي كان قد تصدى للمرأتين وسائق التاكسي إلى الطابق الثاني حين رأى الناس قد دخلت بأعداد غفيرة إلى البناية وصرخ بالناس: "هذه المرأة التي تسندها المرأتان عن يمينها ويسارها مخطوفة وهي تلبس بدلة صفراء نظيفة وأنيقة تحت تلك الجلباب القذر الذي ألبسوها إياه ولا أظن أنها كانت ستلبسه لو كانت في كامل وعيها وإرادتها."

وتحرك الناس نحو المرأتين وسائق التاكسي مما دعى سائق التاكسي إلى اخراج مسدسه والتلويح به وأشار للمرأتين بالصعود مبتعدتين عن الناس الذين دخلوا إلى البناية.

وصعدت المرأتان الدرج وهما تجران ضحى والتي أصبح واضحًا للغاية أنها لا تتحرك بإرادتها ولا تدري ما يحدث حولها. صعد الجميع إلى الطابق الثالث والناس يصعدون خلفهم بينما شجع ما يحدث واللغط والضوضاء التي أصدرها الداخلون إلى البناية سكان الطابق الرابع فوقفوا متحدين وبدا واضحًا أنهم يسدون السلالم بأجسامهم وكأنهم يتوعدون الخاطفين بأنهم لن يمروا.

في خارج البناية تقاطر الناس من كل حدب وصوب بأعداد وفيرة ولكن لم يعد هناك مكان ليدخلوا إليه في البناية فقد امتلأ مدخل البناية والسلالم بالناس، وكلهم دخلوا ليتحروا بأنفسهم ما يحدث. وبدأ الناس فوق السلالم الذين رأوا الواقعة وسائق التاكسي وهو يخرج مسدسه أمام الناس والمرأتان تجران ضحى إلى الأعلى بدأوا يحدثون من خلفهم ممن هم في الطوابق السفلى الواقفين على الدرج بالأمر وانتشر حديثهم بين الناس وزاد اللغط، وتكررت كلمات "مسدس" "مسدس" و"امرأة مخطوفة" بين الناس بسرعة.

ولاحظ معلم المقهى في الجوار أن هناك سيارة سيارة شرطة (وهي في الأصل سيارة نصف نقل مغطاة والتي يطلق عليها المصريون اسم "البوكس") قد ظهرت في أول الشارع ونادى صبي المقهى وقال له: "إذهب يا مصطفى ونادي سيارة دورية الشرطة. يبدو أن الأمر خطير وهناك مسلحين قد هاجموا تلك البناية."

وما إن سمع ضابط الشرطة رواية صبي المقهى عن مسلحين يهاجمون بناية ويخطفون إمرأة حتى نزل من السيارة ورافقه رجلان من رجاله وأخرج الضابط مسدسه من غمده ووراءه كان مساعداه بالبنادق الآلية وأنطلق الضابط صاعدًا درجات السلم،

وأفسح له الناس الطريق وسط تكرار الناس لكلمة "الحكومة وصلت" ليتقدم الضابط وخلفه رجلاه المسلحان نحو الطابق الثالث حيث كان سائق التاكسي محاطًا بثلاثة رجال يمسكون به وأحدهم يمسك بمسدس سائق التاكسي، وعندما رأى الناس الضابط دفعوا بالفتى الذي رأى الواقعة أمامًا ليقف أمام ضابط الشرطة وبدأ الفتى يحكي له ما حدث، وكان حول الفتى العديد من الناس يروون معه للضابط الحكاية حيث أن الفتى قد أخبرهم بها من قبل، وطبعًا أصاب هذا ضابط الشرطة بالحيرة لتعدد الرواة وتداخل الأصوات.

وقال الفتى: "نعم يا حضرة الضابط. هذه المرأة كما ترى حضرتك تلبس ملابس أوروبية أنيقة تحت ذلك الجلباب الحريمي القذر ومن الواضح أنها لا تدرك ما يحدث حولها، وعندما واجهتهم بخطفها أخرج هذا الرجل" وأشار إلى سائق التاكسي "هذا المسدس الذي يمسك به الآن محمد سعيد والذي أخذه من الرجل" وأشار إلى المسدس في يد أحد الرجال الذي كانوا يقبضون على سائق التاكسي "وقد قال لي سائق التاكسي حيث أنني عندما رأيتهم أولاً كان هذا الرجل يقود سيارة تاكسي: "إمشي وتقدم أمامي إلى غرفة السطح." لقد كانوا يريدون يا باشا أن يخطفوني أنا أيضًا."

وصاحت إحدى المرأتين اللتان تسندان ضحى محاولة رفع صوتها الحاد الرفيع فوق صوت الجموع التي كانت تؤيد قول الفتى: "أي خطف تتحدث عنه يا بني؟ هذه اختنا داخت وأغمى عليها فهي مريضة بداء السكري. نحن كنا نبحث عن مكان تجلس فيها كي نسقيها بعض السكر والماء فنعيد إليها وعيها، وكان معنا مفتاح شقة السطح فقلنا لأنفسنا لماذا لا نتوجه إليها."

وصاح أحد الرجال الواقفين حولهم بصوت جهوري أجش: "هذه المرأة النظيفة التي تبدو عليها النعمة أختك. هذا الكلام لابد أن تختاري أناسًا حمقى لتقوليه لهم لعله ينطلي عليهم. لابد أنها أختك من أمك يا امرأة."

وصاح الضابط: "أين المرأة المخطوفة؟"

واشار إلى ضحى جميع الرجال الواقفين حولها وصاح أحدهم: "هذه المرأة في الوسط يا باشا. واضح أنها في حالة دوار وأنها لا تدري ما يحدث حولها وهاتان المرأتان تمسكان بها ولابد أنهما قد خطفتاها وإلا ما ألبستاها هذا الجلباب الحريمي الأسود القذر على ثيابها الأنيقة وهذا الرجل المرافق لهم" وأشار إلى سائق التاكسي والذي كان مشلولاً تقريبًا وسط ثلاثة رجال يمسكون به "كان يحمل هذا المسدس." وأشار إلى المسدس في يد أحد الثلاثة اللذين يمسكون بالرجل.

وصاح الضابط بالرجل: "اعطني المسدس."

وأخذ الضابط المسدس ووضعه في حزامه، وسأل الرجل: "هل كان مع هذا الرجل سلاحًا أخر؟"

ورد الجميع بالنفي: "كلا يا باشا. لم يكن معه سلاح أخر."

وصاح الضابط بمرافقيه: "يا سيد. اقتد هؤلاء الثلاثة نساء وضعهن في ظهر سيارة الشرطة وانت يا أحمد هات القيد الحديدي وألبسه لذلك الرجل وضعه أيضًا في ظهر سيارة الشرطة." وأشار إلى سائق التاكسي.

أسرع أحد مرافقي الضابط بالباس السوارين الحديديين لذلك الرجل سائق التاكسي، بينما قام الأخر بدفع الثلاثة نساء أمامه وساعده في دفعهن وتحجيم حركات النساء نصف الرجال الذين كانوا يحتشدون على الدرج بينما أفسحت لهم بعد ذلك مكانًا ليسيروا فيه الجماهير الغفيرة التي كانت تقف على الدرج من الطابق الثالث وحتى مدخل البناية ثم الجماهير الممتدة أمام البناية في الشارع والتي تركت مشاهدة مباراة الكرة لأن الحدث الذي كانت تتابعه في داخل تلك البناية أكثر تشويقًا.

وسأل الضابط الذي كان لايزال واقفًا وسط الناس في الطابق الثالث من البناية: "من الذي رأى الواقعة أولاً."

وصاح الناس وهم يشيرون إلى الفتى العشرين الذي قابل ضحى وخاطفيها منذ البداية وكان وقتها يقف بفخر أمام الضابط مباشرة: "هذا هو من قابلهم أولاً. اسمه علاء سمير يا باشا. هذا هو."

وقال علاء وهو يشير بأصبعه السبابة إلى صدره: "أنا يا باشا. قابلتهم عند باب البناية ولم يكن هناك أحد حولنا في البداية. نزلوا من سيارة التاكسي الذي كان يقودها الرجل المرافق للنساء" وأشار إلى سائق التاكسي وأكمل "وسألوني عن شقة السطح ولما ارتبت في أمرهم سألتهم لماذا تلبس تلك المرأة ذلك الجلباب الحريمي القذر على ملابسها النظيفة الأنيقة. كانت ملابسها تظهر بوضوح تحت الجلباب الأسود وكان من الواضح أنهم قد ألبسوها الجلباب فوق ثيابها بدون عناية، ولم يهتموا بالباسها إياه بشكل مناسب فكانت ثيابها كلها واضحة تحت الجلباب، وكان الواضح أنها لا تدري بما يحدث حولها، وعندما سألتهم أخرج ذلك الرجل سائق التاكسي مسدسًا ووجهه إلى وعندها دفعته وانطلقت أصعد السلالم بسرعة قبل أن يستطيع استعادة توازنه. على فكرة يا باشا. هم قدموا في سيارة تاكسي وسيارة التاكسي لا تزال متوقفة أمام البناية ولابد أن مفاتيحها لا تزال مع سائق التاكسي ولو فتشتموه فسوف تعثرون عليها."

وسأله الضابط: "ما هو اسمك؟"

فقال الفتى: "اسمي علاء يا باشا. علاء سمير وأنا أسكن في الطابق الثالث في هذه البناية مع أهلي. أسكن في هذه الشقة، وأشار إلى الشقة في الجانب المقابل."

وسأل الضابط: "هل لديك بطاقة رقم قومي؟"

ورد علاء: "نعم يا باشا. هاهي."

وأعطى علاء بطاقة الرقم القومي الخاصة به إلى الضابط والتي تأملها مليًا ثم وضعها في جيبه.

وظهر على علاء الضيق لأن الضابط لم يرد له البطاقة.

وقال الضابط: "سأرد لك هذه البطاقة بعدما تدلي بإفادتك في قسم الشرطة. الآن. انتظر حتى تريني سيارة التاكسي التي أتى فيها الخاطفون وتقوم معي بالنظر إليها فقد تتذكر شيئًا قد نسيته من قبل، وبعدها لابد أن تركب في ظهر سيارة الشرطة حتى نستخدمك كشاهد. كذلك خذ معك رجلان ممن شهدوا الواقعة في البداية والذين رأوا ذلك الرجل يحمل المسدس فلابد لنا من شهود على الواقعة كي نستطيع أن نحيلها للنيابة بشكل مكتمل."

وقال الفتى علاء: "أمرك. سأفعل ما تريد يا باشا."

في داخل قسم الشرطة بأسوان، جلس الضابط المناوب في وردية الليل، وجلست المرأتان اللتان كانتا ترافقان ضحى على مقعد خشبي طويل موجود في جانب الغرفة بمحاذاة الحائط، وكان مكتب الضابط ومساحة أمامه والمقعد الخشبي محصورين ضمن سياج خشبي يحدد مساحة ذلك المستطيل الذي يجلسون فيه، وكانت ضحى جالسة في الطرف البعيد لذلك المقعد الخشبي الطويل مستندة إلى الحائط بجانبها، وعيناها غائمتان لا تنظران إلى شيء محدد وكأنها لا تشعر بما يحدث حولها.

وسأل الضابط أحد العساكر والذي كان يقف قرب باب القسم: "وائل! هل وصلت سيارة الاسعاف؟"

الفصل الثامن: تحقيق النيابة

ورد العسكري: "وصلت يا باشا."

وسرعان ما دخل رجلان حجم كل منهما ضخم جدًا وكان أحدهما يحمل كرسي حديدي له مسند خلفي وعلى جانبيه أربطة، وسرعان ما حمل أحد الرجلين ضحى كما يحمل المرء كتابًا أو شيئًا صغيرًا كهذا وأجلسها على الكرسي وربطها فيه ولم تبد هي أية مقاومة أو اعتراض وسرعان ما ربطها الرجل في الكرسي وحمل الكرسي وعليه ضحى إلى خارج القسم يتبعه الرجل الأخر.

وكأنما كان ابعاد ضحى إلى المستشفى ايذانًا ببدء التحقيق، حيث أشار الضابط إلى مساعدين له كانا يقفان بجانب المرأتين اللتان كانتا تسندان ضحى في تلك العمارة واللتان تم القبض عليهما مع سائق التاكسي وأشار مساعدا الضابط للمرأتين كي يقفا أمام الضابط ووقفا عن يمينهما ويسارهما، وباشر الضابط التحقيق.

وسأل الضابط المرأة الأولى: "ما هو اسمك؟"

وردت المرأة: "أميرة خليل يا باشا."

وأشار الضابط للمرأة الثانية: "وأنت؟"

وردت المرأة: "محسوبتك سامية دسوقي يا باشا."

وقال الضابط: "اعطوني بطاقات الهوية الخاصة بكما."

وأخرجت كل من المرأتين بطاقة رقم قومي وأعطتها للضابط والذي نظر إلى كل من البطاقتين مليًا ثم فتح بالمفتاح درج المكتب المجاور له ووضع فيه البطاقتين وأغلقه.

وقالت المرأة التي قالت أن اسمها هو أميرة: "ها أنت ترى ذا يا باشا أن كلًا منا تحمل بطاقة رقم قومي، ولو أجريت بحثًا عن

السوابق الاجرامية لأي منا فلن تجد شيئًا في سجلات الشرطة يدل على أننا ارتكبنا أية جريمة. نحن امرأتان شريفتان يا باشا، وكل ما حدث أننا كنا نركب سيارة التاكسي وفجأة وجدنا تلك المرأة تسقط أمامنا في الشارع فأردنا أن نكتسب ثوابًا وأخذناها معنا إلى تلك الشقة كي نسعفها ونحضر لها طبيبًا وهذا كل شيء."

ورد الضابط: "يا امرأة. أنت متهمة بجريمة خطف قد تصل عقوبتها لخمس وعشرين سنة في السجن. كي تخرجي نفسك من هذا المأزق عليك أن تكذبي كذبة أصدقها. من يرى امرأة لا يعرفها تسقط في الشارع يحملها إلى المستشفى وليس إلى شقة سكنية لا علاقة له بملكيتها فهذا يفتح باباً واسعًا للتساؤل عن نواياكم وماذا كنت تريدون أن تفعلوا بها، كما أن أخذ حقيبتها والباسها ذلك الجلباب الأسود يدل على محاولة واضحة لاخفاء هويتها. قولي شيئًا أصدقه. أكذبي كذبًا معقولاً."

وردت أميرة خليل: "نحن امرأتان شريفتان يا باشا. والله إن كل ما أردناه هو كسب الثواب."

ورد الضابط وهو يزفر بما يدل على نفاذ صبره: "وبعدين! هل أجعل الصول خالد،"وأشار إلى رجل عريض المنكبين تبدو عليه القوة يقف بجواره ويلبس ملابس مدنية "يسحبكما إلى الغرفة المجاورة هذه" وأشار إلى غرفة مغلقة قريبة "ويجعلكما تنطقان بوسائله الخاصة. أنا لا أحب أن يكذب أحد علي بغباء، فهذا تضييع للوقت، لأنه في النهاية أيًا كان سينطق وسيخبرني بما أريد أن أعرفه. أنتما الآن تحت رحمتي، وبدلاً من أن تضربا حتى تحدث لأي منكما عاهة مستديمة، أو يتم نقلكما للمستشفى للأضرار التي ستحدث لكما من شدة الضرب، أنا أقترح أن تبدئا برواية شيء من الممكن تصديقه."

وسكتت أميرة خليل مما دعا سامية رفيقتها إلى الحديث وقالت: "أنا سأقول لك الحقيقة يا باشا. أنا وأميرة نعمل كوديتين للزار، فنحن نقيم حفلات زار من وقت لأخر لإخراج العفاريت من أجساد النساء اللاتي تتلبسهن العفاريت. اللهم احفظنا." وأشارت المرأة بيدها اشارة تصنعها عادة النساء اللواتي تؤمن بالخرافات بمعنى ابعاد الجن والعفاريت ونحوها، ونظرت إلى وجه الضابط لعله يكون من النوع الذي يخاف من العفاريت ولكن الضابط لم يصدر أي حركة تدل على أنه تأثر بحديثها بل رفع حاجبه لأنها توقفت عن الكلام، وأكملت المرأة "وقد أتتنا تلك المرأة في هذه الليلة، وألحت في أن نقيم لها حفل زار."

وأوقفها الضابط عن الكلام بإشارة من يده: "أين أتتكما؟"

وقالت المرأة: "أتت تلك المرأة إلى مقهى يأتي إليه الزبائن ويحدثون صبي المقهى والذي يتصل بنا لنقابل الزبائن بجانب تلك المقهى."

وسألها الضابط: "هل تكتبين يا سامية؟"

وقالت سامية: "نعم يا سعادة الباشا."

ودفع إليها الضابط بورقة وقلم، وقال لها: "اكتبي عنوان المقهى واسم صبي المقهى، واكتبي لي كذلك عنوان كل منكما في أسوان وعنوان المكان الذي تقيمان فيه حفلات الزار وأسماء الأشخاص اللذين يساعدنكما في حفلات الزار، وأسماء الأشخاص اللذين ساعدوكم في هذا الزار ورأوا المرأة."

وتوقفت المرأة سامية للحظة، ولكن الضابط قال لها: "اكتبي العناوين، ومن الأفضل لك أن تكون صحيحة، فأنا لا أحب أن يكذب علي أحد وحين تكذب علي إحداهن فإن أسوأ ما يمكن أن تتخيله هو ما يحدث عادة لها."

وسرعان ما تغلبت المرأة على ترددها وخطت كلمات على الورق، وقال لها الضابط: "اكتبي رقم التليفون الذي يتصلون به للاتصال بصبي المقهى، ورقم تليفون كل شخص تذكرين اسمه في الأوراق التي تكتبينها واكتبي رقم هاتفك ورقم هاتف أميرة."

وسرعان ما أخرجت المرأة هاتفها ونقلت أرقامًا كتبتها على الورقة التي أعطيت لها، وحين انتهت من الكتابة أشار لها الضابط أن تناوله هاتفها المحمول وأخذه ووضعه في الدرج مع بطاقتي الهوية الخاصتين بالمرأتين، ثم قال للمرأة المسماة أميرة خليل: "أين هاتفك يا أميرة؟"

وقالت أميرة: "لقد نسيته في البيت يا باشا."

وتنهد الضابط بعمق وهز رأسه وكأنه يصرف عن نفسه فكرة شريرة وقال لسامية: "اكملي حكايتك يا سامية."

قالت له سامية: "تلك المرأة التي كانت معنا في البناية التي قُبض علينا فيها كانت قد آتتنا لنقيم لها حفل زار، وقمت أنا وأميرة ومعنا سائق التاكسي الذي وضعته حضرتك في غرفة حجز القسم بإقامة الزار، وفي وسط حفل الزار اغمى على المرأة أمامنا وحاولنا افاقتها دون جدوى، وبعد فترة طويلة من محاولة افاقتها، استيقظت ولكنها لم تدري بشيء حولها وأصبحت تتنفس بصعوبة. كانت تستطيع أن تمشي بمساعدة منا ولكن حالها أصبح كما رأيت حضرتك، ولما خفنا أن تموت، قررنا أنها لا يجب أن تموت في بيتنا في أسوان، بل قررنا أن نأخذها إلى شقة الحاجة ملك وكانت الحاجة ملك قد أعطتنا مفتاح شقتها في أسوان قبل أن تسافر، وقررنا أن نتركها في تلك الشقة فإذا استعادت وعيها وخرجت من الشقة كان ذلك خيرًا وبركة لها ولنا وإن هي ماتت فسوف يكون موتها بعيدًا عن منطقتنا ولن يرتاب فينا أحد."

وقال الضابط بغضب: "حقًا فيكما الخير. هذا هو الثواب الحقيقي الذي ستكسبانه. لو ماتت تلك المرأة، فستوجه إليكما تهمة الشروع في القتل. كان يجب أن تنقلاها إلى المستشفى بمجرد أن فقدت وعيها ولم تستطيعوا افاقتها، أما هكذا، فأنا لا أعرف ماذا أقول. كنتم اكسبوا ثوابًا فعليًا وانقلوا المرأة إلى المستشفى."

وقالت أميرة: "لقد خفنا يا باشا أن يمسكوا بنا في المستشفى ويسألوننا أسئلة لا نستطيع الاجابة عليها، ولكننا يا باشا لم نخطفها. هي جاءت لنا بإرادتها، ونحن فعلنا فقط ما طلبته منا."

وقال الضابط بغضب أشد: "نعم. أنتما البراءة مجسدة. ما تستحقانه فعلاً هو الإعدام. لابد أنكما قد سقيتماها شيئًا ما كي تفقد الوعي هكذا ولا تستعيده بعد كل ما مرت به. أنا أسمع الكثير عن الجرائم القذرة التي يتم ارتكابها خلال حفلات الزار هذه، خاصة إذا كانت الضحية شابة وذهبت وحدها إلى ذلك الزار."

وقالت أميرة خليل وهي تظهر الخوف: "والله يا باشا أننا لم نسقيها أي شيء ولم نفعل لها أي شيء ولم يقترب منها أي إنسان. اقسم لك."

وصاح الضابط غاضبًا: "هل ما تريدينه هو أن أقوم وأضربك. اسكتي تمامًا ولا تردي إلا على الأسئلة التي أوجهها لك."

فتح ضابط الشرطة بالمفتاح دولاب صغير تحت الدرج الجانبي الذي وضع بطاقتي هوية المرأتين وهاتف سامية، وأخرج حقيبة نسائية، وأخرج منها جواز سفر كان من الواضح أنه ليس مصريًا وقال الضابط لمعاونه: "هذا جواز سفر عليه صورة تلك المرأة التي نقلناها للمستشفى." ثم التفت الضابط للصول خالد وقال له: "خالد. احضر لي ذلك الشاب المرشد السياحي الذي تم ضبطه في قضية الآثار لعله يستطيع أن يقرأ لنا المكتوب في جواز السفر هذا."

وأكمل الضابط بحثه في الحقيبة النسائية وقال: "هذه الحقيبة ليس بها هاتف محمول. أين الهاتف المحمول الخاص بتلك المرأة."

ولم يبدر من أي من المرأتين أي رد ولهذا قال الضابط: "أنتما هكذا تريدان أن أجعل أحد هؤلاء المعاونين يأخذكما إلى الغرفة الجانبية ويفتشكما ذاتيًا، وقد أكلفه بضربكما وتعذيبكما، وفي النهاية في جميع الأحوال ستعطيانني الهاتف المحمول الخاص بتلك المرأة. لقد فتشنا سائق التاكسي الذي كان مصاحبًا لكما ولم نجد شيئًا معه، وهذا معناه أن الهاتف مع احداكما. حتى الآن أنا محترم حقيقة أنكما نساء ولم أجعل الرجال يفتشانكما. هه! ماذا تختاران؟"

وأخرجت أميرة تليفون محمول صغير من صدرها وناولته للضابط.

وقالت أميرة: "هاهو ذا التليفون المحمول سعادتك. أنا لم أكن سارقة له. أنا كنت فقط أحمله حتى إذا اتصل أحد أقارب تلك المرأة أو اصدقاؤها بها أدله على مكانها كي يذهب فيأخذها."

ورد الضابط متهكمًا وهو يتظاهر بالتأثر: "يا سلام. يا للحنان الذي ينبعث من قلبك. منتهى الحرص على مصلحتها."

وفحص الضابط الهاتف المحمول للحظة ثم علق فقال: "هذا الهاتف المحمول كله بلغة اجنبية."

أتى الصول خالد مشي ومعه شاب في الثلاثين تقريبًا نحيف ويلبس بدلة جينز زرقاء.

وقال الضابط: "تعالى يا لؤي. انظر إلى جواز السفر هذا وقل لي ما هو المكتوب فيه؟"

وفحص الشاب لؤي جواز السفر بعناية ثم قال: "هذا جواز سفر ألماني صدر لأستاذة جامعية في ألمانيا واسمها ضحى الخطيب."

وناول الضابط للفتى المدعو لؤي الهاتف المحمول الذي أعطته له أميرة وقال: "وهذا الهاتف المحمول! ما الذي يوجد فيه؟"

وفحص لؤي الهاتف بعناية ثم قال: "جميع المعلومات على هذا الهاتف مكتوبة بالألمانية وهناك أرقام كثيرة لأناسٍ في ألمانيا بعضهم كما يبدو عرب أو مصريين، وهناك كذلك أرقام لأناس من مصر سُجلت بياناتهم وأسماؤهم بالألمانية."

وناول الضابط الفتى لؤي ورقة وقلم وقال له: "اكتب لي اسماء الأشخاص الموجودين في مصر وأرقام هواتفهم في مصر باللغة العربية، واكتب لي بالعربية المعلومات المتاحة عنهم."

والتفت الضابط إلى المرأتين اللتان كانتا تقفان أمامه وبجانبهما يقف عدد من معاوني الضابط وقال: "استاذة جامعية في جامعة ألمانية أتت لتقيموا لها زار. هل هذا معقول؟"

وردت سامية: "لماذا لا تصدقنا يا باشا. أصلاً الايمان بالعفاريت لا علاقة له بالتعليم أو الثقافة. هناك أشخاص حاصلون على الدكتوراه في علوم مختلفة يأتوننا لنقيم لهم حفلات زار."

وقال الضابط: "ما شاء الله. اللهجة اختلفت فجأة. واضح أنك أنت أيضًا متعلمة يا سامية وكنت تتظاهرين بغير ذلك. على العموم هذا غير مهم الآن. لن ترحلا من قسم الشرطة هذا حتى أعرف كل شيء عنكما."

ثم تسائل الضابط: "وأستاذة الجامعة الألمانية هذه ألم يكن معها مال؟"

وردت سامية: "لا نعرف يا باشا."

وزفر الضابط وكأنه فجأة قد فقد صبره، وأشار الضابط لأحد معاونيه وقال: "اذهب فأئتني من غرفة الحجز بتلك المرأة صاحبة الكشك التي حررنا لها محضر إشغال طريق."

وقدم لؤي للضابط قائمة بأسماء معارف ضحى في مصر.

وقال له الضابط: "برافو عليك يا لؤي.الآن اجلس على هذا المقعد الخشبي الطويل وسأحضر لك سندوتشات فلافل وبطاطس وكوكا كولا وكل ما تحبه من المطعم المجاور ويمكنك أن تدخن سيجارة وسأسمح لك بالجلوس ساعة هنا أو نحوها بعيدًا عن غرفة الحجز."

ورد لؤي: "تسلم وتعيش يا باشا. لا داعي للسندوتشات. أنا سأخبر العسكري الذي تريد أن ترسله لاحضار السندوتشات بطلباتي كي يحضرها لي وأنا أشكرك شكرًا جزيلاً على اخراجي من غرفة الحجز لفترة، وعلى سماحك لي بالتدخين هنا."

دخل بعد ذلك المعاون ومعه إمرأة ضخمة للغاية ويبدو عليها القوة، وقال المعاون: "المرأة صاحبة الكشك يا باشا."

وسألها الضابط: "ما اسمك؟"

وردت المرأة: "اسمي أمل يا سعادة الباشا."

وقال الضابط للمرأة صاحبة الكشك: "يا أمل. أنا لدي استعداد أن أتركك ترحلين دون أن أجعلك تدفعين غرامة أو أي شيء وكل ما عليك أن تفعليه هو أن توقعي لي على تعهد بعدم شغل الطريق العام مرة أخرى، وما أطلبه مقابل ذلك هو خدمة منك."

وقالت المرأة: "أوامرك يا باشا."

وقال الضابط مشيرًا إلى المرأتين أميرة وسامية: "هاتان المرأتان سرقتا مالاً وهما لا تريدان أن تخرجانه. ادخلي معهما الغرفة الجانبية هذه ومعكن المساعد خالد وقومي بتفتيش المرأتين بنفسك واخرجي لي المال الذي يوجد بحوزتهما وانظري إن كانت معهما مصوغات ذهبية تخفيانها أو هواتف محمولة أو أشياء مهمة كهذه. إذهب معهن يا خالد."

وصاحت المرأتان أميرة وسامية: "كلا. هذا لا يصح يا باشا. لا يصح يا باشا."

وصرخ فيهما الضابط: "اسكتا أيتها المرأتان. ألا يكفي أن من ستفتشكما امرأة!"

وأشار إلى صاحبة الكشك وقال: "أريني مهارتك يا أمل."

بعد فترة صغيرة جلس فيها الضابط ينتظر، أحضر أحد معاوني الضابط بيتزا ثم شاي وسجائر للؤي الذي جلس يأكل ويشرب ويدخن في هدوء سعيدًا بابتعاده، ولو لفترة قصيرة، بعيدًا عن غرفة حجز المسجونين.

ارتفع من الغرفة التي دخلت إليها صاحبة الكشك والمرأتان والصول خالد أصوات عويل وشجار وشتائم، اختلطت فيها أصوات النساء الثلاثة بصوت الصول خالد، وبعد قليل خرجت الثلاث نساء أميرة وسامية وأمل من الغرفة المجاورة ومعهن الصول خالد، وكانت هناك علامات للضرب على وجوه الثلاث نساء كما لو كن قد تشاجرن معًا.

ووضع الصول خالد على مكتب الضابط بعض النقود الأجنبية وبعض النقود المصرية وسوار وقلادة ذهبيتين كانت ضحى ترتديهما وتليفون محمول وقال الصول خالد: "هذه هي الأشياء التي كانت بحوزتهما يا باشا."

وقالت المرأة المسماة أميرة: "هذا الهاتف المحمول ملكي يا باشا، لقد نسيت أنني قد أحضرته معي، أما هذه الأموال فهي حقنا. إنها الأجرة التي أعطتها لنا المرأة كي نقيم لها الزار."

وضحك الضابط وهو يعد النقود وهو يقول: "خمسمائة يورو غير النقود المصرية. كل هذا أجرة زار!"

وقال سامية: "يا باشا. نحن نتعب كثيرًا في حفلات الزار."

وجادلها الضابط ضاحكًا: "يا سلام! ولماذا كل هذا التعب؟"

وردت سامية: "نحن نخرج العفاريت التي تتلبس بها يا باشا."

وضحك الضابط وقال: "لابد أنكم تدفعون رشوة للعفاريت كي يخرجوا من جسمها. كل هذا المال لاخراج العفاريت! وهل خرجت العفاريت من جسمها في نهاية الأمر وبعد كل هذا التعب والمصروفات؟"

وردت أميرة: "الله أعلم يا باشا. نحن لا نرى العفاريت حين تخرج من جسمها."

وقال الضابط: "طبعًا هذا يستدعي تهمتان النصب والاحتيال والسرقة بجانب تهمة الخطف. طالما الموضوع قد وصل إلى يدي، أريدكما أن تطمئنا تمامًا. ستبقيان في السجن بقية حياتكما ولن تخرجا منه بعد ذلك أبدًا."

والتفت الضابط إلى صاحبة الكشك المدعوة أمل وقال: "وانت اذهبي بالسلامة يا أمل، ولا تشغلي الطريق العام أمام الكشك مرة أخرى."

وصاحت المرأة: "شكرًا يا باشا"

وخرجت المرأة من القسم، وأشار الضابط للصول خالد وقال: "قم بأخذ بصمات هاتين المرأتين وتأكد من سوابقهما الاجرامية."

ورت أميرة: "يا باشا. لقد قلت لك أننا امرأتان شريفتان ولن تجد لنا أية سوابق اجرامية."

لم يعرها الضابط اهتمامًا، بل أشار للصول خالد والذي باشر عمله حيث أحضر نموذجين لأخذ البصمات وقام بعناية بوضع بصمات كل منهما مع الضغط بيده على أصابعهما للحصول على أفضل وأوضح صورة لبصمات كل منهما.

وعندما انتهى الصول خالد من أخذ بصمات المرأتين، قال له الضابط: "خذ بصماتهما مرة أخرى يا خالد على نموذج جديد.

وقام الصول خالد بملء بيانات نموذجين جديدين للحالة الجنائية وقام بأخذ بصمات المرأتين بجميع أصابعهن بمنتهى الرعاية وقام مرة أخرى بالضغط على أصابعهن للحصول على بصمات واضحة كما فعل في المرة السابقة.

وسألت سامية: "هل يمكنني إن سمحت لي أن أسأل لماذا يتم أخذ كل هذه البصمات منا؟"

وكأنما كان الضابط ينتظر سؤالها فقال لها باستمتاع وتشفٍ واضحين: "سألتيني لماذا أخذ كل هذه البصمات ولماذا يبذل الصول خالد كل هذه العناية والرعاية في أخذ بصماتكما. منذ فترة ونحن نركز على قضية معينة ولم نجد الجناة فيها. تحدثت جميع الضحايا عن كوديتي زار تقومان بالاتصال بالسائحين بواسطة وسيط وتعرضا على السائحين في كل مرة أن تقيما لهم حفلة زار من باب تعريف السائحين بإحدى العادات المصرية القديمة المستغربة. وفي آخر الزار، كانت هاتان المرأتان تقومان بتخدير هؤلاء السائحين عن طريق مشروب تسقيه هاتان المرأتان للسائحين بدعوى أن هذا المشروب يسمح للسائحين باستعادة حيويتهم ويُذهب عنهم الدوار الذي يصيبهم عادة في نهاية الزار، وبمجرد تخدير السائحين، تقوم

كوديتا الزار هاتين بأخذ الأموال والذهب والهواتف المحمولة الموجودة مع هؤلاء السائحين والسائحات."

وأكمل الضابط: "وطبعًا كان السائحون يشتكون الأمر لسفارات الدول التي يتبعونها وتقوم سفارات تلك الدول بإبلاغ وزارة الداخلية المصرية والتي كانت تضغط علينا بشدة للعثور على كوديتي الزار هاتين بلا جدوى، وكم تلقينا توبيخًا من رؤساءنا لعدم قدرتنا على القبض على تلك المرأتين."

وأردف الضابط يقول: "لماذا لم نكن نعرف كيف نقبض على كوديتي الزار هاتين؟ لأن هاتين الكوديتين لم يكن لهما مكان ثابت تقيمان فيه حفلات الزار، بل كانتا تقيمان حفلات الزار في بيوت قد سافر مالكوها وتمكنوا هم من دخولها بشكل ما، أو بيوت في أماكن متطرفة بعيدة عن العمران كانتا تستأجرانها لفترة قصيرة، وفي كل مرة كانت المرأتان تجمعان المصوغات الذهبية والذهب والهواتف والأجهزة المحمولة الموجودة مع هؤلاء السائحين، وتتركان السائحين مخدرين وتغادران المكان دون أن يعرف أحد عنوانًا ثابتًا لهما، وهذا ما حدث تقريبًا مع استاذة الجامعة الألمانية التي نقلناها للمستشفى اليوم، فلو كانت قد استيقظت في تلك الشقة الخاصة بالحاجة ملك التي تحكيان عنها، لكانت قد وجدت نفسها وحيدة في مكان لا تعرفه، ولا تذكر كثيرًا مما حدث لها، وقد سلبتها كوديتا زار جواز سفرها الألماني وحقيبة يدها بما فيها من نقود ومصوغات ذهبية وتليفون محمول. أليس كذلك؟"

وقالت أميرة: "والله يا باشا. نحن لسنا كوديتا الزار اللتان تبحثان عنهما. نحن لم نقم حفل زار منذ فترة طويلة ولولا أننا لم نستطع ايقاظ تلك السائحة وافاقتها لما كنا قد تركناها في بيت الحاجة ملك."

وصاحت المرأة الأولى: "نعم. لابد يا باشا أنهما كوديتان أخريتان للزار، ومن الظلم يا باشا أن تأخذنا بجريمتهما."

وقال ضابط الشرطة مبتسمًا لأول مرة: "أنا لم أحك لكما الجزء المثير في هذا الموضوع حتى الآن. في آخر مرة كانت الشقة التي تركوا بها السائحين مخدرين قريبة من قسم الشرطة هذا، ولهذا ذهبت أنا بنفسي مع العاملين في المعمل الجنائي، وأجريت تحقيقًا شاملاً وأخذت بصمات السائحين وبصمات فريق العمل بقسم الشرطة وبصمات الأشخاص اللذين يُحتمل أن يدخلوا تلك الشقة ويتركوا فيها بصمات من المترددين على الشقة في السابق وبصمات فريق العمل الخاص بالمعمل الجنائي وتمكنت من عزل بصمات واضحة للغاية لهاتين الكوديتين، بصمات في وضوح الشمس."

وصرخت سامية ملتاعة: "يا لهوي."

وقال الضابط مبتسمًا وهو يشير إلى الصول خالد بجانبه: "لعلمكما أنا أتفائل خيرًا عندما أرى وجه الصول خالد كل صباح وقد أضطر الصول خالد للتغيب عن العمل خلال الأيام السابقة، ولكني منذ رأيته اليوم عرفت أنه في هذا اليوم إن شاء الله ربنا سيكرمنا."

كان ماجد لا يزال يغط في نومه في مقدمة المركب الشراعي، وكان المركب الشراعي متوقفًا عند أحد ضفتي النيل وكل من الشاب الصعيدي عزام ووالده الرجل الخمسيني يجلسان على ضفة النيل قريبًا من المياه على مصطبة حجرية مرتفعة على جانب النيل وقد أشعلا أمامهما نارًا يستدفأن بها وكانت توجد خلفهما كابينة خشبية مملوكة لهما وأمامهما كان يقف المركب الشراعي مربوط في الجانب بعيدًا قليلاً عن مكانهما.

وقال الفتى العشريني عزام: "يبدو أنه فعلها يا أبي وقتل عائلة بكاملها. أنا سأنتظر حتى الصباح وأسلمه للشرطة."

وقال الأب لابنه: "يا عزام يا بني لا تكن مؤذيًا. ماذا فعل لك الرجل كي تسلمه للشرطة؟"

ورد عزام: "ألم تسمع الرجلين اللذين قالا أنه قتل عائلة بكاملها؟"

ورد الأب: "يا سلام. وهل رأيت الملائكة هابطة من السماء تخبرك بأن الرجل قد قتل عائلة بكاملها. الرجلان اللذان قالا ذلك ليسا أفضل كثيرًا من الذئاب المسعورة، ولولا أنك قد قلت لهما أن مكان خفر السواحل قريب وأنهم سيسمعون أي صوت أعيرة نارية تطلق في تلك المنطقة من النيل، وهما لا يعرفان أسوان جيدًا، لولا ذلك لضربانا بالرصاص وقتلانا، هكذا بلا أي اهتمام بقدسية الحياة البشرية، ثم أنه إذا قتُلت عائلة بكاملها في تلك المناطق، فلابد أننا كنا سنسمع عن ذلك. أخبار المصائب لا تتأخر كثيرًا في هذه الأيام فهناك ألف وسيلة اعلامية تنقلها حتى في لحظة حدوثها وليس بعد ذلك."

وقال عزام: "ربما كان قد قتل عائلة بكاملها لتوه ولم تصلنا الأخبار بعد."

وقال الأب: "وربما كان هذا الرجلان يكذبان، وهذا هو المرجح."

وقال عزام: "لو أدركت الشرطة أننا قد آويناه لوقعنا في مشكلة كبيرة ولكان مصيرنا السجن."

وضحك الأب وهو يقول: "لماذا؟ هل أخذنا توكيل تسليم مجرمين للشرطة؟ ومالنا نحن؟ رجل أتانا ضيفًا وضيفناه ثم أننا لا نستطيع أن نسلمه للحكومة بعدما أمناه."

ورد عزام بحدة: "وكيف أمناه يا أبي؟ أنا لم أقل كلمة واحدة عن عهد أمان وأنت لم تقل."

ورد أبوه: "وهل الأمر بالكلام يا بني! ألبسناه من ملابسنا وأنمناه في مركبنا، إذن فكيف تقول أننا لم نعطه الأمان؟"

وقال عزام: "إذن فلنمسك به غدًا صباحًا ونربطه ونضربه حتى يعترف بالقتل."

وقال الأب: "كلا. في الغد صباحًا لا شأن لك به. لا تتحدث إليه مطلقًا. هاهو الفجر قد اقترب. ايقظه ليشرب كوبًا من الشاي يدفئ به جسده قبل أن يتوضأ ويصلي."

وقال عزام: "مالك يا أبي تثق في الناس بسرعة هكذا؟ أتذكر بعدما وثقت في ذلك الرجل الذي نقلناه مجانًا منذ شهر واتضح أنه لص."

ورد الأب ضاحكًا: "ذاك الأخر! علي بن أبي سليمان هو من قال أن ذلك الرجل كان لصًا، وعلي بن أبي سليمان هو فتى مرتاب قد قتله الشك حتى في اصبع قدمه، وهو بلا عقل مثلك يصدق كل شيء. ذلك الرجل لم يبد عليه قط أنه لص، ولم يسرق منا شيئًا ولم يقل أحد ممن نعرفهم أنه قد سرق منه شيئًا. حتى علي بن أبي سليمان ذلك المخبول لم يحدد ماذا سرق الرجل وممن سرق، وقد أتانا الرجل وذهب دون أن يضرنا في شيء."

ونادى أبو عزام: "يا ياسر. يا ياسر."

وسرعان ما أتى فتى صغير السن في حوالي السابعة عشرة من عمره.

وقال الأب: "اغلي الماء لاعداد الشاي وايقظ الضيف الذي ينام في المركب كي يشرب بعض الشاي ويأكل طعامًا قبل الفجر."

ذهب ياسر وصعد إلى المركب، ثم نادى: "يبدو أن الضيف قد استيقظ وذهب."

وقال عزام في لوعة: "هل صدقتني الآن يا أبي؟ لقد سرق الرجل الملابس النظيفة التي أعطيتها إياه. هو لصٌ بلا شك."

ورد ياسر من بعيد: "كلا. ملابسك مطوية هنا، وقد ترك الرجل ثمانمائة جنيه من أوراق نقدية مبللة بجانب الثياب ووضع فوقها حجرًا كي لا تطيِّرها الريح."

وضحك الأب وهو يقول: "هل صدقتني أنت؟ لقد ترك لك اللص ثمنمائة جنيه. أنا لا أفهم لماذا تشك في الناس هكذا بسرعة؟ أجل حكمك حتى ترى ما يفعلون أولاً."

وجادل عزام: "إذن لماذا هرب الرجل إن لم يكن لصًا أو قاتلاً."

وسمع الجميع صوت ماجد يأتي من جانب الكابينة الخشبية قبل أن يظهر ماجد بنفسه: "هو في الواقع لم يهرب. هو فقط خاف أن تسلمه للشرطة. ليس لأنه قاتل، ولكن لأنك لو قلت أمام أحد رجال الشرطة أنه قاتل لاعتقلوه لفترة طويلة حتى يتأكدوا أن عائلة بكاملها لم تُقتل بالفعل."

ذهب ماجد وجلس إلى جوار الأب أمام النار وقال: "كيف حالك يا حاج؟"

وقال الأب: "هل جفت ثيابك؟ حسن أنك وجدتها في المكان الذي نشرتها فيه لتجف."

وقال ماجد: "نعم. لقد وجدت الملابس. الحمد لله. شكرًا لك يا حاج."

وقال الأب: "ياسر سيعد لك الشاي ولدينا سمك وأرز باقين من طعام الأمس."

ونادى الأب: "هل أعددت الشاي يا ياسر؟"

وسرعان ما أتى الفتى ياسر بصينية عليها أربعة أكواب من الشاي وإناء بلاستيكي له غطاء به أرز صيادية وأسماك مقلية، وناول

كوبين من الشاي لعزام وأبيه وناول كوبًا من الشاي لماجد وناوله الإناء البلاستيكي وعليه ملعقة طعام معدنية كذلك.

بدأ ماجد يأكل الطعام ويشرب الشاي وسرعان ما ظهر عليه أنه لم يعد يشعر بالبرد.

وقال الأب: "نحن سنصلي الفجر جماعة عندما يُؤذن للصلاة، ثم سأذهب أنا وعزام على مركبنا إلى عملنا."

وسأل ماجد: "هل ستعبرون حتى الضفة الأخرى لتأخذوني معكما."

ورد أبو عزام: "أما أنا وعزام فسنعبر حتى البر الأخر لكننا لن نأخذك معنا. أنت يا بني لا تعرف من يتربص بك وفي أول النهار تكون أعداد الناس قليلة ويستطيع الباحثون عن شخص ما أن يجدوه بسهولة. في الساعة الحادية عشرة سيخرج أخوك ياسر وابن عمه الذي سيأتي وقتها على مركب أخر ويعبرون إلى الضفة الأخرى وسيأخذانك معهما، ولن ينزلاك عند المرسى، بل سينزلانك عند الكورنيش قريبًا من الفندق أو المكان الذي تنزل فيه، وأنت يجب أن تفتح عينيك جيدًا وأن تنتبه لنفسك وأنت متجه لذلك المكان. ادعو الله أن يحرسك ويحميك يا بني."

وأعجب ماجد بذلك الترتيب وقال: "أبقاك الله بخير يا حاج. أشكرك جزيل الشكر."

وقال الأب: "لا شكر على واجب. أنت تركت لنا بعض المال ونحن نشكرك على ذلك، ولكني كنت أنوي أن أنفذ هذا الترتيب الذي قلته لك الآن حتى بدون أن تدفع لنا شيئًا."

ورد ماجد بصوت متهدج مشحون بالعاطفة: "أنت صادق يا حاج. وفقك الله وسخر لك أولاد الحلال."

الفصل التاسع: ما حدث في أسوان ٢

ضحى تحكي

كانت هناك ابرة تنغرس في ذراعي وأحسست بالألم الشديد وحين فتحت عيناي رأيت ما رأيته بالأمس حين فتحت عيناي وكأنه ديجافو، وكأنني أعيش الأمر برمته مرة أخرى. ربت الطبيب على خداي بشيء من القوة ولما ظلت عيناي مغلقتان، كرر الطبيب ذلك التربيت القوي أو الضرب الخفيف على خدي. يا له من ثقيل! واضطررت لفتح عيني كي يوقف ضربه.

رأيت ما رأيته بالأمس في نفس الموقف. رأيت معطفين أبيضين لطبيبين أحدهما شاب والأخر أكبر سنًا. وكان الأكبر سنًا هو من يربت على خدي، ورأيت بطرف عيني إمرأة ترتدي معطفًا أبيض وبالتالي فهي إما ممرضة أو طبيبة شابة.

ما لاحظته أولاً هو أنني أجد صعوبة في تركيز عيناي وكان كل شيء أمامي غائمًا ومرت دقائق قبل أن أرى الأشياء بشكل طبيعي. بخلاف غرفة الفحص الخالية من الأجهزة تقريبًا بقرية المالكية، كانت غرفة الفحص هذه مليئة بالأجهزة والمعدات الطبية، وكان مظهر الغرفة أحسن حالاً ودهان الجدران جديد نسبيًا بخلاف دهان الجدران بغرفة الفحص بقرية المالكية.

ابتسم الطبيب حين فتحت عيناي والتفت خلفه ليرى انطباع الطبيب الأخر والذي أومأ برأسه، وربما كان ذلك دلالة لهم على أن ما كانوا يقولونه علي صحيح.

الممرضة أو الطبيبة الشابة وقفت محافظة وغير مبتسمة. بدا لي أنها متعبة أو شيء من هذا القبيل، وأدهشتني قدرتي على الملاحظة في هذه الظروف السيئة وكأنما استيقاظي في المستشفيات أصبح أمرًا معتادًا أقارن فيه بين تجاربي المختلفة وبدأت ألاحظ ما حولي

أثناء عملية الافاقة. وسأل الطبيب: "هل تستطيعين حضرتك الكلام؟"

وحاولت أن أتكلم وكان فمي بلا ريق وكان جافًا تمامًا، ولكني حاولت أن أستجمع تركيزي وقوي كي أتحدث.

وقلت للطبيب: "نعم."

وسأل الطبيب: "وما هو اسمك؟"

وأجبت بصعوبة: "ضحى."

ومد الطبيب يده قريبة من وجهي وقال: "انظري هكذا ليدي يا ضحى."

ونظرت إلى يده. كانت تبدو كبيرة جدًا وهي قريبة من وجهي هكذا حتى أنني من فرط قربها لم أكن استطيع أن أركز عليها عيناي بسهولة. ومد الطبيب اصبعه السبابة وبدأ يحركها في الجوانب الأربعة وأنا أتبع بعيني حركة أصبعه، وبدا لي من نظراته أنه راضٍ عن متابعة عيني لأصبعه.

وسأل الطبيب: "هل تتابعين حركة أصبعي بسهولة يا ضحى؟"

وكان الكلام في هذه المرة أسهل وأجبته: "نعم."

ومد الطبيب أصبعه السبابة أمامي وقال: "امسكي أصبعي يا ضحى واضغطي عليه."

وكانت حركة يدي انسيابية تمامًا رغم أنني كنت أشعر أن ذراعي خفيف ولا أستطيع التحكم فيه بشكل جيد وكنت أشعر بثقل بقية جسمي الملقى على الفراش وكأنه جوال ملح. كنت أشعر أن جسدي في بعد أخر غير الثلاثة أبعاد الموجود فيها الطبيب. كنت أشعر أن

المساحة المحيطة بالطبيب بعيدة ومختلفة عن المساحة المحيطة بي ولكني قبضت على أصبعه بسهولة."

وقال الطبيب: "الآن سأحاول سحب أصبعي من قبضتك يا ضحى. اقبض على أصبعي بيدك بقوة وحاولي منعي من سحبه.

كانت سحبة الطبيب لأصبعه مفاجئة حين أتت ولكنه كان تحديًا وأنا تقريبًا لم أفشل قط في التغلب على أي تحدٍ يأتيني من الخارج ولهذا قبضت على أصبعه بشدة ولم أتركه يسحب أصبعه من يدي.

ولما وجد الطبيب أنه لا يستطيع أن يسحب أصبعه مهما حاول، قال وهو يضغط على أسنانه: "خلاص. خلاص. الآن اتركي أصبعي يا ضحى."

وتركت أصبعه.

وقال الطبيب: "هل يمكنك أن تنزلي من فوق سرير المستشفى وتمشي ببطء. الممرضة ستساعدك على المشي."

وجاءت تلك الممرضة وساعدتني على أن أمشي. عندما تركت الفراش، شعرت بثقل جسمي على قدمي وترنحت للحظات وشعرت أنني سأسقط على ودعمتني الممرضة ولكني سرعان ما تمالكت نفسي ومشيت معها إلى أخر الغرفة وهي تسندني، وعندما وصلت إلى آخر الغرفة، تركتني الممرضة ولم تعد تدعمني وعدت وحدي إلى الفراش وجلست عليه."

وقال الطبيب بشكل قاطع: "جيد. حالتك جيدة."

وقلت للطبيب: "نعم ولكني أشعر بتشويش في رأسي."

ورد الطبيب: "تشويش! أي نوع من التشويش؟"

ورددت عليه: "لا أذكر شيئًا على الاطلاق. ما الذي أتى بي إلى هنا؟"

وقال الطبيب: "لقد أتت بك سيارة الاسعاف وقد نبهت الشرطة إلى أنه لا يسمح لك بمغادرة المستشفى إلا بعد اصدار إذن النيابة بذلك."

وادهشني هذا الأمر جدًا إلى حد الصدمة وسألته: "ماذا فعلت كي تحجزني الشرطة أو النيابة؟ هل تعني أنني محبوسة على ذمة قضية ما؟"

ورد الطبيب: "في الواقع، أنا استلمت وردية المناوبة لتوي ولا أعرف شيئًا عن هذا الأمر. قولي لي كم حصيلة ضرب خمسة في خمسة يا ضحى."

للحظة لم أتذكر الجواب ولكني وجدت نفسي أجيب: "خمسة وعشرون."

وقال الطبيب: "وتسعة في تسعة."

وقلت له: "تسعة وأربعون."

وقال الطبيب: "هل يمكنك أن تخبريني كم حصيلة ضرب اثنا عشر في اثنا عشر."

وأجبته فورًا: "مائة وأربعة وأربعون."

وقال الطبيب مبتسمًا: "بعد فترة ستأتيك ممرضة بوجبة الافطار. حمدًا لله على سلامتك."

وسألت الطبيب بتحير: "هل تستطيع يا دكتور أن تخبرني ما هو سبب الاغماء الذي أصابني."

ورد الطبيب ببساطة: "لقد تعاطيت مادة مخدرة."

وطبعًا كان هذا الشيء قد أصبح مكررًا إلى درجة عدم تصديقه من فرط غرابته وقلت للطبيب: "ولكني لا أتعاطى أية أدوية على الاطلاق."

وقال الطبيب بحدة وكأني قد اتهمته بالكذب: "كلا، حضرتك. هذا التشخيص أكيد. لقد أجرينا لك تحليلاً للدم وتأكدنا أن المادة التي تعاطيتها هي إحدى عقاقير الهلوسة."

وقلت له: "أنا لم أتعاطى أي شيء."

ورد علي الطبيب باحتقار وكأنني أحاول خداعه: "هذه ليست مشكلتي. أنت سألتني عن سبب الاغماء وأنا أجبتك عن السبب."

وخرج الطبيب من الغرفة.

وبعد قليل دخلت ممرضة ومعها صينية عليها طعام الافطار.

وبعد أن أفطرت بقليل، أصابني صداع فظيع ولكني حين طلبت أسبرين أو أي دواء لعلاج الصداع، تم اخباري أن الطبيب قد منع تناولي لأية عقاقير طبية وتساءلت عما إذا كان يمكن أن أحصل على قهوة أو شاي، وبعد لأي أتوني بكوب من الشاي الأسود شربته وشعرت أن الصداع قد خف عن ذي قبل.

بعدها بقليل دخل الغرفة رجل أعلمني أنه وكيل النيابة وصاحبه شاب معه دفتر كبير وجلس الفتى المصاحب للرجل الذي قال أنه وكيل النيابة وفتح الدفتر واستعد ليكتب ما أقوله، وقال لي وكيل النيابة: "طبعًا نحن نعرف أنك ذهبت إلى كوديتي زار وطلبت منهما اقامة حفلة زار لك وقد قاما بتخديرك وسلبك ممتلكاتك. هل يمكن أن تحكي لنا باختصار ما حدث أولاً."

وتسمرت في مكاني وفتحت فمي في بلاهة شديدة. ما هذا الذي يقوله هذا الرجل؟

وسألته سؤال كنت أعلم أن سيقلبه ضدي حيث أن ما يرويه بالتأكيد لم يحدث لي. قلت لوكيل النيابة: "هل يمكن لحضرتك أن تبرز بطاقة هويتك لأستدل منها على أنك بالتأكيد وكيل للنائب العام."

ورد الرجل باستنكار: "ماذا! هل تتشككين في أنني وكيل نيابة؟"

وقلت له: "نعم، فكل هذا الذي رويته لم يحدث قط. أنا أصلاً لا أؤمن بالزار والخرافات وهذه الخزعبلات، وحين يتعبني شيء، فإنني ألجأ إلى الله بالدعاء وإن كانت الحالة معقدة، فربما لجأت إلى طبيب، ولكني أؤمن أصلاً أن البشر لا يستطيعون كشف الضر عن بعضهم البعض، وإلا لكشفوا الضر عن أنفسهم أولاً إن كانوا يستطيعون. أنا بالتأكيد لم أذهب إلى أي زار. من أين أتيت أنت بهذا الكلام الفارغ؟"

ورد الرجل بحدة: "هذا الكلام ليس فارغًا. هذا الكلام هو اعترافات أدلت بها كوديتا الزار اللتان أعترفتا بأنهما قامتا بإقامة حفلة زار لك وبعدها خدرتاك وسرقتا حقيبتك ومحتوياتها، ولا يمكن أن تعترفا على أنفسهما بهذه التهمة الخطيرة دون أن تكونا قد فعلتاها حقيقة. لقد وجدك الضابط المسؤول عن التحقيق بحوزة هاتين الكوديتين مخدرة ولديهما حقيبتك الشخصية وجواز سفرك الألماني ونقودك ومتعلقاتك الأخرى.إما أن هناك سببًا يجعلك تدعين أنك لم تذهبي إليهما، وإما أن تكون تلك المادة المخدرة التي سقيتاها إياك قد ذهبت بجزء من ذاكرتك القريبة فلم تعودي تستطيعن أن تتذكري ذلك الجزء من حياتك."

وأخرج وكيل النيابة المزعوم من حقيبة كان يحملها جواز سفري وسألني: "أليس هذا جواز سفرك؟"

وطبعًا كان ذلك هو جواز سفري وقد عرفته من الخارج ولكني فتحته زيادة تأكيد ورأيت فيه صورتي واسمي وتأشيرة دخول مصر. طبعًا آخر مرة رأيت فيها جواز سفري كنت قد تركته في حقيبة يدي.

وقلت لوكيل النيابة: "نعم هو جواز سفري. من أين حصلت عليه حضرتك؟"

ورد علي الرجل متحديًا وكأنه ينفي عن نفسه ما نسبته إليه من أنه يقول كلامًا فارغا: "حصلت عليه من كوديتي الزار اللتان سرقتا منك حقيبتك بعد الزار."

وسألت الرجل: "وأين هي حقيبتي الآن؟"

ورد وكيل النيابة: "تستطيعين بعد التحقيق أن تذهبي إلى قسم الشرطة لاستلام جميع متعلقاتك الموجودة به وسأصدر أمرًا لقسم الشرطة أن يسلموك متعلقاتك الموجودة لديهم. الآن، هل يمكنك أن تجيبي على أسئلتي حتى أنتهي من هذا الأمر فأنا مشغول ولدي العديد من التحقيقات التي يجب أن أجريها. كان بإمكاني أن أستدعيك إلى النيابة ولكني قدرت بما أن تحقيق الشرطة أثبت أنك ضحية وأنك قد نقلت إلى المستشفى أن آتي إلى المستشفى لسؤالك وذلك مراعاة لحالتك."

وطبعًا كان هذا توبيخًا لي فقد ضحي وكيل النيابة من أجلي ولكني لم أقدر تعبه وتضحيته وقلت له: "في الواقع أنا لم أقصد أي مضايقة لسعادتك وأنا طبعًا شاكرة جدًا لكونك قد انتقلت بنفسك للمستشفى مراعاة لحالتي ولكني لا أذكر شيئًا مما تقوله. أنا بالتأكيد لم أذهب إلى كوديتي الزار فهذا ضد قناعاتي بالكامل."

ورد وكيل النيابة متأففًا: "هل يمكنك أن تردي على أسئلتي حتى ينتهي هذا الأمر؟"

وأجبته: "طبعًا حضرتك. اسأل ما تريد."

وبدأت أسئلة وكيل النيابة الرسمية وبدأ كاتب النيابة يسجل ما أقوله: "هل هذا هو جواز السفر الخاص بحضرتك؟"

وأجبته: "نعم، حضرتك. هذا هو جواز السفر الخاص بي."

وسألني وكيل النيابة: "هل أنت مواطنة مصرية؟"

وأجبته: "بالطبع، حضرتك. أنا مواطنة مصرية من أبوين مصريين وقد وُلدت ونشأت في مصر ومعظم أقاربي لازالوا يقيمون في مصر وقد هاجرت إلى ألمانيا منذ عدة سنوات ولكني بالتأكيد لازلت أحتفظ بجنسيتي المصرية ولن أتخلى عنها أبدًا. أنا أعتبر نفسي مصرية ألمانية."

وسأل وكيل النيابة: "إذن لماذا تتحركين في مصر بجواز السفر الألماني؟"

ورددت عليه: "لقد أتيت إلى مصر في إجازة قصيرة، وجواز السفر المصري انتهت مدته ولم يكون هناك وقت لتجديده، ولهذا اضطررت لدخول مصر بجواز السفر الألماني، ولكني قد قدمت طلبًا لتجديد جواز السفر من المقر الرئيسي لمصلحة الجوازات والهجرة والجنسية هنا في مصر وقد تركت الايصال الخاص باستلام جواز السفر في القاهرة ولكنك ستجد أن ما أقوله صحيح لو سألت في مصلحة الجوازات، كما أنني أتحرك عادة في مصر ببطاقة الرقم القومي فأنا لدي بطاقة رقم قومي مصرية سارية المفعول. هل وجدتموها ضمن متعلقاتي؟"

وقال وكيل النيابة: "كلا. يمكن أن تطلبي اصدار بدل فاقد لها حين تعودين إلى القاهرة ولكني طبعًا سأستعلم للتأكد من كلامك. أين تقيمين في أسوان؟"

وذكرت لوكيل النيابة اسم الفندق الذي أقيم فيه في أسوان وعنوانه. كان فندقًا شهيرًا للغاية وكان وكيل النيابة يعرف العنوان طبعًا وقال

أنه سيرسل مخصوص إلى الفندق فورًا للتأكد من اقامتي بذلك الفندق.

ضحى تحكي

في النهاية وبعد تحقيق النيابة بساعتين تقريبًا، تم اخلاء سبيلي من المستشفى على أن أذهب إلى قسم الشرطة لاستلام متعلقاتي ونقلني فاعل خير لقسم الشرطة وسلمني الضابط الموجود هناك متعلقاتي كاملة، وجلست في قسم الشرطة حتى كتبت محضر بضياع بطاقة الرقم القومي الخاصة بي وحصلت على صورة المحضر كي أقدمها في القاهرة للحصول على بدل فاقد لبطاقة الرقم القومي، وفي النهاية تمكنت من العودة إلى الفندق. كنت أكاد أن أفقد وعيي وبالكاد أستطيع أن أقف على قدمي. في الفندق ذهبت أولاً إلى مكتب الاستقبال وعلمت أن مفتاح الغرفة مع شاغليها وهذا معناه طبعًا أن د. سلوى في الغرفة، واتجهت إلى منطقة المصاعد للصعود إلى غرفتي بالفندق والتي أتشارك فيها مع د. سلوى.

من فرط التعب الذي كنت أشعر به وقفت أستند إلى أحد الجدران وأنا أنتظر حضور المصعد. أتى الأستاذ ماجد وكانت هيئته غريبة. كان يبدو كالمشردين وملابسه مبهدلة وغير مكوية وقد لبس في قدمه شبشب قديم ممزق، وبمجرد أن رآني قصد إليّ وفي عينيه نظرة اشفاق وقلق وسألني: "د. ضحى. مالك؟ ما الذي حدث لك؟"

إذن فمظهري لابد وأنه ربما أسوأ من مظهره، وبالطبع كنت متعبة وقد انتهت طاقتي وليس لدي صبر حتى أحكي ما حدث لي. وقلت للأستاذ ماجد: "أنا بخير. الحمد لله."، ورد الأستاذ ماجد: "كلا. لا تبدين بخير. ما الذي حدث لك؟"

ووجدت أنه رغم كل شيء فأنا أريد أن أحكي ما حدث، على الرغم من أن ما حدث هو أشياء لا يمكنني أن أصدقها أنا شخصيًا وقلت له الحقيقة: "لا أدري. أنا قادمة لتوي من قسم الشرطة والذي ذهبت

إليه من المستشفى. استيقظت اليوم في المستشفى وأخبرت هناك أنه لا يمكنني مغادرة المستشفى دون أن تسمح لي النيابة العامة بذلك. هل تتخيل ذلك. أنا تم التحفظ عليّ من النيابة العامة. المهم، في المستشفى جاءني وكيل النيابة وقال أنني أنا ذهبت إلى كوديتي زار وطلبت منهما أن تقيما لي حفلة زار. تخيل! وأن الكوديتان اعترفتا بإقامة حفل زار لي وسلبي نقودي ومتعلقاتي، والتي استعادتها الشرطة لي عندما وجدوني مخدرة مع كوديتي الزار وسائق تاكسي. حاولت أن أشرح لوكيل النيابة أن هذا لا يمكن أن يكون قد حدث، وأنني لست من النوع الذي يؤمن بجدوى الزار وأنه لا توجد عفاريت تتلبسني وأنا لم أفكر قط ولا مرة في حياتي أنني أعاني من عفاريت، وليس لدي حاليًا وقت أصلاً كي أعاني من التفكير في العفاريت وهذه الأشياء."

كان الأستاذ ماجد ينظر إلي وكأنني مخلوق فضائي مثلاً ودلت النظرة في عينيه على أنه شديد التعجب لما أقوله، وعندما توقفت عن الحديث قال: "أكملي يا د. ضحى."

وأكملت: "لم يصدقني وكيل النيابة. قال أن حالتي هي واحدة من مجموعة عمليات نصب قامت بها كوديتا الزار هاتين وأنهما كانتا تحتالان على السائحين وتسلبان السائحين أموالهم، ولكن لكي تحتالا علي لابد أن أكون قد ذهبت إليهما وأنا لم أذهب إليهما ولم يخطر ببالي ولا مرة في عمري أن أقيم حفلة زار أو أنني أحتاج إلى زار. أنت أيضًا لا تصدقني."

ورد الأستاذ ماجد وهو يضرب كفًا بكف: "بالعكس! أنا أصدقك تمامًا وبشدة. هل تصدقين أنني أنا نفسي قابلت أمس مساءًا رجلين لا أعرفهما عند مرسى المراكب وقاما بخطفي في مركب. أجبراني أن أركب مركبًا في النيل تحت تهديد السلاح وكانا يريدان قتلي لولا لطف الله الذي مكنني من الهرب منهما."

وهالني ما قاله الأستاذ ماجد. لولا أنه قد حدث لي ما قد حدث لما صدقته وقلت له بلوعة: "ما الذي يحدث لنا؟"

وقال الأستاذ ماجد: "أنا رأيي أن نعود إلى القاهرة. الآن اصعدي إلى غرفتك واجمعي حاجياتك وسأجمع حاجياتي ولنذهب فورًا الآن إلى المطار ونستقل طائرة إلى القاهرة."

وقلت له: "للاسف يا أستاذ ماجد. أنا لا أستطيع. هناك ارتباط عمل هام جدًا لي هنا. لا أستطيع أن أغادر أسوان، كما أنني متعبة جدًا. سأصعد إلى غرفتي لأنام."

تركت الأستاذ ماجد وقصدت أنا إلى المصعد المخصص للطوابق الزوجية بينما اتجه الأستاذ ماجد إلى المصعد المقابل المخصص للطوابق الفردية.

طرقت على باب غرفة الفندق التي أتشارك فيها مع د. سلوى وفتحت لي د. سلوى الباب ووقفت تنظر إلي في هلع وصاحت: "ضحى ما الذي حدث لك؟ هل أنت بخير؟ مالك تبدين هكذا؟ أين كنت؟"

وطبعًا لم أكن أستطيع أن أحكي لد. سلوى ما حدث لي، فالمرأة دراماتيكية تمامًا، وما بين صراخها حين تسمع ما حدث واستغاثتها بفتحي والتي لابد أنها ستحدث فربما تضطرني للحديث مرة أخرى إلى الشرطة. كل ذلك كان مجهودًا لا أستطيع أن أبذله في تلك اللحظة. أنا حتى لم يكن لدي من الصبر ما يكفي كي أحدثها وقلت لها: "نعم يا د. سلوى. أنا بخير. سأحكي لك كل شيء عندما أستيقظ من النوم. في البداية سأخذ حمامًا سريعًا كي أتخلص من ثيابي هذه."

وأصرت د. سلوى كعادتها على الكلام. أنا كنت متعبة لدرجة أنني حتى لم أكن قادرة على أن أسمع. لم يكن لدي الصبر ولا الطاقة

لسماع صوتها العالي. وقالت د.سلوى ما لم أكن أحتاج إلى سماعه: "أنا أستيقظت من النوم على طرقات فتحي ليوقظنا لنخرج مع الباقين في الرحلة السياحية. لم أجدك في السرير المجاور لسريري. قلقت عليك وتركتهم يذهبون في الرحلة السياحية وجلست أنتظر عودتك."

وتجاهلت د. سلوى وقد ضايقتني ثرثرتها. هناك حتى الآن شخصان هي ووكيل النيابة أسدوا لي معروفًا وهما متضايقان أنني لم أشكرهما عليه وقلت لها: "شكر الله لك يا د. سلوى. أنا لا أستطيع أن أتحدث الآن. أعصابي منتهية."

ونظرت لي د. سلوى وكأنها تستغرب أنني لا أتحدث إليها وظلت تنتظر وأنا أعد ثيابي للدخول إلى الحمام وتنظر لي وكأنها تنتظر أن أقول شيئًا ثم قالت: "حبيبتي. أنا أنوي أن أذهب إلى المطعم للافطار. هل تحبين أن أطلب لك وجبة الافطار في غرفتنا هنا؟"

وأجبتها: "كلا يا دكتورة. تحركي براحتك كما تشائين. أنا لا أريد أن آكل. أنا سأنام وأنت افعلي ما يحلو لك."

احضرت ثياب النوم ثم اتجهت إلى الحمام، وبينما أنا أستعد للاستحمام سمعت صوت باب الغرفة ينغلق خلف د. سلوى. لابد أنها خرجت لتذهب إلى المطعم.

استيقظت من النوم في غرفة الفندق. كان الضوء مضاءًا فدكتورة سلوى لا تنام تقريبًا إلا والنور مضاء وطبعًا هذا يحرمك عند الاستيقاظ أن تعرف هل الوقت ليلاً أم نهارًا، وطبعًا أنا لم أقم بشحن بطارية هاتفي المحمول وكذلك لم أجد ساعة يدي ضمن المتعلقات التي سلمها قسم الشرطة لي، وحمدت الله على أنني حية وبخير وأن ما ضاع هو ساعة يد وبطاقة هوية وبعض المال فقط. مددت يدي

إلى الهاتف المحمول الخاص بدكتورة سلوى والتي كانت نائمة بعمق وقد تصاعد صوت شخيرها من السرير المجاور لسريري. كان هاتفها المحمول موجود على الكومود بين السريرين. كانت الساعة هي الحادية عشرة مساءًا.

قمت على أطراف أصابعي أقصد الثلاجة الصغيرة الموجودة في غرفة الفندق. لم يكن بها شيء غير الماء. الماء فقط.

أحسست بالجوع الشديد. أنا لم آكل شيئًا منذ بداية النهار، منذ ذلك الطعام الذي أكلته في المستشفى. طبعًا لم أشرب أي قهوة في ذلك اليوم، وبسبب أنني مدمنة على الكافيين وقد نقص في جسدي كنت أعاني من صداع شديد. كانت أعصابي قد هدأت ولكني كنت جائعة. وتحركت نحو خزانة الملابس على أطراف أصابعي واستخرجت منها قميص وبنطلون جينز وجاكت ثقيل نوعًا ما. كان الجو في الغرفة معتدلاً ولكني فكرت أن الجو بالخارج لاشك أنه بارد نوعًا ما.

حملت حقيبة يد مصنوعة من قماش الجينز كنت قد أحضرتها معي من القاهرة ووضعت بها المتعلقات التي كانت في حقيبة يدي الصفراء التي استلمتها من قسم الشرطة والتي كان لونها في البداية أصفر، ولكن من الواضح أن الحقيبة مرت بعمليات رفع بصمات وتم العمل عليها من العاملين بالطب الشرعي وأصبحت لا تصلح لحملها في أي مكان. أخذت النقود التي استلمتها وبطاقات الصرف الالكترونية وجواز السفر الألماني والأشياء التي كانت موجودة في الحقيبة الصفراء ووضعت كل ذلك في الحقيبة المصنوعة من قماش الجينز الأزرق، وأثناء إخراجي لمتعلقاتي من حقيبة يدي الصفراء وجدت بطاقة الرقم القومي الخاص بي.

الحمد لله على نعمه. لابد أن الشرطة لم تجدها في الحقيبة لأنهم لم يبحثوا عنها جيدًا. أنا نفسي كثيرًا ما بحثت في حقيبتي ولم أجد فيها أشياءًا كانت موجودة فيها، ولكني فقط وقت البحث لم أعثر عليها.

وأغلقت خلفي الباب بخفة ونزلت إلى المطعم لعلني أظفر ببعض الطعام. كان المطعم مغلقًا وعلمت أن خدمة الغرف قد أنهت عملها كذلك.

ذهبت إلى الكافيتريا ولم أجد شيئًا سوى شاي وبعض البسكويت، ولما كان لابد مما ليس منه بد، وأنا لا أستطيع أن أخرج وحدي في هذه الساعة المتأخرة من الليل وأبحث عن مطعم في أسوان، طلبت شاي وبسكويت وجلست أتناوله في الكافيتريا. ما إن وصل الشاي والبسكويت إلى مائدتي حتى وصل شخص أخر: الأستاذ ماجد سليم.

وما إن رآني الأستاذ ماجد ورأى ما يوجد على مائدتي حتى قال فورًا قبل أن يحييني أو أي شيء: "شاي وبسكويت فقط! أليس لديهم شيء أخر؟"

وهززت رأسي بالنفي بأسى واضح.

جذب الأستاذ ماجد كرسيًا بجانبي على نفس الطاولة وقال: "مساء الخير."

وأجبته: "مساء النور"

وسأل: "كيف حالك الآن؟ هل أصبحت بخير؟"

وأجبته: "الحمد لله، وأنت؟"

كان من الواضح أنه قد أصبح بخير وقد غير ثيابه وحلق ذقنه وأصبح مظهره جيدًا بعد الملابس المهلهلة التي كان يرتديها في الصباح.

وقال: "الحمد لله رب العالمين فعلاً. أنا بخير."

ثم أردف بامتعاض شديد: "هل تعرفين حضرتك. منذ تلك اللحظة التي قابلتك فيها في الظهر وأنا نائم داخل غرفتي واستيقظت وطلبت

طعامًا فقالوا لي أن ساعات العمل الخاصة بخدمة الغرف قد انتهت والمطعم بدوره قد أغلق أبوابه، ولا أحد يريد أن يبيعني لقمة طعام، ولهذا قررت أن أنزل إلى بهو الفندق لأبحث عن شيء آكله، وها أنا أرى حضرتك وليس أمامك سوى الشاي والبسكويت على الرغم من أنه بإمكاني أن أخمن أنك ولابد جائعة للغاية."

وأجبته أنا بأسى: "وأنا كذلك عانيت من نفس الشيء. نمت فترة طويلة وعندما استيقظت نزلت إلى المطعم لأجده مغلقًا وكي يُقال لي أن خدمة الغرف أنهت ساعات عملها لهذا توجهت لهذه الكافيتريا ولم أجد سوى هذا الشاي والبسكويت وهذا كل ما يمكن شراؤه في هذه اللحظة في هذا الفندق."

وقال لي الأستاذ ماجد بحماسة: "هل تعرفين يا دكتورة. أنا دائمًا أخرى في رحلات كهذه. في العادة في مثل هذه الرحلات أجد أصدقاء. إما أشخاص فرادى خرجوا في الرحلة مثلي أو مجموعات أصدقاء أنضم إليهم أو عائلات ودودة، وطوال الرحلة أتحرك معهم ونأكل معًا ونروي النكات ونضحك عليها ونستعيد ذكريات قصص حياتنا المضحكة، أي أننا نسلي بعضنا البعض طوال الرحلة، وقد كونت صداقات كثيرة بتلك الطريقة. في هذه الرحلة لا أعرف. رغم أنني أصررت على الخروج فيها إلا أنني الآن نادم. عدد المصريين قليل ولا يوجد أحد أتسلى معه."

وقلت له: "أنا كذلك أرى أن هذه الرحلة كئيبة للغاية ولا أظن أنها ستترك لدي ذكريات إيجابية."

ورد الأستاذ ماجد في غيظ دفين: "لماذا! أنت معك د. سلوى. بالمناسبة لماذا لا أجدها معك الآن؟"

وأجبته: "تركتها نائمة في غرفتنا في الأعلى. هي من النوع الذي ينام بعمق شديد. عندما استيقظت لم أحب أن أتحرك داخل الغرفة فأزعجها أو أوقظها ولهذا لبست ثيابي دون أن أحدث الكثير من

الضوضاء ونزلت إلى الطابق الأرضي بالفندق أبحث عن شيء أكله."

وقال لي الأستاذ ماجد: "هل تعرفين يا دكتورة. أنا أعرف أسوان جيدًا جدًا وأتي إليها في الشتاء ولو مرة واحدة في كل عام، وأعرف مطعمًا قريبًا يقدم كباب رائع. معجزة!! حتى الآن أنا لم أتعشى بل أنني حتى لم أتغدى، وطبعًا جائع، ولكنني لسبب ما الآن لا أحب أن أذهب إلى مطعم وحدي وأحجز مائدة وحدي وأتعشى وحدي. لو كان هناك زميل معي لذهبت الآن وفورًا إلى ذلك المطعم. يعني لو أن حضرتك رجل، ولنقل أن اسمك الأستاذ مصطفى مثلاً، لكنت قد قلت لك: "ما رأيك أن نذهب إلى مطعم الكباب ذاك فنتعشى يا أستاذ مصطفى؟"

ورددت عليه مبتسمة، حيث أنه من الواضح أن حديث د. سلوى المستمر عن أنني وهي امرآتان بمفردهما لا يجب أن يتحدث إلينا رجل، وإلا أعتُبر وكأنه يتطفل علينا، قد أثر على الأستاذ ماجد بشدة وقلت له: "عادي جدًا. لماذا تجعل هذا الأمر البسيط عسيرًا هكذا. الأستاذ مصطفى موافق، ولكن يا ليتنا نتحرك بسرعة لأن الأستاذ مصطفى جائع للغاية."

وأشار لي الأستاذ ماجد كي أتقدمه نحو باب الكافيتريا للخروج وقال: "الأستاذ مصطفى جائع! كيف ذلك؟ تفضل يا أستاذ مصطفى."

ما إن دخل الأستاذ ماجد إلى أحد المطاعم القريبة التي تشير لافتتها إلى أنها تقدم مشويات حتى وضع ذراعه على كتف نادل كان ظهره مواجهًا لنا عندما دخلنا إلى المطعم وقال للرجل: "سعيد! آمل أن تكون سعيدًا يا سعيد. كيف حالك؟"

والتفت إليه الرجل مبتسمًا واتسعت عيناه في دهشة حين رأى الأستاذ ماجد وقال: "أستاذ ماجد. مرحبًا بك في اسوان. هل آتيت اليوم؟"

ورد الأستاذ ماجد: "كلا آتيت أمس إلى أسوان وكانت ليلة ليلاء لا أظن أن أحدًا ممن تعرفهم عاش قط ليلة مثلها من قبل. سأحدثك عنها في وقت لاحق."

وقال النادل: "إن شاء الله كله خير. هل أحضر لك طلبك المعتاد؟"

ورد الأستاذ ماجد وهو يشير إلي: "الطلب المعتاد لشخصين واحضر لنا مع الطلبين السلطات والبابا غنوج وعصير البرتقال الطازج والبطاطس المقلية والأشياء التي تعرفها. أنا جائع جدًا ومعتمد عليك."

الفصل العاشر: انكشاف المستور

وابتسم النادل وأومأ برأسه بمعنى أنه يفهم وتركنا ليحضر المطلوب بينما أشار لي الأستاذ ماجد إلى مائدة قريبة.

وما هي إلا دقائق وكان أمامنا طبقين كبيرين من الكباب والكفتة والمشويات الأخرى ثم توالى حضور الأطباق من السلطات والبطاطس المقلية وغيرها.

وكان الطعام بالفعل عبقريًا كما وصفه الأستاذ ماجد بالضبط، وقلت له: "أنت على حق. الكباب هنا عبقري. أنا أصلاً مقيمة في ألمانيا وطبعًا طوال العام وأنا أحلم بأكلة كهذه. حاولت كثيرًا في ألمانيا في اجازاتي أن أطبخ كباب ولكن نتيجة جهودي لا تصل أبدًا إلى الطعم اللذيذ الذي ينتجه صانعوا الكباب في المطاعم في مصر."

وقال الأستاذ ماجد: "وأنا أيضًا. أنا أقيم وحدي في القاهرة وكم حاولت أن أطبخ كبابًا في البيت واستعنت بمختلف الوصفات

الموجودة على الانترنت وتوصيات الأصدقاء ووصفات القريبات من النساء ولكن محاولاتي جميعها لم تسفر عن كباب يمكن مقارنته بالكباب الذي يصنعونه هنا. المفروض أن يمنحوا طباخ الكباب في هذا المطعم براءة اختراع عن الكباب الذي ينتجه."

وضحكت أنا وقلت: "طبعًا هذا هو المفروض. كم مُنحت براءات اختراع لأشياء لا قيمة لها، أما طباخ الكباب هنا فهو يستحق براءة اختراع فعلاً."

في بهو الفندق الذي كان يقيم به كل من ضحى وماجد في أسوان خرجت د. سلوى من المصعد النازل إلى بهو الفندق وتحركت مسرعة إلى حيث كان ينتظرها نبيل أحد المسافرين في تلك الرحلة التي خرج فيها كل من ماجد وضحى. وكان نبيل يقف قلقًا ومتوترًا ويضع يديه في جيبيه وهو يهزهما بشكل مستمر وحين رأى د. سلوى صاح فيها: "لماذا تأخرت؟ لماذا لم تنزلي بسرعة؟ لو أسرعت قليلاً لتمكنت من اللحاق بها."

وسألت د. سلوى: "أين ذهبت. ماذا حدث؟"

وقال نبيل: "وأنت نائمة نزلت إلى الكافيتريا وشربت شاي وحضر إلى الكافيتريا ذلك الرجل المسمى "ماجد" وخرجت معه. لابد أنهما قد ذهبا إلى مطعم كي تتعشى معه أو لعله قد دعاها إلى سهرة ما."

وقالت د. سلوى بغضب: "ولماذا لم تمنعهما أنت؟"

ورد نبيل بصوت قوي وغاضب وكأنه يستنكر محاولة د. سلوى رفع المسئولية عن كاهلها وتحميله المسئولية: "كيف أمنعهما؟ هل كنت تريدين مني مثلاً أن أتشاجر مع ذلك الرجل ماجد أو أن أقول لها لا تخرجي معه. فورًا سترد علي وتقول لي "وما شأنك أنت؟" ولن تطيعني."

وقالت د. سلوى وقد قطبت جبينها وكأنه قد أصابها الضيق من شدة غباءه: "ليس هكذا يا أخي! بلطف! مثلاً تسألهما وهما خارجان من باب الفندق هل سيتناولان العشاء في مكان ما وتذهب معهما للعشاء أو تقول لهما أنك لم تتعشى بعد وأنك تعرف مكانًا جيدًا يمكنكم أن تتعشوا فيه معًا وتدعوهما على العشاء بمعنى أنك كان يجب أن تفكر بسرعة ولا تتركهما يخرجان معًا وحدهما. الأستاذ جمال سيكون غاضبًا جدًا."

ورد نبيل: "على العموم، محيي وكليف خرجا خلفهما في سيارة ناصر ولابد أنهم يتابعونهما الآن، وبمجرد أن يصلا إلى مطعم أو مكان للسهرة سيخبرنا محيي الدين وكليف بالمكان الذي ذهبا إليه ووقتها تذهبين أنت إلى ذلك المكان وتباغتيهما فيه."

وردت سلوى مستنكرة: "ماذا! أباغتهما!! وكيف يا عبقري أبرر لها أنني عثرت عليهما وعرفت مكانها في مدينة كبيرة كأسوان."

وقال نبيل: "اتصلي بها بالهاتف المحمول واسأليها عن مكانها."

وردت سلوى: "للأسف هي تركت هاتفها المحمول في الغرفة فهي انشغلت عنه ولم تشحن بطاريته منذ أمس."

وقال نبيل: "تظاهري أنك وجدتها بالصدفة."

وردت سلوى شارحة له الموقف كما لو كانت تحدث شخصًا غبيًا أو طفلاً صغيرًا: "يا بني آدم! المفروض أنني كنت نائمة ولازلت نائمة ولا يوجد سبب لاستيقاظي والمفروض أنني قد خرجت في هذه الرحلة وحدي ولا علاقة لي بكم. لا توجد امرأة محترمة تخرج بعد منتصف الليل وحدها وتذهب إلى مطعم أو سهرة وحتى لو أرادت فعل ذلك، هل ستتوجه مباشرة إلى المطعم أو المكان الذي توجهت إليه ضحى بالذات صدفة، ثم أنني لو قلت لها أنها صدفة فلماذا ذهبت إلى ذلك المكان؟ هل ستقول عني في نفسها أنني أطاردها أو

أن هناك من كان يتتبعها وتوصل إلى مكانها واتصل بي كي اباغتها، وماذا سأقول لها إن وجدتها هي وماجد هل أقول له وقتها أننا امرأتان وحدنا أو أوبخها لأنها خرجت معه. علاقتي بها لا تسمح لي بذلك."

وسأل نبيل: "وماذا سنفعل الآن؟"

وردت د. سلوى: "لاشيء يمكن أن نفعله الآن. لابد أن ننتظر حتى الصباح كي يبدو كل شيء كما لو كان طبيعيًا. اتركها تتسمم أو تتعشى الليلة أو حتى تتنيل أو تسهر وتعود إلى الغرفة وقتما شاءت. ما الذي يمكن أن يعرفه عنها ذلك الزفت ماجد خلال الساعات القليلة التي سيقضيها معها، وما الذي يمكن أن يقوله لها. على أقصى تقدير سيقضيان معًا عدة ساعات ثم يعودان إلى الفندق، ووقتها سنتصرف طبقًا للموقف. لكن لن يفيدنا أبدًا أن نثير شكوكها بشأننا الآن."

ورد نبيل: "وماذا سنفعل الآن في هذه اللحظة؟"

وردت سلوى: "أنا سأصعد إلى غرفتي وأنام. لابد أن يكون ذهني صافيًا في الغد كي نفكر ونتصرف بشكل محسوب ونسيطر على الموقف من جديد. أنت ايضًا إذهب لتنام. ألم تقل أن محيي وكليف وناصر يتبعونهما. لو حدث شيء سيبلغوننا به. منذ بداية هذه الرحلة وأنا مستيقظة وافتح عيناي على سعتهما حتى فسدت أعصابي وكان لابد أن أنام بعمق وقد كنت أنام بعمق قبل أن توقظني لتخبرني بخروجها مع ذلك الزفت ماجد."

وزفرت د. سلوى بنفاذ صبرها وقالت "شيءٌ مقرف." وامتد صوت الفاء في كلمة مقرف مُعربًا عن ضيقها ونفاذ صبرها.

ماجد يحكي

وقلت لد. ضحى: "أرجو أن تعلمي أن لدي احترام عميق جدًا للمرض النفسي والعقلي كذلك، وهذا معناه أنني أفهم وضعك بشكل جيد ولا أستخف بك أو أعتبرك مخطئة. المرض العقلي أو المرض النفسي مثل المرض الجسماني سواءًا بسواء ويمكن أن يصيب أي إنسان في أي وقت وفي هذه الحالة لا يستطيع الانسان دفعه أو السيطرة عليه."

وردت علي ضحى وكأنها تستغرب ما أقوله: "عن أي مرض عقلي أو نفسي تتحدث؟ ما الذي تتحدث عنه؟"

وأجبتها: "أنا شخصيًا أصابني الاكتئاب لفترة طويلة ولكني الآن شفيت تقريبًا منه. هذا معناه أنك لا تحتاجين أن تبرري لي أي شيء. أنا أفهم ما تمرين به تمامًا وما تعانين منه."

وردت د. ضحى: "أنا لا أعاني من أي شيء، ولست مصابة بأية أمراض لا بدنية ولا عقلية ولا نفسية على حد علمي، والحمد لله على ذلك."

ورددت عليها: "هل تدعين أنك لم تتلقي من قبل تشخيصًا من طبيب بأنه لديك مرض نفسي أو عقلي أصابك؟"

وردت د. ضحى: "كلا. لم يحدث لي ذلك قط. أنا لم أذهب إلى طبيب أمراض نفسية أو عصبية قط قبل ذلك، هل يمكنني أن أدعوك ماجد باسمك المجرد."

وأجبتها: "طبعًا سيكون ذلك من دواعي سروري وطبعًا سأدعوك ضحى. المخاطبة بألفاظ الأستاذ والدكتورة هذه ونحن أصدقاء تعطي انطباع بأننا لا زلنا نعيش في منتصف القرن العشرين، وصدقيني أنا لن أحدث احدًا عن المرضي النفسي الذي تعانين منه، ولكني أعرف كل شيء. أنا من نقلتك إلى المستوصف في قرية المالكية."

وقالت ضحى وكأنها لا تصدقني: "ماذا! أنت نقلتني إلى المستشفى!"

وأجبتها: "نعم. ألم تقل لك د. سلوى شيئًا عن ذلك؟"

وقالت ضحى وابتسمت ابتسامة كما لو كانت قد استنتجت شيئًا ما وكأنها تتذكر شيئًا ما: "نعم. لقد تذكرت الآن. لابد أنك أنت من دفعت المصاريف الطبية عن تلك الليلة التي قضيتها أنا في المستوصف وثمن الأدوية التي أعُطيت لي."

وأومأت برأسي وقلت لها: "نعم، إذن فدكتورة سلوى قد حدثتك عن ذلك."

وردت ضحى وهي تبتسم: "كلا. في الواقع هي لم تحدثني عن شيء وأنا لم أعلم شيئًا عن نقلك لي للمستوصف ودفعك للفاتورة وإلا لكنت قد شكرتك على الأقل ولكنت قد رددت لك ثمن الفاتورة."

وأشرت لها أنه لا داعي لهذا الأمر وسألتها: "كيف لم تقل لك د. سلوى شيئًا عن ذلك، وأنت!! ألم تسألي؟"

وردت ضحى: "أنا فتحت عيناي في المستوصف ووجدت ذلك الطبيب الشاب د. صقر والممرضة يقولان لي حمدًا لله على سلامتك. كيف أخبار حالتك الصحية الآن؟ ولم يحدثاني عن شيء ثم أتت إلي د. سلوى وقالت لي حمدًا لله على سلامتك وأخبرتني أن فتحي موجود معها خارج غرفة الطبيب بالمستوصف ومعه الحافلة الكبيرة التي أتت لتوها من القاهرة ولهذا طبعًا افترضت أنا أنهما هما من نقلاني إلى المستوصف. وعندما قال لي ذلك الطبيب د. صقر أن زميلاً لي في الرحلة دفع الفاتورة والمصاريف الطبية افترضت فورًا أن فتحي هو من فعل ذلك وكنت أنوي أن أرد له المبلغ الذي دفعه للمستوصف وزيادة ولكني لم أقف معه وحدنا ولا لدقيقة في أي وقت بعد خروجي من المستوصف كي أدفع له المال. افترضت أنا

بسبب رؤيتي لد. سلوى بعد إفاقتي مباشرة وحديثها عن وجود فتحي خارج غرفة الطبيب أنهما هما من نقلاني للمستشفى ودفعا المصاريف فأنا لم أر سواهما ولم تكن أنت موجودًا في المستوصف عندما أفقت ولم يخبرني أحد بشيء عنك. إذن فأنت من نقلني إلى المستوصف ليلتها. شكرًا جزيلاً لك يا أستاذ ماجد. بما أنك أنت من نقلني، فهل لي أن أسألك ماذا حدث ليلتها؟"

وطبعًا أحسست بالحرج فكأنما ذكرت ذلك لها كي تشكرني أو ترد لي المبلغ الذي دفعته وأجبتها: "لا شكر على واجب. أنا لم أقل لك ذلك كي تشكريني. أي شخص في مكاني كان سيفعل ما فعلته وطبعًا د. سلوى كانت ستفعل أضعاف ذلك، ولابد أن ذلك هو السبب في أنها لم تخبرك عن نقلي لك إلى المستوصف. هي اعتبرت ذلك حقًا للناس على بعضها البعض عندما يكونون في رحلة مثل تلك التي نحن أعضاء فيها الآن."

وقالت لي: "الآن وقد عرفت أنك أنت من نقلتني. بالنسبة للفاتورة؟ كم دفعت؟"

وأجبتها: "انت لن تدفعي لي شيئًا. أنا لتوي قلت أنه حق من حقوق الزميل في الرحلة على زميله، وسأعتبر محاولتك دفع أي مال لي بمثابة رفض لصداقتي ورفض لعلاقة الزمالة التي نشأت بيننا."

وضحكت د. ضحى وهي تقول: "يا أستاذ ماجد. الأمور لا تسير هكذا. أنا امرأة أعمل في الخارج ولدي مال."

ورفعت يدي أستأذنها في ألا تكمل حديثها وقلت لها: "اسمي ماجد فقط، وسأشعر بالضيق الشديد لو استمر هذا الحديث."

وقالت د. ضحى وهي تبتسم: "حسنًا. كما تريد، ولكني أرجوك أن تروي لي بالتفصيل ماذا حدث تلك الليلة كما حدث وأرجوك ألا تخفي عني شيئًا."

وأجبتها: "لا يوجد أي داعي لإخفاء أي شيء، فلم يحدث شيء مقلق في تلك الليلة."

وأجابت: "إذن احك لي كل شيء بالتفصيل من فضلك."

ورددت عليها: "في تلك الليلة دخلت غرفتي حين أوصلونا إلى ذلك البيت الريفي وطبعًا لابد أنك تذكرين أنه لم يكن هناك كهرباء بذلك المنزل وكان الجو مظلمًا وكنت أنا متعبًا ونمت بمجرد استلقائي على السرير. لا أذكر كم نمت ولكني استيقظت وأحسست أن هناك شيئًا ما يتدحرج على السلالم. كانت غرفتي في الطابق الثاني غرفة مفردة مجاورة تمامًا للسلالم وكان الجدار على يمين السلالم هو الجدار الأيسر للغرفة التي كنت أقيم فيها وكان هناك صوت ارتطام شيء بالجدار ثم صوت دحرجة على السلالم وقد أوقظني ذلك فورًا لأن ذلك الشيء كما أشرح لك ارتطم بالجدار الأيسر لغرفتي مما أوقظني. سمعت صوت آهة نسائية. وخرجت من الغرفة بسرعة ورأيت شخصًا يقوم ويسقط ثم يقوم ويسقط ويتدحرج على السلالم ثم يقوم محاولاً الحفاظ على اتزانه وهلم جرًا."

وسألتني ضحى: "هل كان هذا الشخص هو أنا؟"

وأجبتها: "نعم. وقتها أنا لم أر الشخص الذي يسقط في الظلام ونزلت الدرج بسرعة خلفك ولكنك قمت واندفعت تجرين في الطابق الأول ثم خرجت تجرين وأنت تعرجين من الباب الكبير للطابق الأول والذي كان مفتوحًا على مصراعيه وجريت خارج المنزل وأنا أجري وراءك ثم اعترض طريقك كومة تراب خارج المنزل فسقطت عليها ولم تقومي. عندما سقطت للمرة الأخيرة كان لدي وقت لاستعمال مصباح الموبايل وأدركت أنا وقتها أنها انت وتصورت فورًا أنك قد تكونين ضحية قرصة ثعبان أو عقرب، ولهذا بادرت وحملتك إلى الطريق الرئيسي، وتوقفت أمامي فورًا أول سيارة عبرت على ذلك الطريق. كانت سيارة مهندس مباني يعمل في مشروع في منطقة

قريبة، وبمجرد أن رآك تلبسين قميص النوم وأنا ألبس بيجامة لأنني طبعًا حملتك واندفعت أبحث عن شيء ينقلك إلى مستشفى أو مستوصف دون أن أنتبه لما ألبسه، ولو انتبهت لملابسي لما غير ذلك في الموضوع وقتها شيئًا، قال لي المهندس ما سمعته بعد ذلك مرات عدة: "حمدًا لله على سلامة زوجتك. ماذا بها؟"

وأجبته: "يبدو أن هناك ثعبان أو عقرب قد قرصها."

وصاح الرجل: "ألف لا بأس. اطمئن. دقائق وستكون تحت رعاية طبية."

وساعدني الرجل بسرعة في وضعك في المقعد الخلفي لسيارته وانطلق بنا إلى المستوصف والذي قال لي أنه مستوصف جيد والناس يمتدحونه على الرغم من أنه هو شخصيًا لم يجربه."

توقف ماجد عن الحديث وأتى سعيد النادل ومعه صينية عليها ٢ كوب شاي وصب الشاي وترك السكر وانصرف، وسألتني ضحى وقد بدا عليها الاهتمام الشديد: "وما الذي حدث ليلتها بعد ذلك؟"

ورددت عليها: "الناس في المستوصف عندما رأوني أنا والمهندس نحملك حملوك معنا بسرعة إلى غرفة الطبيب فورًا وأنا شكرت المهندس وودعته وطبعًا عرضت عليه مال، ورفض تمامًا وفي النهاية قال لي بصوت مسموع من الجميع: "إن شاء الله تصبح زوجتك بخير."

وقام الطبيب بالكشف عليك بينما أنتظرت أنا خارج غرفة الكشف كما طُلب مني، وأتى الطبيب يحدثني وسألني إن كنت زوجك، وطبعًا شعرت بالحرج ولم يسعفني ذهني أن أقول له أنني أخوك أو شيئًا من هذا القبيل، بل قلت له: "نعم." بمعنى أنني زوجك."

وعندما سألت الطبيب: "هل هي بخير؟" رد ذلك الطبيب الذي كان الكل يدعوه دكتور صقر: "نعم. تبدو بخير. هي لم تفق بعد، وقد لا

تفيق لفترة ولكن السكر مضبوط والنبض شبه طبيعي، وإن كان الضغط مرتفعًا قليلاً ولكن لا يوجد شيء يثير القلق بشأن حالتها الصحية. إن شاء الله ستفيق قريبًا وتكون بخير. هل لديها تاريخ مرضي معين؟"

واجبته وقد نسيت كذبتي: "وكيف لي أن أعرف؟"

واستكملت حديثي وأنا أحكي لضحى ما حدث لي تلك الليلة: "وسألني الطبيب باندهاش شديد: "كيف. ألست زوجها؟"

"وأجبته وأنا أحاول التخلص من هذا الموقف المحرج، وكنت وأنا أتحدث أضع يدي على فمي حتى أغطيه تقريبًا وأنا أحاول أن أخفي حرجي: "ما أعرفه هو أنها بخير. أي أنه ليس لديها أي أمراض ولكن ربما كان هناك مرض قد أصابها وهي لا تعلم به. أنا أسمع أن معظم مرضى السكر لم يدركوا بعد أنهم مصابون به وأن ضغط الدم المرتفع هو القاتل الصامت، وقد يكون قد أصابها مرض معوي أو نوبة معوية شديدة لأن الطعام الذي أكلناه بالأمس لسنا معتادين على أكله على الاطلاق."

وسأل الطبيب: "وماذا أكلتم؟"

وأجبته: "سمك مشوي ساخن، وقد تكون سخونته تخفي أنه غير طازج مثلاً. كانت الكافيتريا، وهي تلك الموجودة عند الشارع العام في تلك المنطقة قذرة للغاية وغير نظيفة ومليئة بالذباب، وحتى الشاي لم أستطع أنا أن أشربه فيها."

ورد الطبيب بقرف: "نعم. أنا أعرف جيدًا تلك الكافيتريا. ما كان يجب أن تأكلوا فيها. لماذا توقفتم عند تلك الكافيتريا بالذات؟"

وأجبته: "إنها الكافيتريا التي توقف عندها الأتوبيس، وظننا أننا سنبقى فيها لفترة قصيرة ولكن الأتوبيس تعطل واضطررنا للغذاء فيها."

وأجاب الطبيب: "نعم. حظكما كان سيئًا."

واستكملت حكايتي لضحى: "وسألني الطبيب: "والليلة! هل تناولتما شيئًا للترفيه والتخفيف عن أنفسكما؟ مخدرات مثلاً!!؟"

وأجبته باستنكار: "ماذا! طبعًا لا. بالطبع لم نتناول أي شيء من هذا القبيل. لا شيء للترفيه ولا مخدرات. أنا رجل محترم جدًا والدكتورة سيدة محترمة جدًا جدًا ونحن لا نتناول هذه الأشياء. ماذا تقصد أن تقول؟"

واستكملت روايتي لضحى وقلت: "ومع ذلك فقد أصر الطبيب على ما قال، وقال: "للأسف لابد أنكما قد تناولتما شيئًا من ذلك. أنا متأكد."

وسألتني ضحى: "هل أصر الطبيب أنه متأكد من أننا شربنا شيئًا للترفيه أو مخدرات."

وقلت لها: "نعم. هذا ما قاله."

وسألت: "وماذا قلت له أنت لتقنعه بأننا لم نتعاط مخدرات؟"

ورددت عليها: "لم أستمر في الحديث معه. في تلك اللحظة وصل شاب يسنده ثلاثة رجال بل قولي يحملونه حملاً، وكانت رأسه تسيل منها الدماء وذراعه تنزف بغزارة وما إن رأه الطبيب حتى وجه الثلاثة شباب الذين يحملونه إلى غرفة أخرى غير تلك التي كنت أنت فيها وأسرع ففتحها لهم ودخل إليها، وقال لي: "لا تنصرف حتى أعود إليك."

وسألتني ضحى: "وماذا حدث عندما عاد إليك؟"

وأجبتها: "لم يعد لي ذلك الطبيب قط ولم أره بعد ذلك. انتظرت فترة ثم آتاني ضابط شاب صغير كان يحمل ثلاث نجوم بما يدل أنه نقيب

تقريبًا وسألني إن كنت زوجك، وطبعًا لم يكن يمكنني أن أكذب على الشرطة فقلت له بصراحة أنني لست زوجك وسألني وقتها الضابط: "كيف لا تكون زوجها؟ لقد قال لي الطبيب أنك موجود في حجرة الاستقبال وأنك تلبس بيجامة دباديب "جمع ساخر لكلمة دب." هل هذا يعني أنك لست من أحضرتها إلى المستوصف؟"

وطبعًا اضطررت إلى قول الحقيقة وأجبته: "نعم، أنا من أحضرها إلى المستوصف ولكني لست زوجها."

وسألني الضابط: "وما هي علاقة القرابة بينك وبينها؟"

وأجبته: "لا توجد بيننا أية علاقة قرابة. أنا فقط زميلها في الرحلة السياحية التي أحضرتنا إلى هنا."

وسألني الضابط باستنكار: "ماذا! فقط زميلها في الرحلة السياحية!!!"

وأجبته: "وكأخيها تمامًا. في الرحلات السياحية كهذه التي خرجنا فيها يكون الناس جميعًا كالأخوة والأخوات."

ولدهشتي ارتفع ضحك ضحى وهي تقول:"لك الله يا أستاذ ماجد. لقد عانيت بشدة في هذه الرحلة بسببي. هذه الأشياء لا تحدث إلا لك."

وطبعًا كان حديثها يوحي بأنها تعرفني جيدًا، وطبعًا لم أكن أنوي أن أحكي لها عن الجزء المحرج، ولكني عندما سمعتها تضحك أخبرتها به وقلت لها: "قال لي الضابط: "قال لي الطبيب أنها ترتدي ثياب النوم وأنت ترتدي بيجامة. هل أنت زميلها فقط؟"

وازداد ضحك د. ضحى وطبعًا كان الضحك معدي وبدا لي الموقف ليلتها سخيفًا وبدأت أضحك أنا الأخر وسألتها وأنا أظهر اندهاشي وسط ضحكي: "ما الذي يضحكك يا د. ضحى؟"

وردت وهي لا تزال تضحك: "ضحى فقط. لاشيء يضحكني. أكمل من فضلك."

وأكملت: "طبعًا أنا وقتها أحسست بالغضب الشديد بسبب أنه يشكك في أخلاقياتنا دون أي داعي لذلك ولذا نظرت له بحدة وقلت له: "أرجوك. لا داعي لهذه التلميحات المسيئة. أنا رجل محترم والدكتورة امرأة محترمة كذلك. هي كانت تنام في غرفتها بملابس النوم وكانت تنام معها في نفس الغرفة امرأة أخرى وهي دكتورة محترمة للغاية كذلك، وأنا كنت أنام في غرفة بمفردي وكنت أرتدي هذه البيجامة. وفجأة أحسست أن هناك شخصًا يسقط على الدرج بجانب غرفتي. كانت د. ضحى. خرجت من تلك الغرفة التي تقيم بها مع تلك المرأة وتدحرجت على السلالم وخرجت تجري خارج البيت الريفي الذي اضطررنا للمبيت فيه الليلة، ثم سقطت د. ضحى على كومة من الرمال في الطريق الترابي ولهذا بادرت وحملتها ومشيت وأنا أحملها لبعض الوقت ثم قابلت سيارة بها مهندس يعمل في هذه المنطقة. اسمه المهندس حازم وقد كتب لي رقم هاتفه المحمول بسبب أنني لست من المنطقة وقد احتاج إليه في أمر أخر، وهو من أصر على أن يكتب لي رقم هاتفه، ويمكنني أن أعطيك رقم الهاتف لو أردت."

وقال الضابط: "طبعًا أريد. اعطني رقم هاتفه."

وحكيت لضحى: "وأعطيت الضابط رقم هاتفه المحمول والذي سجلته على هاتفي المحمول الذي عادة في الرحلات أضعه على الطاولة بجانبي وإن تحركت وضعته في جيبي لأنني كنت أخاف عليه من السرقة."

وسألت ضحى: "وماذا قال الضابط وقتها؟"

وأجبتها: "قال لي أن أنتظره وخرج من المستوصف وظل خارجه حوالي نصف ساعة يتحدث في هاتفه ثم عاد وقال لي: "استكمل ما كنت تقصه علي."

وأجبته بتكرار الرد على سؤاله الأخير: "أنا كنت ألبس بيجامة في غرفتي بمفردي وكانت هي تلبس بيجامة في الغرفة التي كانت تقيم فيها مع دكتورة أخر محترمة. هل يمكنني أن أسأل سؤالاً؟"

ورد الضابط: "ما هو السؤال؟"

واجبته: "لماذا استدعى الطبيب الشرطة؟"

وأجابني: "ولو أنه ضد مبادئي أن أجيب على الأسئلة في تحقيق ما، ولكن لم يستدعي الطبيب الشرطة بشأن حالة زميلتك بل استدعانا بشأن حالة مريض أخر أصيب بطلق ناري، ولكن عندما أتيت حدثني الطبيب عن أن زميلتك لابد وأنها تناولت مخدرًا ما."

وأجبته: "ماذا! ولكن هذا غير معقول. لا يمكن لدكتورة محترمة مثل دكتورة ضحى تعمل في ألمانيا أن تتعاطى هذه الأشياء. لابد أن الطبيب مخطيء. إنه طبيب صغير وليس لديه خبرة ولعله لا يفهم شيئًا في الطب. أنا أرجح أنها تعرضت لقرصة ثعبان أو لدغة عقرب، وهذا ما جعلني أبادر وأحملها إلى المستوصف بمجرد أن رأيتها سقطت فاقدة للوعي على الأرض."

واكملت لضحى الحكاية فقلت لها: "وعندما أخبرته، سألني الضابط باهتمام: "دكتورة تعمل في ألمانيا!! ماذا تعمل؟"

وأجبته بالحقيقة: "لا أعرف."

وسأل الضابط: "ما هو اسمها؟"

وأجبته: "اسمها دكتورة ضحى."

وقال: "ضحى ماذا! ما هو اسمها الثلاثي؟"

وطبعًا أجبته بالحقيقة: "لا أعلم."

وتعالت ضحكات ضحى وهي تستمع لي ولمعت عيناها وعندما سألتها: "علام تضحكين."

أجابتني وهي لا تزال تضحك: "لا شيء. أكمل. أكمل."

وقلت لها: "وقتها بدا على الضابط فجأة أنه هو الأخر يستمتع بوقته. فجأة بدا وهو يسمعني وكأنني أقول أشياء مسلية ثم قال لي الضابط: "لا تعرف اسمها ولا ماذا تعمل. أنت فعلاً ما اسميه مصدر وثيق الصلة بالمجني عليها. لا تعرف عنها شيئًا ثم تأتي لتصدر فتاواك: "لا يمكن أن تكون قد تعاطت مخدرات. إنها امرأة محترمة. هذه دكتورة كبيرة. أنت أصلاً لا تعرف اسمها."

وأجبته: "اسمها دكتورة ضحى."

وسألتني د. ضحى وقد كفت عن الضحك: "وماذا حدث بعد ذلك؟"

واجبتها: "بدأ ذلك الضابط ينظر إلي من أعلى إلى أسفل ثم أتت الأسئلة التي لا لزوم لها. سألني وهو ينظر إلي بارتياب: "وأنت. هل معك الآن بطاقة هوية؟"

وأجبته: "كلا طبعًا. هل رأيت من قبل أحدًا يحمل بطاقة هوية في البيجامة التي ينام بها؟"

ورد علي الضابط وهو يقول: "كلا. وأي بيجامة هذه!! من الواضح كذلك أنها بلا جيوب! وأين ذلك المنزل الريفي الذي تنزلون به بالضبط؟"

وأجبته: "هو في مكان قريب من هنا. على بعد حوالي عشرين دقيقة بالسيارة. طبعًا أنا لم أر الطريق إليه إلا ليلاً."

ورد الضابط: "هذا يعني أنك لا تحمل بطاقة هوية وكذلك لا تعرف العنوان. ألف نهار أبيض. وكيف تخطط لأن تعود إلى ذلك المنزل؟"

وأجبت الضابط: "سأنتظر حتى تفيق د. ضحى ويسعفونها ثم سأوقف سيارة أجرة إن وجدت واحدة وقد أتمشى معها إلى ذلك المنزل الريفي لو سمحت حالتها الصحية وربما أستفيد من ذلك العرض السخي الذي عرضه علي المهندس الذي أوصلني وضحى إلى هنا بأن يعيدنا إلى المكان الذي أخذنا منه ما لم تكن حضرتك طبعًا قد أخبرته أن د. ضحى ليست زوجتي."

ورد الضابط: "لم أخبره، ولكن لا يمكنك أن تمشي مع د. ضحى إلى ذلك البيت الريفي أنت بالبيجامة وهي بثياب النوم هكذا وسط الناس في الصعيد."

وأجبته: "أنا لا يمكنني أن أتركها تعود وحدها، ثم إن الأمر عادي. قميص نومها طويل وثقيل وبأكمام طويلة ويبدو محتشمًا ثم أننا قد ننتظر حتى تشرق الشمس وتستعيد عافيتها بشكل كامل ووقتها يمكننا أن نعود مشيًا على الأقدام وقد نجد سيارة تنقلنا بأجر إلى ذلك المنزل الريفي."

ونظرت إلى د. ضحى وكانت تستمع لي بانتباه وأكملت حديثي: "سألني الضابط: "ينقلك بأجر. إذن أنت لا تحمل بطاقة هوية ولكنك تحمل بعض المال. أرى أنك تحمل مالك في البيجامة التي تنام بها كما يبدو، وكذلك لم تنس المحمول الخاص بك."

وأريته جيبًا سريًا في البيجامة وقلت له: "لو تركت المال في حقيبة السفر أو في الملابس الأخرى فقد يُسرق ولهذا فأنا أنقل المال إلى جيب أي شيء أرتديه لحظة ارتداءه فأنا مسافر قديم معتاد على الرحلات وهذا شيء هام تعلمته من رحلاتي السابقة. لا تترك المال في أمتعتك أبدًا. يجب أن يكون مالك في الرحلة دائمًا ملتصقًا بك

وهذا مختلف عن بطاقة الهوية، فمن يمكنه أن يرغب في أن يسرق بطاقة هوية شخص مثلي؟"

وللحظة بدا لي ذلك الضابط أدميًا وقد اختفت صرامته وقال: "لو أجبتك على هذا السؤال لأدهشتك. الكثيرون مهتمون بسرقة هوية غيرهم وكذلك انتحال شخصية غيرهم لأسباب شتى."

وسألني الضابط: "وهل تنام بالهاتف المحمول الخاص بك كذلك."

وأجبته: "في ذلك المنزل الريفي ليس هناك كهرباء. ما كنت لأتحرك ناحية الدرج في ذلك الظلام الدامس ما لم أصطحب معي هاتفي لينير لي الطريق."

وسرعان ما استعاد الضابط صرامته وقال: "مع من خرجتم في الرحلة السياحية؟"

وأجبته: "شركة في وسط البلد اسمها سياحة تورز."

وسألني: "وهل خرجت معها من قبل؟"

وأجبته: "لا، ولكني رأيت اعلانًا لهم في أحد الجرائد يتحدث عن رحلتهم إلى أسوان وذكر فنادق جيدة وترتيبات رحلة جيدة، فقررت في نفسي أن أجرب الخروج معهم في رحلة أسوان لهذا العام فقد لحظت انحدارًا في مستوى الرحلة إلى أسوان التي ترتبها شركة السياحة التي كنت معتادًا على الخروج معها على امتداد سنين، ولهذا قررت أن التغيير ربما كان مفيدًا، ولكن الحقيقة أن رحلة هذا العام كانت مخيبة للآمال بشكل كبير ولو قصصت عليك ما حدث لنا في هذه الرحلة لما صدقت حضرتك."

وسألني الضابط: "هل هناك مشرف مصاحب للرحلة غير السائق؟"

وأجبته: "نعم. شاب اسمه فتحي متولي."

وسألني: "وكانت هناك امرأة تنام مع د. ضحى هذه في نفس الغرفة. ما اسم تلك المرأة؟"

وأجبته: "د. سلوى."

وسألني: "سلوى هكذا فقط. ما هو اسمها الثلاثي؟"

وأجبته: "لا أعرف عنها شيئًا سوى أن اسمها دكتورة سلوى."

وسألني الضابط: "هل تعرف شيئًا عن علاقتها بالمريضة هنا؟"

وأجبته: "هما تتعاملان معًا وكأنهما اختان."

والتفت الضابط نحو باب المستوصف ونادى الضابط: "أيمن. أيمن."

وحضر إلينا رجل في حوالي الأربعين من عمره ذو شارب كث وبنية نحيفة ويلبس ملابس مدنية وقال له الضابط: "أيمن. خذ هذا الحاج،" وأشار الضابط إلي "وأوصله بسيارة الشرطة إلى المكان الذي يقيم فيه هنا وعد لي بمشرف الرحلة السياحية التي خرج فيها الحاج." وأشار مرة ثانية إلي واستكمل حديثه: "مشرف الرحلة اسمه فتحي متولي. واحضر لي كذلك امرأة اسمها دكتورة سلوى. هل استوعبت: فتحي متولي وسلوى."

ونظر إلي الضابط وسألني: "هل هناك سلوى أخرى؟"

وأجبته: "كلا. هي دكتورة سلوى واحدة فقط."

واستكمل الضابط تعليماته للرقيب أيمن: "اجعل هذين الشخصين فتحي متولي والدكتورة سلوى يأتيان ببطاقتي هوياتهما ويأتيان ببطاقة هوية الدكتورة الموجودة داخل المستوصف هنا. اسمها ضحى. دكتورة ضحى. قد أسلمها لهما إن كانت غير قادرة على تدبير أمور نفسها عندما تفيق."

وقلت للضابط: "أنا كذلك سأذهب مع المساعد وسأحضر بطاقة الرقم القومي الخاص بي وأعود معهما لاستلمها."

وسألني الضابط: "لماذا تعود معهما؟"

وأجبته: "كي استلم دكتورة ضحى."

وأجابني: ألم تقل أنك لست زوجها أو قريبها؟"

وأجبته: "بلى ولكني أنا من سلمها إلى الطبيب هنا في المستوصف."

وضحك الضابط بسخرية وهو يقول: "يا سلام. أنت من سلمتها. وكأنك قد أتيت بقطعة من الثياب إلى مصبغة تسلمها في أول النهار وتستلمها آخره. بأي صفة تستلمها؟"

وتعالت ضحكات ضحى على ما أقول. وعلى الرغم من أنني كنت أمانع أن تضحك على نكات الضابط على حسابي، فقد استكملت رواية الحوار بيني وبين الضابط.

وسألت أنا الضابط: "وبأية صفة سيستلمها فتحي ودكتورة سلوى؟"

وضحك الضابط بسماجة وقال: "ماذا؟ هذا آخر الليل إذن."

والتفت الضابط إلى مساعده وقال: "أيمن. عليك أن تأخذ هذا الحاج وتوصله للمكان الذي يقيم فيه وتتركه هناك وتعود بدونه. احذر أن يتعلق بك وتعيده معك."

وقلت لدكتورة ضحى وأنا أحكي لها ما حدث: "وأثار الأمر حفيظتي بشدة وقلت للضابط: "هل أنا طفل كي أتعلق بأيمن مساعدك. من فضلك، لا يجب أن تتجاوز في كلامك ثم أنت لم تقم بواجبك يا حضرة

الضابط. أنت حتى لم تسألني عن اسمي، وما أدراك أنني لست مسجل خطر؟"

وقطب الضابط جبينه مستنكرًا وهو يقول: "ماذا! مسجل خطر! وهل تعرف أنت ما معنى مسجل خطر؟" وانفجر مساعده في الضحك وبدا أنهما يستمتعان حقًا بوقتهما وقال الضابط: "أصلاً لا يوجد مسجل خطر في مصر كلها يرضى ولو بالإكراه أن يلبس البيجامة ذات رؤوس الدببة المجسمة التي تلبسها. من أين أتيت بها؟"

ونظرت إلى بيجامتي. كانت أنيقة وجديدة وفكرتها مبتكرة وقلت له: "هذه احضرتها لي ابنة أخي من شرق أسيا هدية لي في عيد ميلادي. ما لها البيجامة؟"

ورد الضابط وكأنه يعيرني بشيء خطأ ارتكبته: "وأنت أيضًا لاتعرف مالها؟ ما هذا الذي تلبسه يا حاج!"

وعلا ضحك ضحى، وحين نظرت إليها بعتاب أشارت إلي أن أكمل حكايتي عما حدث ليلتها وقلت لها: "أنا طبعًا وقتها انتفضت ضد ذلك الظلم وقلت للضابط محذرًا له: "كونك ضابط ولديك سلطة لا يعطيك الحق في أن تسخر من بيجامتي."

وعندها قال الضابط بلهجة لها مغزى: "أيمن"

وصرخت في الضابط: "ليس من حقك أن تجعلني أغادر هذا المكان. أنا متمسك بالبقاء. لن أذهب."

ووضع المساعد أيمن يده في يدي بحيث ألصق كتفه بكتفي وجعل عدم الحركة معه مستحيلة تقريبًا خاصة مع قبضة يده التي كانت تشبه الكماشة والتي أطبقت على يدي وقال أيمن هذا وهو يدفعني متحركًا معي إلى باب المستوصف: "وبماذا تفيدها ببقاءك هنا معها في المستوصف. هداك الله يا حاج. هيا بنا. وقت نهاية الوردية قد اقترب، والفجر على الأبواب."

ورغمًا عني وجدت نفسي أخرج إلى خارج المستوصف وقفز بي أيمن إلى الجزء الخلفي من سيارة الشرطة التي هي أصلاً سيارة نصف نقل مغطاة من النوع الذي يسميه المصريون "البوكس" وخبط أيمن بيده على الهيكل الخارجي للسيارة بعدما دفعني فيها فأحدث قعقعة قوية وسرعان ما تحركت السيارة وأنا جالس فيها."

كانت ضحكات ضحى قد حولت تلك الذكريات من ذكريات بها قدر من المرارة إلى ذكريات سعيدة. كنت أحب ضحكتها.

الفصل الحادي عشر: انكشاف المستور ٢

بعدما توقفت ضحى عن الضحك قطبت جبينها وأغمضت فجأة إحدى عينيها وبدأت تدلك جانب رأسها الأيمن وقالت لي: "لا أدري منذ بداية هذه الرحلة وأنا أعاني من صداع فظيع مع أنه قبل أن آتي إلى مصر في هذه المرة لم أعاني ولا مرة واحدة من أي صداع لفترة طويلة جدًا."

وأخرجت د. ضحى من حقيبتها شريط دواء مكتمل لا توجد به فراغات، وأثارني شكل هذا الدواء فهو لا يبدو مصريًا وأعني أنه لا يبدو وكأنه قد صُنع في مصر."

واستوقفت أنا ضحى قبل أن تخرج حبة واحدة من شريط الدواء ذاك وأخذته منها وأنا أقول لها: "ما هذا؟ أنا أحب الأدوية كثيرًا. هل يمكنني أن أراه؟

وكما قدرت عن مبعدة. عندما أصبح الدواء في يدي وجدت أنه غريب علي. أنا لم أره من قبل والكتابة عليه بالانجليزية فقط.

وسألت ضحى: "هذا دواء مستورد. ليس محليًا. هل هذا الدواء من ألمانيا؟"

وأجابتني ضحى: "كلا.هذا دواء صداع أعطته لي دكتورة سلوى وقالت أنه مريح جدًا."

ومدت ضحى يدها إلي يدي كي تستعيد الدواء ولكني أرجعت يدي واحتفظت بالدواء وظهرت في عينيها نظرت حيرة ورددت على نظرتها فقلت: "لا تؤاخذيني ولكني في فترات كثيرة من حياتي عانيت من حالات نفسية وجربت وقتها جميع أنواع المسكنات المعروفة وغير المعروفة ويخيل إلي أن اسم المادة الفعالة المكتوبة في ظهر شريط هذا الدواء لم تمر علي من قبل. هل د. سلوى طبيبة؟

وأجابتني: "لا. هي قالت أنها تعمل في تدريس علم الاجتماع في إحدى الكليات."

وأشرت بيدي إلى أحد الندل والذي كان يقف قريبًا مني وأتاني الرجل فورًا وسألته: "لا تؤاخذني. هل يمكنني أن أجد لديك أنت شخصيًا دواء للصداع من نوع اسبرين ريفو أو بروفين أو حتى بنادول أو أي شيء من هذا القبيل؟"

وأجابني النادل: "في الواقع أنا لدي ريفو."

وأجبته: "الريفو ممتاز. هل يمكن أن تحضر لنا قرصين من اسبرين الريفو لأن الدكتورة،" وأشرت إلى ضحى "تعاني من صداع."

وقال النادل: "سأحضر لك الريفو فورًا."

وأستأذن الرجل ثم جاء ومعه شريط من الريفو الأزرق أعطاه لضحى وأعطاها كذلك كوبًا من الماء فتناولت قرصين وانصرف الرجل بعدها بعدما شكرته ضحى.

ونظرت إلى الدواء الأجنبي في يدي. في الواقع أنا كنت أحب الأدوية بشدة وإن كنت بسبب تجارب غير سعيدة أصبحت أكثر تحفظًا بشأن المسكنات بالذات. وقلت لضحى: "أنا أشعر بالاهتمام الشديد بهذا

الدواء. هل تعرفين. الطبيب الذي كان يعالجني هو طبيب أمراض نفسية وعصبية مشهور وقد كان زميلي في الدراسة في المدرسة الابتدائية ثم الاعدادية ثم الثانوية ولكن في المرحلة الجامعية التحقت أنا بكلية التجارة بينما التحق هو ما شاء الله بكلية الطب، وسافر بعد تخرجه من كلية الطب إلى انجلترا وحصل على زمالة جمعيات طبية ودبلومات أخرى وأجرى دراسات، وبالنسبة للمستوى الشخصي هو ما شاء الله رجلٌ ذو أخلاق رفيعة، وهو كذلك صديق مقرب مني ويسكن في مكان قريب من مكان سكني، وهو طبيب ممتاز. ما رأيك أن نتصل به ونسأله عن هذا الدواء؟"

وقالت ضحى متحرجة: "يا ماجد. الساعة الآن حوالي الواحدة صباحًا."

وأجبتها: "عادي جدًا. عيادته تستمر حتى الثانية صباحًا وعندما كنت أعُالج عنده لم أكن أذهب إلى العيادة قبل الحادية عشرة مساءًا. عندما كنت أذهب مبكرًا كنت انتظر عدة ساعات حتى يحين دوري. أنا سأتصل به وأعطيك الهاتف كي تقصي عليه ما حدث اليوم وتسألينه عن هذا الدواء وهو سيرد بمنتهى الصراحة. لا تقلقي أبدًا من ردة فعله."

واتصلت بصديقي أسامة وحييته وأخبرته أنني بخير وسألته كيف حاله ورد قائلاً: "كيف حالي أنا؟ هل انتهت حاجتي من جارتي؟ بمجرد أن شفيت توقفت عن الحضور للعيادة والسؤال عني تمامًا. ما الذي حدث لك؟"

وأجبته: "أنا لم انقطع عنك. كل ما في الأمر أنني أعرف كثرة مشاغلك ولا أحب أن أضيع وقتك. الآن دعنا من هذا الكلام. أنا في رحلة سياحية في أسوان وهناك زميلة في الرحلة حدثت لها مشكلات يمكن أن تدخل ضمن اختصاصك وهي تريد أن تستشيرك في أمر ما. هل يمكن أن أعطيها الهاتف لتحكي لك ما حدث لها؟"

وقال أسامة: "خيرًا إن شاء الله."

وأجبت عليه: "هو خيرٌ إن شاء الله. هل تستطيع أن تحدثها الآن أم أنك بصراحة مشغول؟"

وأجابني أسامة: "كلا. استطيع أن اسمعها. أوصلني بها."

وأعطيت ضحى الهاتف المحمول وشريط الدواء حتى تخبر أسامة باسم الدواء. وانتهزت أنا فرصة انشغال ضحى بالحديث مع أسامة على الهاتف لأشير لسعيد أطلب الحساب بسرعة وعندما رأيته قادمًا ومعه تلك المفكرة الجلدية التي يضعون فاتورة الحاسب بها، أشرت له أن يتوقف مكانه وذهبت إليه وأنقدته ثمن الحساب وطلبت منه قهوة لي لأنني كنت أشعر أنني أحتاج لبعض التنبيه."

ضحى تحكي

رويت للطبيب كل ما حدث لي في الأيام الماضية منذ قدومي إلى مصر منذ حوالي خمسة أيام وحتى موضوع كوديتي الزارالذي ذكره لي وكيل النيابة ثم ضابط قسم الشرطة واللذي واجهني في القسم بإمرأتين لا أعرفهما وأصر أنني قد ذهبت إليهما أطلب منهما أن يقيما لي حفلة زار، وعندما أكدت لضابط قسم الشرطة أنني لم أر المرأتين في حياتي قط ولم أذهب إليهما، بدا عليه أنه يعتقد أنني أكذب أو أنني أعاني من فقدان ذاكرة جزئي وهذا ما قاله لي وكان الضابط متأكدًا لدرجة أنني وقتها شككت في نفسي ووقعت على المحضر الذي أصدره لي قسم الشرطة دون أن أقرأه.

وقال لي الطبيب د. أسامة: "لو أن ما تحكينه لي يا دكتورة صحيح، فأنا أنصحك أن تتركي هذه الرحلة تمامًا وتعودي إلى القاهرة فورًا وليتك تعودين إلى القاهرة بالطائرة بأسرع ما يمكن. أود أن أذكر لك معلومة خطيرة وإن كنت أخاف من تعاملك معها وتصرفك بعد معرفتك بها. المادة الفعالة المكتوبة على ظهر هذا الدواء الأجنبي

التي ذكرتها لي من الممنوع صرفها داخل مصر إلا بروشتة طبية مختومة من جهة صحية حكومية معتمدة. هذا الدواء هو دواء جدول أي دواء موضوع ضمن قائمة جدول الأدوية الممنوع تناولها بدون وصفة صادرة من طبيب في مصر. هذا الدواء خطر جدًا على من يتناوله. إنه أحد عقاقير الهلوسة وهذه المرأة التي أعطتك هذا الدواء لا تريد لك الخير."

وهالني ما سمعت ولكني قلت للطبيب: "لعلها أخطأت وظنت أنه دواء للصداع وأعطته لي على هذا الأساس."

ورد الطبيب: "السؤال هو من أين حصلت هي على ذلك الدواء؟ لا يوجد دولة في العالم على حد علمي تسمح بتداول هذا الدواء داخلها دون روشتة طبية، وكونه من مصدر أجنبي يعني أنه دواء مُهرب أي أن تداوله غير قانوني، وعادة لا يمكن أن يوجد في حوزة انسان مصري عادي."

وقلت للطبيب: "في الواقع المرأة التي أعطتني هذا الدواء هي إمرأة محترمة جدًا."

وأجاب الطبيب: "صدقيني. لا أظن أنني سأقابل في يوم من الأيام إنسانًا مصريًا محترمًا يحمل مثل هذا الدواء. ماذا سيفعل هو بهذا الدواء ومن أعطاه إياه؟ المرء يحتاج إلى علاقات إجرامية ليحصل على دواء كهذا."

وأجبته: "على العموم أنا يمكنني أن أسألها."

وصاح الطبيب بصوت عالٍ كان مسموعًا خارج الهاتف: "كلا. أرجوك. أنا أنصحك أن تذهبي إلى الفندق وتجمعي أغراضك بهدوء دون ضجة وتحرصي على ألا ينتبه أحدٌ لأنك تريدين مغادرة المكان وأجعلي ماجد يوصلك إلى أقرب وسيلة مواصلات ستغادر إلى القاهرة. اجعليه يعطيك عنواني وأنا سأقابلك في أي وقت كي أذهب

إلى الشرطة معك وأشرح لهم خطورة شريط الدواء الذي تحملينه. أما أفضل شيء فهو أن تذهبي إلى الشرطة مباشرة الآن وتحكي للشرطة عن كل شيء حدث لك، ولا يوجد لدي أي مانع كي أرد عليك في أي وقت وأحدث الضابط في قسم الشرطة عن طريق الهاتف الخاص بماجد أو حتى هاتفك الخاص. يجب أن يشرح شخصٌ ما للشرطة الخطر الذي تتعرضين له."

ورددت على الطبيب وقلت له: "أولاً. أنا واثقة أن لدى دكتورة سلوى صديقتي تفسير مقنع لإعطاءها هذا الدواء لي ولكونه في حوزتها. المرأة حاولت أن تساعدني ولا يمكنني أن أرد جميلها بإبلاغ الشرطة عنها كمالكة لشريط دواء محظور تناوله. ثانيًا: أنا لا أستطيع أبدًا أن أغادر أسوان الآن. هناك ترتيبات يتم إجراؤها على أعلى مستوى من السرية خاصة بموضوع على أعلى درجة من الأهمية. يجب أن أتواجد في أسوان وتستمر علاقتي بالرحلة خلال الأيام القادمة."

ورد علي دكتور أسامة وقال: "الكلام الذي حكيتيه لي يا دكتورة خطير جدًا. ما معنى أن تستيقظي ليومين متتاليين لتجدي أنك في مستوصف أو مستشفى وفي المرة الثانية تخضعين لتحقيق من وكيل نيابة، خاصة إذا كنت صادقة في أنك لم تعاني من مشكلات نفسية ولم تُعالجي من أمراض عقلية من قبل. هذا غير طبيعي بالمرة، ويثير الشك وكما قلت لك أنا رأيي أن تتركي الفندق على الأقل وأن تحجزي لنفسك غرفة في مكان أخر لا تعرفه المجموعة التي خرجت معها في هذه الرحلة.

وأردف الطبيب: "اجعلي ماجد يساعدك، والأفضل طبعًا أن تنحي جميع الاعتبارات الأخرى جانبًا وأن تتوجهي نحو الشرطة، فالشرطة ستستبين الأمر بمنتهى السهولة وهي من يمكنها حقيقة أن تحميك، وفي نفس الوقت قد تكون تلك المرأة التي أعطتك شريط

الدواء ذاك هي نفسها ضحية ووقتها ستتمكن الشرطة من أن تحميها."

وطبعًا لم يكن ما يقوله مناسبًا على الإطلاق ولهذا شكرته وقلت له: "على العموم شكرًا جزيلاً يا دكتور. عندما أعود إلى القاهرة فسأحضر لسيادتك في العيادة وادفع حساب الاستشارة."

وسمعت صوت نفاذ الصبر في نبرة د. أسامة عندما رد علي وقال: "أنا لم أقصد هذا بالمرة. ماجد هو كأخي وانت زميلته أي أن الأمر لا علاقة له بالمال. أنا أنصحك بما اعتقد أن فيه مصلحتك."

وكررت: "شكرًا جزيلاً يا دكتور."

ورد الطبيب: "هل يمكنني أن أتحدث إلى ماجد؟"

وأجبته: "طبعًا." ومددت يدي بالهاتف إلى ماجد.

ماجد يحكي

عندما أجبت أسامة على الهاتف أحسست أنه غاضب للغاية وقدرت أن ضحى قد خالفت رأيه وأنه يشعر بذلك وسألته: "كيف حالك يا أسامة. خيرًا إن شاء الله."

ورد أسامة بحدة: "ركز معي. أنا رأيي أن تقنعها بالتوجه فورًا لأقرب مخفر شرطة، وأجعلها تعطي ضابط الشرطة المناوب شريط الأقراص الذي تحمله وتحكي له عما حدث لها في الليلتين اللتين قضتهما في أسوان وفي الطريق إلى أسوان. هي لا تفهم مدى خطورة الأمر ويجب أن تكون أنت أكثر عقلاً منها. إذا رفضت اللجوء إلى الشرطة حاول اقناعها أن تركب الطائرة وتعود إلى القاهرة فورًا. مهما كانت الظروف لا تتركها تعود لذلك الفندق مرة

أخرى. في أسوأ الأحوال اجعلها تغير الفندق وتظل على اتصال بمنظمي الرحلة بالهاتف."

وقلت له: "حاضر. أنا أفهمك يا أسامة."

وصرخ أسامة على الهاتف: "أنت لم تفهمني قط طوال حياتك، ولا أمل لي في أن تفهمني فيما بقى من حياتنا. إذا لم تقتنع هذه المرأة العنيدة وأصرت على العودة لذلك الفندق الذي تقيمان فيه، فعليك أنت أن تجمع أغراضك كلها وتعود للقاهرة ولتذهب تلك الرحلة السياحية وما دفعته فيها إلى الجحيم. إذا لم تكن تلك المرأة ستعود للقاهرة أو ستذهب للشرطة، ابتعد عنها تمامًا."

ورددت على أسامة محاولاً طمأنته: "على العموم سأرى ما يحدث يا أسامة. شكرًا على اهتمامك وصداقتك وعلى الاستشارة."

وصاح أسامة بصوت خرج من الهاتف حتى خشيت أن تسمعه ضحى: "كل مرة تحاول التصرف كبطل على حساب نفسك ومصلحتك وينتهي بك الأمر إما أن تصبح ضحية لعملية احتيال أو تتضرر ويتم ايذاؤك بشكل ما. هذا الأمر الخاص بهذه المرأة بالذات. بالذات هذه المرة ابتعد عن هذا الموضوع."

وأجبته: "على العموم شكرًا لك يا أسامة. أبقاك الله ذخرًا لي."

ورد أسامة بلهجة مستسلمة: "إتفلق. اذهب إلى حيث ألقت. ستلقي بنفسك في التهلكة كالعادة."

واجبته وأنا أحاول تهدئته: "مع السلامة يا حبيبي."

وأجاب بغضب: "مع السلامة يا أحمق انسان على ظهر الأرض."

أغلقت الاتصال ونظرت لضحى مبتسمًا وطبعًا كانت هي مقطبة الجبين فمن الواضح أنها قد أحست بالتوتر في صوت أسامة على

الهاتف وهو يحدثني حيث وصلها صوته ولكني آملت ألا تكون سمعت محتوى ما قاله لي.

خرجت أنا وضحى من الفندق. كدت أدعوها للتمشية على كورنيش النيل ولكني خفت أن يكون هناك أحد يترصد لنا هناك وما حادث محاولة خطفي على كورنيش النيل ببعيد.

تمشيت مع ضحى في الشوارع الداخلية دون أن أحدثها بكلمة واحدة. تركت لها بعض الوقت للتفكير فيما قاله أسامة صديقي. كان من الواضح أنها قد بدأت تقلق بسبب تأكيدات أسامة أنها في خطر وأن الخطر يحيق بها من أشخاص موجودين في الفندق.

وبعدها بفترة من التمشية قلت لضحى والتي كان من الواضح أنها تفكر بعمق: "نفترض أنك لا تريدين ترك مدينة أسوان، ولا تريدين أن تفقدي صلتك بفتحي في هذه الفترة. ما رأيك أن تستخدميني كوسيط؟ يمكنني أن أكون وسيطًا بينك وبين فتحي. هل لديك تحقيق شخصية الآن في حقيبتك هذه؟"

وردت ضحى: "نعم. بالطبع. أحضرت تحقيق شخصيتي معي. كذلك معي جواز السفر الألماني الذي دخلت به إلى مصر."

وقلت لها: "إذن، فما رأيك أن نحتاط. لا تعودي إلى الفندق في هذه الليلة. لنذهب إلى فندق أخر. الفندق الذي ننزل فيه حاليًا، كما ولاشك أنك تعرفين، يوجد في وسط منطقة فنادق. هناك عدة فنادق جيدة بجانب الفندق الذي ننزل فيه الآن. يمكنك أن تستأجري غرفة لمدة يومين أو ثلاثة وتخبري مكتب الاستقبال وإدارة الفندق أنك لا تريدين أن يعرف أحد أنك مقيمة في ذلك الفندق، ويمكننا ذكر حجة ما. فلنقل لمكتب الاستقبال أنك تقومين بكتابة عمل إبداعي وتريدين الهدوء التام ولديك مجموعة معارف في أسوان مصرين على إضاعة وقتك، وأنت لا تريدينهم أن يعرفوا بوجودك في ذلك الفندق. أما أنا فسأعود إلى الفندق الليلة وغدًا أسأل فتحي عن ترتيبات تلك

الزيارة التي لا أعرف عنها شيئًا والتي تنتظرينها ويبدو عليها أنها سرية جدًا. بالمناسبة ما هي هذه الزيارة؟

قلت الجملة الأخيرة وأنا أتوقع أن ترد وتخبرني ولكني فوجئت أنها صمتت تمامًا ولم تظهر أي رد فعل وكأني لم أسألها ولم أقل الجملة الأخيرة.

ولما وجدتها صامتة استكملت حديثي وكأني لم أقل الجملة الأخيرة فقلت لها: "سأطلب من فتحي أن يبلغني بترتيبات الزيارة وعندما يبلغني بها سأبلغك أنا بها. الآن، بالنسبة لملابسك ومتعلقاتك الموجودة في الفندق. يمكنني أن أطلبها من دكتورة سلوى وأخبرها أنك قد غادرت أسوان إلى القاهرة لسبب قهري كأن تكوني قد سمعت أن أحدًا ما بالقاهرة مريض، أو قد أخبرها أنك سافرت فجأة إلى ألمانيا وانتحل نفس العذر، وأطلب من دكتورة سلوى أن تعطيني متعلقاتك كي أشحنها إلى ألمانيا بناء على طلبك. ما رأيك؟"

وردت ضحى: "أنا أصلاً لم أحضر سوى حقيبة صغيرة وكل شيء فيها قابل للاستبدال. يمكنني أن أشتري ملابس ومتعلقات بديلة للأشياء الموجودة في حقيبة سفري خلال حوالي ساعة فقط من المتاجر الموجودة في الطابق السفلي لأي فندق أو من أي مول. أنا لم أحضر الكثير من الأشياء لأسوان لأنني أصلاً لم أكن مهتمة بالرحلة السياحية. كل اهتمامي منذ البداية كان بترتيبات الزيارة التي سيخبرني فتحي بها."

وقلت لها: "لقد أحسن أسامة صنعًا بتحذيرك. واضح أنه أخافك وجعلك لا ترغبين في العودة إلى الفندق ثانية."

وردت علي ضحى قائلة: "لا أعرف ما أشعر به الآن بالضبط. لقد أقلقني حديث صديقك الطبيب عن دواء الجدول، وكلامه بدا منطقيًا، وطبعًا لو أن هناك شيء إجرامي في الموضوع فأنا لا أريد أن أكون

جزءًا منه، ولكن تركي للفندق قد يجعلك أنت عرضة للمخاطر. لا تنس أنك تعرضت لعملية خطف بالأمس فقط."

أجبتها باستهانة: "لا توجد مشاكل. لا يوجد شيء يربط موضوعك بعملية خطفي من مرسى المراكب. أنا لا أعرف هؤلاء الناس الذين حاولوا خطفي ويمكن أن يكونوا أشخاص لهم علاقة بعدو لي لا أعرف عنه شيئًا. وكذلك فإن هذه الرحلة مليئة بالمشكلات. سأحاول أن أحترس أثناء وجودي في الفندق."

اتجهت أنا وضحى نحو أحد الفنادق الكبرى وتوجهنا إلى منطق الاستقبال في بهو الفندق وأظهرت ضحى جواز سفرها الألماني ودفعت مبلغ مبدأي لمصاريف الحجز ليومين وقمت أنا بالتنبيه على موظف الفندق أن ضحى لا تريد أن يعرف أحد بوجودها في ذلك الفندق، وذهبت معها لمول قريب واشترت ضحى منامة "بيجامة" وبعض ملابس الخروج وبعض احتياجاتها الأخرى وحقيبة سفر صغيرة وأوصلتها أنا إلى الفندق وودعتها وتمنيت لها السلامة ثم عدت إلى الفندق الذي كنا نقيم فيه وعندما وصلت إلى غرفتي غيرت ثيابي وارتديت بيجامة الدباديب التي ذكرها الضابط فلم تكن لدي أي بيجامة أخرى وألقيت بنفسي على فراشي وغرقت في سُبات عميق.

لا أدرى متى استيقظت. كان الضوء في غرفتي مضاءًا وكنت قد أغلقته قبل أن أنام، وفتحت عيناي ووجدت ذلك الرجل المُسمى نبيل يجلس على سريري أمامي على يميني وأحست بأن هناك شخص أخر قد جلس على الفراش على يساري.

انتفضت وجلست في الفراش أجهز نفسي لرد فعل ولكن نبيل أمسك بي على اليمين وأمسك بي ذلك الأجنبي المسمى كليف على اليسار وظهر أمامي محيي الدين والذي أطبق على أنفي وفمي باسفنجة مبللة بمادة أحسست فور تشممها بأنها مخدرة، وظهر من خلف محيي الدين دكتورة سلوى وكانت تمسك بمحقن تسحب به السائل

من امبول صغير تُمسك به في يدها الأخرى، ودست د. سلوى سن إبرة المحقن في ذراعي وسمعت صوت عبد الحليم حافظ يقول: "يا فاتنًا عمري، هل انتهى أمري؟"

ماجد يحكي

فتحت عيني في ظلمة دامسة وإن كان هناك ضوء يتسرب من شباك. أغمضت عيني وفتحتهما ثانية وأنا أنظر إلى الشباك الصغير الذي يأتي منه النور. كان شباكًا صغيرًا للغاية حجمه يساوي تقريبًا ضعفي حجم كف اليد وعليه قضبان حديدية رفيعة ثم غطاء زجاجي خارجي. كان الوقت ليلاً. كنت راقدًا على ظهري على شيء صلب ويداي مربوطتان أمامي. أغلقت عيناي لفترة وتأوهت.

وسمعت صوت ضحى بجانبي تقول: "هل استيقظت يا ماجد؟"

فتحت عيني ووجدتها تجلس بجواري. أغمضت عيني وفتحتهما ثانية. كانت جالسة ويداها أمامها كما لو كانتا مربوطتين وسألتها: "ضحى!!" وردت بلهجة ممطوطة يائسة: "بالضبط."

وسألتها: "ما الذي حدث لك؟"

وأجابت بيأس: "لابد أنه نسخة طبق الأصل لما حدث لك. فتحت عيني بعد نومي في غرفة الفندق الجديد ووجدت اسفنجة بمادة مخدرة تُطبق على فمي. كان هناك عدد من الرجال ودكتورة سلوى وكانت تحمل محقنًا في يدها به سائل ما. لم يمهلني الوقت لأنظر في وجوه الرجال لأعرف من هم. فقدت وعيي توًا، ولكن لابد أنهم لم يحتاجوا إلى الكثير من القوة ليخدروني مثلما فعلوا معك. لا أدري هل هذه هي المرة الثالثة أو الرابعة التي أستيقظ فيها مخدرة خلال حوالي خمسة أيام تقريبًا. لابد أنني قد تعودت على مادة التخدير التي يستخدمونها أو أنهم استخدموا كمية أكبر من المخدر معك

لأنني قد استيقظت قبلك بساعة تقريبًا. لعلهم استخدموا معك مخدرًا مختلفًا."

وسألتها: "أين نحن؟"

وأجابت: "نحن في سيارة نصف نقل مغلقة تمامًا من تلك التي تستخدم لنقل البضائع."

وسألتها: "إلى أين تعتقدين أنهم يأخذوننا؟"

وأجابت بتلك النبرة اليائسة: "لا أدري، ولكن أنا رأيي أننا نتحرك وسط منطقة ريفية ولا نمشي على طريق سريع. الطريق الذي تتحرك عليه السيارة غير ممهد وبه الكثير من الانحناءات."

وفجأة أحسست وكأنني قد نفضت وأن جسمي المسطح على الأرض قد قفز إلى أعلى ثم عاد إلى موقعه وأحسست بالكاوتشوك الخشن الذي فُرشت به أرضية السيارة يشكني في جنبي مما يصدق قول ضحى. كان ذلك بالطبع مطب أرضي قفزت معه السيارة إلى أعلى حين تخطته دون أن تبطيء من سرعتها، ثم انحرفت السيارة وكأنها تدخل إلى اليمين."

وسألتني ضحى: "هل تعرف من خطفنا بخلاف دكتورة سلوى؟"

وأجبتها: "الثلاثة رجال الذين كانوا يجلسون معًا في المطعم والذين دافعت عنهم دكتورة سلوى وقالت أنهم يبدون أفضل مظهرًا مني ولهذا فهم بالضرورة محترمين أكثر مني، وذلك طبعًا حين قلت لها أنني أشتبه أنهم عصابة. لقد كنت على حق ولكني لم أعلم بذلك وقتها. واضح أنها هي أيضًا جزء من نفس العصابة."

وقالت ضحى: "لو كنت على حق بالنسبة لهوية من خطفونا، إذن ففي غرفتي حين خدروني لم يكن ينقصنا سوى فتحي والذي هو في الأغلب الأعم مشترك معهم في عملية الخطف، وحين نعده نجد أن

جميع المصريين في الرحلة التي خرجنا فيها إلى أسوان بخلافي أنا وأنت مشتركين في عملية الخطف."

ونفضتني السيارة مرة ثانية إلى الأعلى ثم أحسست بالألم في ضلوعي بسبب ارتطام جسمي بأرضية السيارة مرة أخرى.

وقلت معلقًا على حالة وعي ضحى وقلت: "ما شاء الله. لقد تعودت على أدوية التخدير وفعلاً أنت تدركين أين نحن ونوع السيارة التي نركبها وعلى أي أرض نتحرك. الشيء الوحيد الذي أشعر به أنا الآن هو أنني مشوش تمامًا ورأسي ستنفجر من الصداع وكذلك بدني يؤلمني."

وردت ضحى بصوت يائس لا يبعث على التشجيع: "تشجع يا ماجد. ستتحسن الأعراض بعد قليل. ماذا تظن أنهم يريدون أن يفعلوا بنا؟"

وأجبتها: "أظن أساسًا أنهم يريدون قتلي."

وسمعت ضحكة ضحى غير المرحة وقالت: "رائع."

وضحكت أنا أيضًا على الرغم من أنه لا شيء في موقفنا وقتها كان يدعو للضحك أو للسرور: "أنا سعيد يا ضحى أنك تستمتعين بوقتك."

وحاولت القيام وزحفت بقدماي لألصق جسمي بجانب السيارة حيث النافذة الصغيرة ولويت جسمي واستعنت بكوعاي حتى استطعت أن أجلس بجانب ضحى وظهري مستند لجسم السيارة وكانت توجد ورائي طبعًا كابينة السيارة حيث يوجد السائق، ولم يكن هناك فتحة في ذلك المكان تسمح لي برؤية كابينة السيارة أو أي جزء منها."

ونظرت أمامي ووجدت حقيبة سفري وحقيبتي سفر ضحى القديمة والجديدة التي اشتريناها أنا وضحى أمس مساءًا، وعلقت على الأمر

وقلت لضحى: ما هذا؟ هل أحضروا حقائبنا التي كانت معنا في الفندقين كذلك؟"

وردت ضحى بتلك اللهجة الممطوطة اليائسة: "طبيعي وكيف كنت تريدهم أن يقنعوا الفندقين أننا تركنا المكان بإرادتنا الحرة لو كانوا قد تركوا حقائبنا وجميع متعلقاتنا في الفندق."

وفكرت قليلاً وقلت لها: "واضح يا دكتورة ضحى أن موقفنا هذا قد حسن من سرعة تفكيرك، وطبعًا هذا ليس معناه أنني كنت اعتبرك بطيئة في سرعة التفكير أو أي شيء، ولكنك في وسط ما نجد أنفسنا فيه قد فكرت في دوافع العصابة لإحضار حقائبنا معنا."

وردت ضحى: "نعم. أنا أواكب الظروف وقد تغيرت الظروف. بالأمس كنت أخاف على ما قد أخسره، أما اليوم فأنا قلقة بشأن ما الذي لن أخسره. ماذا سيتبقى لي؟"

ونظرت أمامي. كانت رؤيتي وسط الظلام تتحسن وسألتها: "وماذا يوجد خلف حقائبنا؟ هل هي صناديق من الورق المقوى؟"

وردت ضحى: "نعم. أحسب أن سيارات نصف النقل المغلقة هذه تستخدم في توزيع علب الشيبسي والبسكويت وغيرها على محلات السوبرماركت والأكشاك ومنافذ البيع الأخرى. لقد أخفونا وأشيائنا خلف جدار من صناديق الورق المقوى ولكن هذا لن ينفعهم لو فتح أحدهم الباب الخلفي لسيارة النقل لأنهم نسوا أن يكممونا."

وسألتها: "هل تظنين أن هناك احتمال لأن تستوقفنا جهة ما وتقوم بتفتيش السيارة؟"

وأجابتني: "احتمال واحد في المليون. الطرق الترابية الجانبية التي تتحرك عليها هذه السيارة الآن ليس بها لجان تفتيش ومن الواضح من كثرة لفات الطريق أن السائق لا يتحرك بشكل اعتباطي، بل هو يعرف ما يفعله ويعرف الطريق جيدًا. على العموم سواء كان المرء

حرًا أو بين يدي أعداء فهو في جميع الحالات تحت سلطة الله وحده، فالله وحده في جميع الأحوال هو الذي يحدد ما يحدث لنا. لو أنك تحفظ أدعية الكرب والخوف، ابدأ بالدعاء الآن وأنا سأؤمن على دعاءك."

في تلك اللحظة توقفت السيارة، وسمعت أنا وضحى صوت باب السيارة الأمامي يُفتح ثم يُغلق ثم صوت فتح مصراعي بوابة حديدية.

وقالت ضحى: "واضح أنهم قد استأجروا فيلا لها بوابة حديدية وسيدخلون السيارة إليها قبل أن يفتحوا الباب الخلفي لهذه السيارة."

وكتصديق على قولها بدأت السيارة التي نركبها بالتحرك واهتززت أنا وضحى داخل السيارة حيث كان من الواضح أن السيارة تجتاز عتبة ما، ثم سمعنا صوت غلق البوابة الحديدية ثم صوت الرتاج الخاص بالبوابة يغلق ثم تقدمت السيارة إلى الأمام ثم توقفت ثم آتانا صوت فتح باب السيارة نصف النقل التي نركبها.

دخل نبيل إلى السيارة وساعد ضحى على الوقوف وساعدها على المشي بين صناديق الورق المقوى والتي ازاحها وحقائبنا إلى الجانبين اثناء دخوله إلى السيارة ليفتح لنفسه ممرًا خاليًا من المعوقات، وساعد هو وكليف ضحى بعد ذلك على النزول وهو يقول بسماجة: "لا تؤاخذونا سنستضيفكم عدة أيام حتى نسلمكم إلى أصحاب نصيبكم." عاد نبيل بعد ذلك وساعدني على الوقوف على قدمي وعند طرف السيارة صرخ بي: "ماذا هل يجب أن نعاملك كالنساء الآن. اقفز."

وقفزت وكدت أسقط على ركبتي ولكني تمالكت نفسي وقفز خلفي نبيل بسهولة فقد كانت ذراعاه حرتين وكان بإمكانه بسهولة الحفاظ على توازنه، ولاحظت ساحة واسعة توجد وسطها فيلا بيضاء ريفية

وبها سلالم جانبية تؤدي إلى بسطة صغيرة أمام باب الفيلا. شاهدت ضحى وكليف يمسك بذراعها ويصعد بها السلالم حتى باب الفيلا، ودفعني نبيل بخشونة حتى تلك السلالم وعاونني على صعود السلالم وهو يقول: "ماذا! ألا تتقن شيئًا سوى الكلام والتساؤل عما لا يعنيك؟ ألا تستطيع أن تصعد وحدك؟ إذن لماذا كنت تتصرف وكأنك لا تخاف أي شيء طوال الرحلة وعقدت كل شيء. اصعد." ودفعني نبيل عند السلمة الأخيرة من السلم والأولى من الأعلى وتخطيت أنا بصعوبة تلك السلمة الأخيرة مقاومًا دفعته لي، وبصعوبة استطعت أن أحافظ على توازني وإن كنت قد اصطدمت بالبوابة الحديدية المصنوعة من الحديد المغزول والخاصة بباب الفيلا واصطحبني نبيل إلى الداخل وهو يجرني جرًا. كان يستعجلني ولم يكن هناك سبب يدعوه لكي يفعل ذلك لولا سماجته. وسرعان ما وجدت نفسي أجلس على أريكة في صالة كبيرة بها أريكتين وعدة مقاعد وكان يجلس على الأريكة الأخرى ضحى، بينما جلس على المقاعد كل من كليف ورجل لا أعرفه ودكتورة سلوى.

نظرت إلى ضحى فوجدتها متماسكة تمامًا ويديها مربوطتان أمامها مثلي تمامًا.

الفصل الثاني عشر: في وكر الثعالب

جلسنا قليلاً ودخل محيي الدين ومعه أكواب من الشاي وزعها على الجالسين ثم أتى بعد ذلك بسندوتشات من تلك التي تباع في المحلات التجارية مغلفة بسعر رخيص ووزعها على الموجودين، ولم يعطني وضحى أي شيء.

وقطع الصمت دكتورة سلوى وهي تقول: "لنقم بعمل ورديات مراقبة. في البداية سيجلس معهما وهما مربوطين هكذا كل من نبيل وناصر، ونذهب أنا ومحيي الدين للنوم في الداخل وسيذهب كليف لترتيب الأشياء التي اتفقنا عليها."

وخاطبت د. سلوى الموجودين وقالت: "وبالطبع ليس هناك داعي للتشديد عليكم أن من يريدون الدكتورة يريدونها في أفضل حال ولا تعاني من أي نسيان أو مشكلات نفسية بسبب شيء حدث لها وبالتالي لا داعي للتحرش أواستعمال العنف حتى مع الزفت الأخر ولا إحداث أية مشكلات وإلا فسأبلغ أنا الأستاذ جمال بما سيفعله أي منكم في حال مخالفته الأوامر، وربما وقتها يودون معاقبة أي شخص يرتكب أخطاء فيطلبون تسليمه مع ضحى وماجد إلى الأشخاص الذين سيتسلموهما. أنت تعلمون النظام المتبع: لا أخطاء وإلا فإن المخطيء لا تتاح له أي فرصة لارتكاب خطأ أخر أبدًا."

نظرت لوجه دكتورة سلوى الحازم وهي تهدد وكدت أجزم أنها صادقة ثم نظرت لوجوه الأخرين. كان من الواضح أنهم مرتعبين وأن تهديدها حقيقي. الآن أنا قد أفهم أن المرء قد يخاطر بإيذاء الأخرين إذا أمن على نفسه فمن أمن العقوبة أساء الأدب أما عندما لا تأمن العقوبة أنت نفسك فما الذي يدعوك إلى أن تخطف الأخرين إذا كنت قد تُسلم معهم لخاطفيهم الحقيقيين. إنه المال طبعًا. واضح أن كل هؤلاء هم مجموعة من العاطلين الذين لا يمتلكون أية مهارات تمكنهم من كسب المال، أو هكذا أظن أنا، ولكني بالطبع لا أعرف.

غادرت دكتورة سلوى ومحيي الدين الصالة بينما غادر كليف الفيلا وتركونا مع نبيل وناصر.

وقال نبيل: "هل سنجلس هكذا يا ناصر نراقبهما. إنهما مربوطان وأنا معي مسدس" وأخرج نبيل من جيبه المسدس الذي رأيته من قبل في حقيبة محيي الدين حين سقطت حقيبته وانترثت محتوياتها ونحن ذاهبين في الظلام إلى البيت الريفي في الصعيد. كان هذا منذ ثلاثة أيام فقط. ليتني أريت المسدس للجميع في تلك الليلة وركزت عليه وتحدثت عنه لكل شخص، حتى وإن كانوا جميعًا أفراد العصابة، ولكن في هذه اللحظة وأنا وضحى مخطوفان تخيلت أنه

ربما لو كنت تحدثت وركزت على وجود مسدس لكان الغفير أو الحاج صابر قد تذكر الأمر عندما نختفي وأبلغ الشرطة بأن محيي الدين كان معه مسدس، ولكن هذا الكلام يشبه قولة كان يقولها مدرسنا للغة العربية عندما كنت أنا تلميذًا صغيرًا في المدرسة، وكان مدرسنا ذاك أصلاً قد أتى من الصعيد. كان يقول: "لو - حرف شعلقة في الجو." فطبعًا الماضي لا يعود، ولو كان كذا لكان كذا وكذا تفتح عمل الشيطان، ولكن وأنا جالس مقيد لا حيلة لي كان عقلي بالطبع يصول ويجول باحثًا عن مخرج، وفكرت ربما كان عدم فضح أن العصابة تحمل مسدسًا هو السبب في أنني في المكان الذي أنا فيه الآن.

وقلب نبيل المسدس في يده في الهواء وهو يرينا إياه قبل أن يضعه على المنضدة ليدل على أنه يحمل مسدسًا موجودًا ويعمل حتى لا أحاول أنا ولا ضحى فعل شيءٍ ما، وبالطبع كان هذا احتياطًا أكثر من اللازم، فلا أنا ولا ضحى كنا نستطيع أن نفعل أي شيء في هذه اللحظة ونحن مقيدان هكذا.

وقال نبيل: "إذهب يا ناصر وأحضر لنا علبة الطاولة كي نلعب الطاولة لبعض الوقت."

ورد ناصر بلهجة سوقية للغاية: "حاضر يا أستاذ نبيل."

وأحضر ناصر هذا كرسيًا أخر ومنضدة وضعها أمام الكرسي الذي يجلس عليه نبيل، ثم وضع الكرسي الثاني في الجانب الأخر من المنضدة بحيث يتيح لنبيل مراقبتنا، ودلني هذا أن ناصر هذا ربما كان مجرد عامل يساعد العصابة في عملها، فهو يطيع الأوامر الصادرة له من نبيل والذي يسميه "أستاذ نبيل."

أحضر ناصر هذا علبة لعبة الطاولة الخشبية وجلس هو ونبيل في الكرسيين على جانبي الطاولة وبدأ الاثنان يلعبان الطاولة بتلك الطريقة التقليدية المصرية بداية من طرق علبة الطاولة الخشبية

بقوة تحدث ضجة كبيرة عند ارتطام قطع الفيش المستديرة بقاع العلبة مع اطلاق الضحكات بدون مناسبة لذلك على الإطلاق والصراخ واطلاق اللعنات والبصق بشكل مستمر من ناصر على الأرض النظيفة لتلك الصالة. أنا لا أحب الأصوات العالية وقد أصابتني هذه الغارة الأرضية المسماة بلعب الطاولة بصداع فظيع، وقد دلتني تصرفاتهما التي لا أعتقد أن طفلين في الثانية عشرة لديهما أي درجة من التهذيب أو الثقافة يقدمان عليها بأن ناصر هذا انسان جاهل تمامًا وأما الأخر فلا عقل له ويبدو أحمق تمامًا ولا يجدر بالأخرين ائتمانه على مسدس كهذا.

ثانيًا: دلني هذا على أن الغرف الداخلية التي تنام فيها د. سلوى لابد أنها بعيدة للغاية، وهذا طبيعي فحجم الفيلا يبدو كبيرًا جدًا كما بدا لي وهم يقتادونني إليها حين كنت في الساحة الأمامية لها، وإلا فلا أظن أن أحدًا كان سيتمكن من النوم مع كل هذه الضوضاء التي يصدرها هذان الأحمقان، وطبعًا لو أحس الأخرون في غرف الفيلا الداخلية بالصوت لكان أحدهم قد جاء ليأمر هذين بالهدوء ولكن مع استمرار الضجة لفترة جاوزت الساعة والنصف لم يأت أحد، وهذا معناه أن من يريد أن يهرب عليه أن يتغلب على هذين فقط، فالبقية قد لا يحسون بالصوت، وذلك طبعًا ما لم يكن الصوت صوت رصاص.

واستمر الصداع الفظيع في رأسي ونظرت إلى ضحى فوجدتها تغلق عينيها من شدة الصوت. وسألت نفسي هل يمكن للمرء أن يحصل على شاي أو قهوة في مكان كهذا، ولكني لم أتحدث حتى لا أسمع قولاً يزيد من ضيقي وآثرت السلامة، ولكني بعد فترة سألت نفسي عما يمكن أن يحدث لو سألت، وسألت: "هل يمكن للمرء هنا الحصول على شاي أو قهوة أو شيء من هذا القبيل."

ورأيت ضحى تهز رأسها. لم يكن يجب أن أتحدث. والتفت لي الرجلان وأعينهما ترمي بالشرر ولكن أحدهما لم يقم من مكانه وقال لي ناصر هذا: "هل تظن أننا خدم لديك؟"

وأجبته: "باستطاعتي أن أخدم نفسي بنفسي. فقط حل قيودي وسيظل لديك المسدس."

ونظر لي نبيل شذرًا وقال: "لقد تركناك بدون كمامة لأنك صامت. لو بدأت تتحدث وتضايقنا فسنكممك بحيث لا تستطيع أن تُصدر أي صوت. أنا لا أريد أن أشعر بوجودك مطلقًا كما لو كنت تلبس كمامة. اجلس صامتًا تظل بدون كمامة. هل كلامي مفهوم."

ونظرت له بغيظ ولكني أجبته: "نعم. كلامك مفهوم."

بعد حوالي ست ساعات طبقًا لساعة حائط كانت معلقة على الجدار، دخلت دكتورة سلوى ومعها علبتا كشري ومعها ابريق بلاستيكي كبير وكوب ماء، وحلت قيود ضحى أولاً وأعطتها علبة من علب الكشري، وتركت أمامها الماء. أكلت ضحى وشربت وهي صامتة تمامًا، ثم أعاد محيي الدين ربط قيود ضحى ثم فك قيودي وجلس قبالتي وهو يحمل المسدس بيده مُصوبًا إلي وأنا أكل الكشري وأشرب الماء، وما إن أتممت الأكل والشرب حتى أتى كليف والذي كان قد عاد من الخارج وقيدني جيدًا وظللت هكذا في مكاني.

وتكرر ما حدث كل ست ساعات وفي الليل نمت أنا وضحى وكل منا مقيد جالسًا على الأريكة التي كان يجلس عليها بينما تناوب كليف ومحيي الدين على مراقبتنا حيث كانا يشكلان مجموعة واحدة تراقبنا وكانا يتبادلان مكانيهما مع المجموعة الأخرى المكونة من نبيل وناصر في مجموعة أخرى في ورديات مناوبة علينا، ولكن طبعًا الوردية الخاصة بنبيل وناصر تميزت بقرع الطاولة والسباب والضحك العالي والبصق المتقطع على الأرض، بينما في مناوبة محيي الدين وكليف جلس محيي الدين يشاهد اشياءًا على التابلت

الخاص به أو يسمع اشياءًا مسجلة على ذلك التابلت أو على هاتفه بسماعات موجودة في اذنيه، ونقلني كليف أثناء الوردية الخاصة بكليف ومحيي الدين لأجلس على أحد الكراسي وتمدد هو على الأريكة وبيده كتاب وكان يقرأ والمسدس موجود على الطاولة بجواره بحيث يستطيع استخدامه في أي لحظة.

وفكرت أن هذه مجموعة من الناس مختلفة الطباع والمستويات الاجتماعية والاهتمامات الثقافية وهم من النقيض إلى النقيض ولم يجمع بينهم إلا المصالح.

كانت د. سلوى تحضر من وقت لأخر وتجلس معنا دون أن تتحدث ووقتها فقط كان يتم فتح التلفاز الموجود في الصالة ولم تكن تشاهد الأفلام والمسلسلات بل كانت تحب البرامج الثقافية والبرامج الطبية التي تركز على الطب ودعايات الأطباء وأحيانًا برامج المطبخ.

منذ أول مرة قاموا فيها بإطعامنا همست ضحى لدكتورة سلوى عندما جاءت لاطعامنا واصطحبتها دكتورة سلوى ومعها نبيل إلى مكان في خلف الفيلا وعندما عادت استنتجت أنا أنها قد ذهب إلى الحمام.

وعندما عادت د. سلوى وضحى قلت بصوت عالٍ: "هل يمكن لي يا جماعة أن أذهب إلى الحمام."

وقالت د. سلوى: "طبعًا. إذهبا به إلى الحمام."

وكان أصحاب الوردية في ذلك الوقت هما كليف ومحيي الدين، وذهبا بي إلى غرفة صغيرة جدًا بها مقعد للحمام وحوض صغير ودش حديدي صديء وكان من الواضح أن هذا الحمام يعمل للرجال والنساء، أي لي ولضحى، فلاشك أن هناك حمام أخر في الداخل، حيث أنه كلما أراد أحد مراقبينا دخول الحمام كان يسلك سبيلاً أخر غير الطريق إلى هذه الغرفة الصغيرة للحمام. وفي أول مرة

اجبروني على التبول والتبرز أمامهما ويداي مربوطتين أمامي ومحيي الدين يحمل المسدس موجهًا إلي.

استمر هذا الروتين اليومي ليومين متتاليين. في صباح اليوم الثالث أحسست بحركة غير طبيعية ثم غادر كل من كليف ومحيي الدين وناصر الفيلا وخرج معهم نبيل وسمعت باب الفيلا الحديدي يُفتح وصوت سيارة تتحرك ثم تم اغلاق الباب الحديدي الخارجي للفيلا. طبعًا كانت د. سلوى هي من تجلس أمامنا وبجانبها المسدس، واستبشرت خيرًا ولكن سرعان ما عاد نبيل للفيلا. لقد خرج يغلق البوابة الحديدية للفيلا بعدما غادرها الثلاثة الأخرون.

جلس نبيل يحمل المسدس ويراقبنا لمدة ست ساعات تقريبًا ثم جاءت دكتورة سلوى وقامت بإطعامنا واصطحاب ضحى إلى الحمام وكانت في منتهى اليقظة. في الواقع ربما شككت أنا في أن محيي الدين أو ربما كليف لن يطلق علي الرصاص لو حاولت أنا مثلاً الهرب ولكني كنت واثقًا من أن دكتورة سلوى ونبيل كانا سيفعلان ذلك.

بعد ست ساعات دخل نبيل إلى الداخل للنوم على ما أظن وظلت د. سلوى معنا ونحن مربوطين وهي تجلس أمامنا.

وبعد فترة من جلوسها هكذا بدأت ضحى تتكلم وقالت: "طبعًا ليس هناك شيء أقوله. لماذا فعلت هذا يا دكتورة سلوى؟ لقد وثقت بك وكان بيننا خبز وملح."

وردت د. سلوى بجفاء واضح وكأنها تستخف الفكرة: "لا معنى للخبز والملح وهذا الكلام القديم الذي حتى أجدادنا لم يكونوا يعملون به بشكل فعلي بل كان حتى بالنسبة لهم مجرد شعارات. أنا لم أحمل لك ضغينة. هذا الأمر هو بيزنس. شغل. عمل كأي عمل أخر. هناك أشخاص يريدونك ونحن سنسلمك إليهم. إنه مجرد عمل."

وسألت أنا دكتورة سلوى: "وماذا عني أنا؟"

وردت د. سلوى بحنق وقد نفرت عروق رقبتها فجأة مما يدل على غضبها الشديد وقالت بصوت عالٍ: "أنت أصل المصائب. أنت السبب في أن هذه العملية لم تنته بعدً، بل طالت وتعقدت وتم ارتكاب الأخطاء فيها."

وسألتها: "لم لازلتم محتفظين بنا؟ لماذا لم تسلمونا بعد؟"

وأجابت وكأنها تخفي شيئًا: "لا شيء البتة. مجرد تغيير في الترتيبات. غدًا نخرج بكما في السيارة ونسلمكما وبالتالي تنتهي هذه المهمة."

وسألتها: "وبالنسبة لي، لماذا يريدونني؟ ما هو الأمر."

وأجابتني دكتورة سلوى ببساطة وكأنها تتحدث عن شيء عادي جدًا: "لا شيء. ربما ظنوا أن بإمكانهم اخفائك بشكل أفضل أو التخلص منك بشكل أفضل ولكني أخمن أنهم في كل الأحوال سيقتلونك."

كنت قد انتهيت في تفكيري إلى نفس النتيجة. هم سيقتلونني بالتأكيد وسألتها: "لماذا! وعلام استحق القتل؟"

وردت د. سلوى بتشفٍ واضح: "أنت من سعيت لهذه النهاية. من البداية وأنت تتصرف كالعمل الرديء وبسببك أصبحت العملية كلها وكأنها منحوسة. لاشيء فيها سار كما خططنا له. لم يكن يجب أن تخرج معنا في هذه الرحلة ولكنك تشاجرت في شركة السياحة وجعلت ضحى تشعر بالذنب لأنها ستأخذ مكانك وهذا جعلنا نأخذك في تلك الرحلة معنا رغمًا عنا. لقد سعيت إلى حتفك بظلفك."

وتحدثت د. سلوى وكأنها ترى بعيني رأسها ما حدث في تلك الرحلة وقالت: "في يوم بداية الرحلة حضرنا بالأتوبيس الصغير وخططنا

إذا جاءت ضحى وحدها في البداية أن نأخذها بالأتوبيس إلى أسوان ولا ننتظرك ونقوم بتغيير الأتوبيس الصغير بعد التحرك بفترة قصيرة ونتركك تتحرك وحدك مع مجموعة أخرى من الناس كانت مستأجرة لذلك الغرض وأن نركب نحن أتوبيسًا أخر كبيرًا مع السائحين وضحى.

وتنهدت د. سلوى بعمق وقالت: "ولكنكما تقابلتما وجئتما معًا إلى الأتوبيس، وبالطبع اضطررنا وقتها أن نأخذك معنا في نفس الأتوبيس."

وضحكت د. سلوى وهي تقول: "أصررت من البداية على أن يكون الأتوبيس صغيرًا ومتهالكًا لعلني أثير حفيظتك عندما تجد أن الأتوبيس غير مريح لعلك تقرر ترك الرحلة وكنا وقتها لو قررت أنت ترك الرحلة سنغير الأتوبيس بعد مسافة قصيرة بأتوبيس كبير يحملنا جميعًا إلى أسوان مباشرة بدون أي توقف في الطريق."

وأردفت د. سلوى: "كان لذلك الأتوبيس الصغير الذي خرجنا به من القاهرة ميزة أخرى أنه كان يتيح لي أن أجلس مع ضحى على نفس الأريكة داخل الأتوبيس في المقعد المجاور لمقعد ضحى وكنت أستهدف طبعًا التعرف عليها بشكل وثيق لعلني أصادقها وأستطيع أن أرافقها وأؤثر على تحركاتها طوال الرحلة بكاملها وطبعًا نجحت في ذلك."

وابتسمت د. سلوى وبدا وكأنها تستعيد الأمر في ذاكرتها وكأنه انتصار شخصي لها. هذه المرأة غير طبيعية وليس لديها في الواقع أي تعاطف أو احساس بالأخرين. هي من النوع الذي يسميه علم النفس بالسيكوباتي وهذا طبعًا هو النوع الذي يرتكب الجرائم لأنه بشكل ما فصم العلاقة بين نفسه والأخرين. عندما يقول الله سبحانه وتعالى في قرآنه العظيم أنه من قتل نفسًا بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا فأنا أظن أن ذلك معناه أنه قتل

البشرية كلها لأنه بشكل ما فصم العلاقة بينه وبين البشرية نفسها لأنه غير قادر على الإحساس بمشاعر غيره.

وقالت د. سلوى وقد بدأت تقطب جبينها وتغضب ثانية: "جعلناك تجلس على الأريكة الخلفية لعلك تغضب وتترك الرحلة ولكن بمجرد أن جلست هناك عرفت أن نبيل ومحيي الدين وكليف أصدقاء وقد خرجوا في الرحلة معًا. كنا قد خططنا أن ينزل الثلاثة في غرف منفصلة في المنزل الريفي كي تعتقد أنهم غرباء عن بعضهم البعض وأن ينزلوا في غرف منفصلة لنفس السبب في أسوان إذا ذهبنا إلى أسوان ولكن بما أنك عرفت أنهم مجموعة واحدة قررنا ألا نجعلك تتساءل لماذا يتظاهرون بأنهم ليسوا مجموعة واحدة وانزلناهم في الحالتين في غرفة واحدة، وهذا طبعًا كان بمثابة اصدار حكم اعدام عليك، فلم نكن لنغامر بأن تقابل ضابط شرطة أو تجلس في تحقيق عن اختفاء ضحى وتقول أن الثلاثة هم مجموعة واحدة، وبعدها طبعًا لم يكن يمكننا أن نتركك تتعرض لتحقيق وتقول أنهم عصابة كما قلت لي في الفندق في أسوان."

ونظرت لي د. سلوى بلوم وقالت: "أرأيت كم أتعبتنا ثم تتساءل ماذا فعلت كي تستحق القتل؟"

وسرت قشعريرة خوف في عمودي الفقري. هذه هي بالضبط سيكولوجية المجرمين. هذه المرأة تظن أنها تملك الموت والحياة وطبعًا أي خطأ معناه الموت وتساءلت في نفسي كم قتلت من قبل ولأي شيء قتلت. لا يجب مضايقة هذه المرأة فبإمكانها فورًا أن تطلق الرصاص إن أحست أن ذلك ذا جدوى لها.

وقالت د. سلوى: "لعلمكما. كليف هذا ليس أجنبيًا. إنه مصري ويعمل ممثلاً ولكنه غير مشهور. يمثل دائمًا أنه أجنبي لأن الناس في مصر تثق في الأجانب ولا تدقق كثيرًا في هوياتهم وهذا يجعله يستطيع الدخول إلى أماكن عديدة لا يمكن دخولها عادة للمصريين

العاديين أو هم لا يستطيعون دخولها دون الكثير من التدقيق في أوراق هوياتهم."

وتعجبت من نوبة الصراحة التي انتابت سلوى. لم أسمعها تتحدث قط مع الأخرين إلا بأسلوب اصدار الأوامر إليهم، فطبعًا التبسط في الحديث مع المرؤوسين يرفع الكلفة معهم ويجعل الأخرين يتطاولون على الرئيس ويقولون كلامًا قد لا يجرؤون على قوله للرئيس بخلاف ذلك إذا لم يتم رفع الكلفة.

أحسب أن سلوى سأمت من الصمت المستمر وأرادت الحديث حتى لو كان الحديث إلي أنا وضحى، وطبعًا كانت تتحدث إلينا لأنها تعلم أنه في خلال يوم أو يومين سنذهب إلى الخاطفين الحقيقيين لنا ولن ترانا مرة أخرى وأن من ستسلمنا لهم سيحملوننا إلا مكان قد لا نعود منه قط. مجرد حديثها إلينا وما تقصه عن عملية الخطف ينذر بأن مصيرنا، كما تعتقد هي، مظلمٌ تمامًا.

سألتها ضحى: "حضرتك. لماذا تخطفونني؟"

وردت د. سلوى بصرامة: "لقد خطفناك لحساب أشخاص، وهم لم يقولوا لماذا أرادوا خطفك."

وسألت ضحى: "وأنتم ألم تسألوهم عن سبب الخطف؟"

وردت سلوى: "نحن لا نسأل قط. مهمتنا أن نقوم بتنفيذ الأوامر ونقوم بالأعمال بأقصى اجتهاد لنا وبدون أخطاء، ونحن لا يهمنا أن نسأل. عملنا هو تنفيذ الأوامر ولا تهمنا الأسباب. الأسباب تخص أصحابها، ونحن مجرد مأجورون."

وسألت أنا سلوى عما تعلمه: "وكوني عرفت أن الثلاثة رجال يعرفون بعضهم بعضًا. هل كان لذلك معنى؟"

وأجابت سلوى: "لقد غير ذلك كثيرًا من تخطيطنا مع أن خطتنا الأصلية كانت محكمة للغاية. اضطررنا حين نزلنا في أسوان أن ننزل في فندق كبير وليس في فندق صغير في منطقة نائية كما كنا قد خططنا قبل أن تظهر أنت في الموضوع، وكان ذهابنا إلى أسوان أصلاً هو الخطة البديلة، لو فشلت الخطة الأولى التي كانت خطف ضحى من البيت الريفي وحتى تلك الخطة لم تنشأ قبل أن تظهر أنت. كانت الخطة الأولى الأصلية أن نُركب ضحى الاتوبيس ونحملها داخله بلا توقف إلى حدود السودان ضمن مسارات خاصة كان سيدلنا عليها دليلٌ سينتظرنا على الطريق لنأخذه معنا بعدما نتجاوز أسوان بالأتوبيس، وبعدما نكون قد أنزلنا السائحين في فندق كبير وجيد في اسوان.

سكتت د. سلوى لبرهة، ثم أردفت: "ولكن بعدما فشلت الخطة الأصلية والخطة البديلة "ب" الأولى، قمنا بإعداد خطة "ب" بديلة ثانية، وكانت خطة معدة بعناية، حيث نزلنا في فندق كبير في أسوان حتى إذا تم فتح تحقيق شُرطي في غياب ضحى وفي موتك لا تشك الشرطة في أن الأمر مدبر من أوله. لو غابت ضحى وهي تقيم في فندق صغير لكان عدد المقيمين بالفندق صغيرًا وبالتالي لكان عدد المشتبه فيهم صغيرًا، وكذلك كانت الشرطة ستسأل ما الذي يجعل الدكتورة الجامعية الألمانية التي تملك المال تنزل في فندق صغير في منطقة نائية ولتشككت الشرطة في الأمر ولتعمقت في تحقيقاتها ولما اقتنعت بأول ما يُقال لها من زملاء ضحى في الرحلة وشركة السياحة التي نقلتها إلى أسوان من أنهم لا يعرفون عنها شيئًا وأنها خرجت من الفندق في أسوان ولم تعد ولا أحد يعرف عنها أي شيء.

وسألت أنا: "ألم تقلقوا من أن تقوم الشرطة بالتحقيق في الأمر بعد موتي عندما حاولتم قتلي؟"

وردت سلوى : "أما موتك أنت، "وبالطبع كانت تحدثني أنا" فكان سيعتبر موضوع بعيد جدًا عن ضحى وعن الجماعة التي خرجت

معها في الرحلة وعن رحلة السياحة وعن الفندق. أنت مصري خرجت للسياحة في بلدك وشيء ما أغراك بركوب مركب في النيل مساءًا وسقطت في النيل وخاف أصحاب المركب من العاقبة ولم يبلغوا الشرطة. مجرد حادث، وطبعًا كان هناك احتمال ألا يتم اكتشاف هوية جثتك وألا تُنسب الجثة لك، أو تنُسب الجثة لك بعد فترة بعدما نكون نحن قد غادرنا الفندق وانتشرنا وعدنا لهوياتنا الأصلية ولا يمكن العثور علينا، ويمكن طبعًا لموضوع ضُحى وقتها أن يكون قد طواه النسيان، ولم تعد الشرطة تربط بين الفندق وبين أي من الاختفاءين أو اختفاء الدكتورة الألمانية وموت السائح المصري. أصلاً لم يكن هناك أحد من المصريين سيذكر أن هناك مصريًا أخر خرج معنا في الرحلة."

وأكملت سلوى: "أتعبتنا كثيرًا ولكن الحمد لله. الغريب في الأمر أنك فعلت كل شيء بتلقائية ودون أن تفكر أن هناك محاولة لخطف ضحى. لو كنت قد أحسست بشيء لقتلناك من البداية ولكننا في كل خطوة كنا نأمل أن نتخلص منك بسهولة في الخطوة التالية ولكن لسبب ما لم نستطع التخلص منك."

وأكملت سلوى وهي تتحدث بسخرية: "تصور أنه حتى تمثيلية الكافيتريا القذرة التي جلسنا فيها كانت من أجل التظاهر أمام سعادتك. ضحى لا تعترض كثيرًا ولو كنا قد أنزلناها من الأتوبيس في ذلك البيت الريفي على أساس أننا ذهبنا إليه ليجرب السائحون الذين خرجوا معنا في الرحلة الحياة الريفية الطبيعية لما اعترضت ضحى ولكننا كنا نعرف طبعًا أنك ستملأ الدنيا صياحًا وغضبًا وربما وصل بك الأمر إلى حد كتابة محضر تقرير لدى الشرطة ضد شركة السياحة واصفًا الجريمة التي ارتكبت ضدك من انزالك في ذلك البيت الحقير. اضطررنا أن نتظاهر أننا مضطرين للذهاب إلى ذلك البيت الريفي التعس. كان ذهابنا أصلاً إلى ذلك البيت الريفي هو الخطة البديلة "باء" إذا لم نستطع اركابك أتوبيس بمفردك لو وصلت في وقت ما قبل أو بعد وصول ضحى لركوب أتوبيس الرحلة."

وسألت سلوى وأنا أستغل اريحيتها في الحديث بشكل صريح: "وما الذي حدث في قرية المالكية؟"

وسألتني: "وما هي المالكية؟"

وأجبتها: "إنها اسم المنطقة التي يقع بها البيت الريفي. ألم تكوني تعرفين اسمها؟"

وقالت د. سلوى بمرارة: "يكفي أن تعرف أنت اسمها. ظللت تسأل وتدس أنفك في كل شيء. إذا فقد كان اسمها المالكية."

وقالت ضحى لسلوى: "في قرية المالكية قمت أنت بحقني لتخديري. هذا هو الشيء المنطقي الوحيد. أنت حقنتني ولسبب ما خرجت من تحت سيطرتك وانطلقت أجري خارج الغرفة، وكنت لسبب ما قد تركت الباب مفتوحًا ونزلت أنا السلالم إلى الطابق الأول وجريت خارج المكان وقام وقتها ماجد بنقلي إلى المستوصف."

وهزت سلوى رأسها وبدأت تحكي الشيء المسلم به: "نعم. لقد حقنتك بمادة مخدرة ولكنها عقار هلوسة بحيث يمكننا جعلك تجلسين في الأتوبيس مخدرة لفترة ولكنك تبدين مستيقظة وعلى ما يرام ولكنك لا تحسين بما يحدث حولك. كان معي غير الهاتف المحمول الخاص بي كذلك مصباح كشاف صغير كنت أخفيه في حقيبتي. حقنتك واتصلت بفتحي والذي كان وقتها يركب الأتوبيس الكبير. كنا نحتفظ بذلك الأتوبيس في جراج قريب من البيت الريفي."

وأردفت سلوى: "قال فتحي أنه سيأتي بعد حوالي الساعة لأن الطريق وعر وغير ممهد ولا يوجد ضوء يريهم الطريق سوى كشاف الأتوبيس وخاف وقتها أنهم قد لا يرون الطريق بشكل واضح ويسقطون في حفرة وبالتالي كانوا سيتحركون بسرعة منخفضة جدًا، وكان هذا تعقيد غير متوقع للموقف وقتها، ولكني لم أقلق وقلت لنفسي لأنام قليلاً حتى يحضر الأتوبيس. ولكني استغرقت في

النوم. كنت قد فتحت الباب ولم أتركه مغلقًا بالمفتاح كي يأتي الرجال الثلاثة ويأخذوا ضحى إذا ما حضر الأتوبيس لأني توقعت أن يأتي الأتوبيس بسرعة، ولكني حين تمددت شعرت بالتعب بسبب اليوم المرهق الذي قضيناه يومها واستغرقت في النوم وفوجئت وأنا نائمة بحركة حولي. رأيتك تستيقظين وتتحركين في الغرفة وتتحركين في الغرفة تتحسسين الأشياء ثم وجدت مقبض الباب وفتحتيه وانطلقت إلى الخارج وسمعت صوتك وأنت تجرين على السلالم."

وقالت سلوى وهي تحاول تفسير ما حدث محدثة ضحى: "لا أعرف. حكيت لي بعدها عن الكابوس الذي أتاك قبل أن تجدي نفسك بالمستوصف وعن رؤيتك المتكررة للثعبان. يخيل إلي أنك قد تخيلت أثناء نومك أن وخزة الإبرة في حقنة التخدير التي حقنتك بها هي لدغة ثعبان ولهذا بادرت بالجري للهرب منه، كما أنك بشكل ما قد رأت وجوه الدباديب المجسمة التي كانت جزءًا من بيجامة ماجد بعد ذلك، وفسرتها على أنها تهديد لك."

واستكملت سلوى سردها وقالت: "بمجرد جريك خارج الغرفة، أسرعت أوقظ الرجال الثلاثة كي ننزل فنبحث عنك ونزلت بعد ذلك جريًا أبحث عنك ومعي الكشاف. لم أجدك في الطابق الأول من البيت وبحثت حول البيت الريفي ولم أجدك ونزل الرجال الثلاثة وفتحوا الضوء في هواتفهم المحمولة بعد ذلك وبحثنا في كل مكان ولم نجدك، ثم عدنا إلى البيت الريفي ولاحظنا أن باب غرفة ماجد مفتوح وحين دخلنا الغرفة لم نجده في غرفته."

وتوقفت سلوى عن الكلام لبرهة ثم قالت بسخرية: "وطبعًا عندما عاد ماجد لم يأت وحده بل كان معه شرطي طلب منه رئيسه أن يصطحبني أنا وفتحي إلى مخفر الشرطة، ونأتي معنا ببطاقتي هوياتنا وبطاقة هويتك معنا."

وضغطت سلوى على أسنانها وهي تستعيد مشاعرها الغاضبة وقالت لضحى: "طبعًا كنت أتميز غيظًا ولكني تظاهرت بأنني كنت فقط قلقة عليك وأسرعت أنا وفتحي نركب الأتوبيس الجديد الذي قلنا أنه جاءنا من القاهرة لتوه وقلت للشرطي أننا سنتبع سيارته بالأتوبيس لأننا سنذهب بعد ذلك للمستوصف للاطمئنان عليك. لم أفكر وقتها ولكن الذهاب بالأتوبيس كان خطأ قاتلاً. كان ينبغي أن نركب سيارة الشرطة وأن نخبر سائق الأتوبيس أن يذهب بالأتوبيس إلى المستوصف وينتظرنا هناك، فقد كان سائق الأتوبيس يحمل رخصة قيادته وكانت بالطبع غير مزورة وقد قام ضابط الشرطة في المخفر بأخذ صورة ضوئية لرخصة القيادة تلك وتسبب هذا لأول مرة في عملنا في تركنا لأثر لنا في مخفر للشرطة."

وقالت سلوى وهي تتذكر وقتها ما حدث وقالت: "استمع ضابط الشرطة لما قلناه بابتسامة واسعة. كان شابًا وبدا لي طيبًا وبلا خبرة وشجعني ذلك على الكلام. قلت له أن الطبيب صغير في السن ولا شك أنه مخطيء وأن سبب مرضك هو ولابد حساسية معدتك للتلوث لأنك تعيشين في دولة أجنبية والسمك الذي أكلناه في الكافيتريا كان غير طازج وحكيت له كم كان السمك قذرًا ورائحته كريهة، وكان ذلك الضابط يهز رأسه وكأنه مقتنع بكلامي ثم فاجأنا برغبته في الإطلاع على أوراق هويتي أنا وفتحي، وكانت أوراق هوياتنا مزورة بعناية ولكن طبعًا كان يمكن الاتصال بالجهات الرسمية واكتشاف التزوير، وبعدما رد لنا هوياتنا، طلب ضابط الشرطة منا أن نوقع على محضر الشرطة وأن نبصم ونضع بصمات أصابعنا تحت التوقيع، ولما استغربنا طلبه، قال أنه دائمًا يفعل ذلك ثم طلب من مساعده أن يأتي له بسائق الأتوبيس ومعه أوراقه وحصل على صورة ضوئية منها."

وهزت سلوى رأسها بأسى وهي تقول: "وعندما لاحظ ضابط الشرطة ذاك أننا لا نريد ترك بصمات واضحة لأصابعنا، بصمنا بيده وضغط على أيدينا أنا وفتحي أثناء أخذ البصمات لأخذ بصمات

شديدة الوضوح وفعل ذلك مرتين. بدا لي ذلك الضابط خفيف الدم ومبتسم وكان يمازحنا ولكنه لم يكن سهلاً ولا أعرف حتى الآن ما الذي جعله يشك فينا ويطلب الحصول على بصماتنا. وطبعًا لم نحاول خطفك في تلك المنطقة بعدما تركنا بصماتنا وصورة رخصة قيادة السائق في قسم الشرطة."

وضحكت سلوى وهي تقول: "وطبعًا من حسن حظنا أن الضابط قد جعل ماجد يلزم البيت الريفي بحيث كنا أول من رآك بعدما استفقت من غيبوبتك وأمكننا اقناعك بأننا نحن من نقلناك للمستوصف وبالتالي لم تشكي فينا."

ورأتني سلوى وأنا مبتسم وكأنني أشمت فيهم ولهذا قالت: "لا تفرح هكذا. لقد مر الأمر كله على خير، والآن ونحن في مدينة أسوان عندما يعلنون اختفاء ضحى واختفاءك حيث أن فتحي ولابد أنه سيبلغ الشرطة خلال يومين باختفاءكما ليخلي مسئوليته، ووقتها سنكون جميعًا قد عدنا للإقامة في الفندق، وحين تبدأ الشرطة التحريات لن يقوم أحد بابلاغهم بأن هناك أدلة موجودة في قسم شرطة المالكية تلك. لعلمك عندما تحدثت إلى ذلك الضابط وذكرت اسمي واسم فتحي وقعت على شهادة وفاتك بنفسك، وهذا أحد الأسباب التي أدت إلى جعلنا نخطفك الآن، حيث أنه من وقتها ومن وقت اضطرارنا للذهاب إلى أسوان قررنا أن نقتلك، فإذا اختفت ضحى بعد ذلك لأي سبب وأنت على قيد الحياة فسوف تخبر فورًا شرطة أسوان بحديثك مع الضابط في قرية المالكية أو القرية التي تقول أن اسمها المالكية ووقتها سيحدث تحقيق موسع لأن ضحى ليست مصرية فقط بل هي مواطنة ألمانية كذلك، كما أنها تعمل مدرسة في الجامعة، وطبعًا ستطلع شرطة أسوان على محضر شرطة ذلك الضابط وتجد بسهولة صورة رخصة قيادة السائق وبصماتنا وسيجدوننا بسهولة تامة لو استدعوا السائق وحققوا معه."

وقالت سلوى: "وطبعًا السائق الآن قد أرسلناه في رحلة إلى ليبيا وقلنا له أن سيقوم بمهمة من أجلنا هناك ولكنه ذاهب إلى قوم صدرت لهم الأوامر بقتله، وسيصلنا خبر وفاته اليوم أو غدًا على أكثر تقدير."

وهالني ما قالته سلوى. ورأيت ضحى تنظر لها بإمعان. هذه المرأة كما قدرت أنا مجنونة بلا شك، وعندما نقلت سلوى نظراتها بيننا، خفضت ضحى نظرتها إلى الأرض. كانت نظراتنا المذهولة مدهشة لسلوى فهي، كما يبدو، لم تحس بأنها قد قالت أي شيء خارج عن المألوف حين تحدثت عن قتل السائق.

ولم أقل أنا شيئًا بل نظرت بدوري إلى الأرض. هذه المرأة مقتنعة تمامًا أننا لن نبقى أحياءًا لفترة طويلة وإلا لما قالت لنا ذلك.

ورفعت عيني ونظرت لها وقلت: "إذن فأنتم طبعًا من رتبتم لقتلي عن طريق الرجلين في اللنش الذي يعمل بالمحرك اللذين قبضا علي عند مرسى المراكب في أسوان."

وقالت سلوى: "لا يجب أن تلومنا على ذلك. عليك أن تلوم نفسك. لم يكن يجب أن تتدخل فيما لا يعنيك."

الفصل الثالث عشرة: دكتورة سلوى

وسألت ضحى سلوى: "هل لي أن أعرف ماذا حدث في أسوان؟"

وقالت د. سلوى ببساطة: "لاشيء. لقد خدرتك في غرفة الفندق وكنت متعبة للغاية ولم تشعري بشيء، ثم بعد ذلك حقنتك بعقار الهلوسة بحيث يمكنك أن تمشي بجانبي دون أن يبدو عليك أنك تعانين من أي شيء. تكون عيناك مفتوحتان وتتحركين بشكل طبيعي. ربما استندت علي من وقت لأخر ولكن هذا كل شيء. ألبستك بدلة حريمي صفراء أنيقة حتى يبدو مظهرك جيدًا وأنا أمشي معك، ولم أتخيل أن الكوديتان الغبيتان ستلبسانك جلباب أسود فوق

تلك البدلة الصفراء الأنيقة. ربما كان يجب أن أراعي أن مظهرك يجب أن يبدو شبيهًا بمظهرهما هما وليس بمظهري أنا حيث أنهما هما من سترافقانك فيما بعد."

وأردفت سلوى: "المهم، خرجت أمشي معك من الفندق بشكل طبيعي ولم نر أشخاصًا كثيرين في طريقنا ولم يلحظ أحد أي شيء. نزلت معك إلى الشارع وقد وضعت يدي في يدك ثم ذهبت إلى سيارة التاكسي حيث كانت تجلس الكوديتان وسلمتك لهما وسلمتهما حقيبة يدك كذلك حتى إذا حدث أي تفتيش للفندق في أي لحظة لا يكون هناك أي شيء يدل على أنك قد خرجت من الفندق بدون حقيبة يدك، فالمرء لا يعرف ماذا يمكن أن يحدث ما بين لحظة وأخرى، وقد ثبت أنني على حق في تلك النقطة، فكوني ألبستك ثيابك العادية وسلمتهم حقيبة يدك جعل الشرطة تصدق أنك بالفعل ذهبت بإرادتك إلى كوديتي الزار وطلبت منهما اقامة حفلة زار لك ولم يقم أحد بخطفك."

وسألتها أنا: "وماذا حدث بعد ذلك؟"

وردت سلوى: "وماذا كان يمكن أن يحدث؟ عدت إلى الفندق بشكل عادي جدًا. كانت الخطة أن تحتفظ بك هاتان المرأتان في شقة الحاجة ملك حتى ينتهي التحقيق في اختفاءك وفي اختفاء ماجد، وذلك طبعًا إذا تم اكتشاف جثة ماجد بسرعة."

وأردفت د. سلوى وعلى وجهها هذه التشنيكة التي تقوم بها النساء لتبدين فاتنات وعادة ما يبدو مظهرهن بها جميلاً ولكنها ترتسم على وجه سلوى فقط عندما تشعر بالقرف أو الاستياء من شيء ما. قالت سلوى: "طبعًا كنت وقتها متأكدة أن ماجد لن يعود، فقد كان الرجلان اللذان خطفاه مدربين تمامًا على ما سيفعلانه وقد فعلاه كثيرًا من قبل ولم يفشلا ولا مرة واحدة."

وهزت سلوى رأسها في أسى وقالت: "هذه المرة كان كل شيء خطأ. كل شيء سار في اتجاه غير الذي رسمناه له. كوديتا الزار لم يمكنهما إدخال ضحى إلى شقة الحاجة ملك واخفائها في تلك الشقة. لقد خططنا أن تختفيا في نفس الليلة وأبقى أنا وفتحي والرجال الثلاثة للإجابة على أسئلة الشرطة. الأجانب سيسافرون إلى بلادهم في الغد. سيركبون طائرة إلى القاهرة ومنها طائرات أخرى إلى بلادهم، وعندما تأتي الشرطة سيكونون جميعًا قد سافروا وسيتعذر الاتصال بهم لأن شركة السياحة لن تكون لديها معلومات كاملة عنهم، فهم قد قدموا أوراق هوياتهم لشركة السياحة للسفر إلى أسوان وقدموا أوراق اقامة مؤقتة في مصر، ولكن هذه المعلومات لن تمكن أحدًا من الاتصال بهم في بلادهم. وحتى لو تم الاتصال بهم فلن يكون بإمكانهم الإدلاء بأي معلومات حيث أن أحدًا لم يزودهم بأي معلومات عما كان يحدث حولهم أثناء الرحلة."

وأردفت سلوى وهي تنظر إلي بتلك النظرة اللائمة: "هذه العملية التي نقوم بها الآن تم التخطيط لها منذ وقت طويل ولكنها انهارت فوق رؤوسنا بشكل ما، ولكننا نحن تولينا الاعداد للخطة باء والخطة باء الأخرى بعد فشل الخطة "أ"، وقد كانت عملية التعمية ممتازة."

وأردفت سلوى: "تم الاعداد لأن يكون كل من يمكن للشرطة سؤالهم هو أنا وفتحي والرجال الثلاثة، وطبعًا الرجال الثلاثة تحدثوا إلى ماجد مرة أو مرتين ولم يرهم أحد يتحدثون إلى ماجد أكثر من ذلك، بينما أنا تشاجرت فقط مع ماجد وفتحي تعامل مع ماجد فقط في حدود عمله كمشرف للرحلة. أما بالنسبة لضحى فلم يتحدث إليها أحد من الرجال الثلاثة ولم يرهم أحد يتحدثون إليها قط. السائحون علموا فقط أن هناك مشكلة معوية أصابت ضحى وأنني نقلت ضحى أنا وفتحي إلى مستوصف على الطريق، ولا أظن أن أحدًا من السائحين يمكنه تحديد مكان المستوصف على أجهزة GPS، وفي حالة معرفة الشرطة لحادثة المستوصف فسوف ننكر جميعًا أننا

نعرف مكان المستوصف ويمكننا العودة إلى مكانه مرة أخرى. وأما فتحي فسيدعي أن ضحى خرجت بإرادتها من الفندق في أسوان دون أن تبلغه بخروجها أو بأين تذهب ولن يذكر شيئًا عن المستوصف وطبعًا أمام الناس جميعًا فتحي لا يعرف ضحى على الإطلاق وعلاقته بها نابعة فقط من كونه مشرف على الرحلة، وأنا طبعًا سأقول أنني صديقة ضحى وكنت أقيم معها في نفس الغرفة وأنا قلقة للغاية عليها ولكني لا أعرف أين ذهبت. وبعد الغد يجب أن أكون في الفندق لأرد على أسئلة الشرطة إن كانت هناك أسئلة."

وهزت د. سلوى رأسها وشنكت أنفها وقالت لنفسها أشياءًا بصوت منخفض بامتعاض خُيل إلي معه في لحظة ما أنها لا تحدثنا وإنما تحدث نفسها محاولة طمأنة نفسها أن كل شيء على خير ما يرام وأن تحقيقات الشرطة لن تؤدي لشيء. قالت د. سلوى: "للأسف حتى عملية خطف ضحى في أسوان لم تنجح."

والتفتت إلى ضحى وقالت لها: "الصراحة راحة. كان يجب أن ألُبسك ثيابًا سوداء كي تنسجم مع الجلابية السوداء التي ألبسوك إياها. كان يجب أن أسألهما عن الثياب التي يجب عليك ارتداؤها كي تناسبي المكان الذي ستذهبين إليه. للأسف تم افتضاح أمر كوديتي الزار وتم القبض عليهما ونقلهما لقسم الشرطة."

وابتسمت دكتورة سلوى وهي تقول: "طبعًا قمنا قبل بدء العملية بتعريف كوديتي الزار بوضعهما القانوني لو تم اكتشاف أمرهما حتى لا تجد المرأتان نفسيهما أمام ضابط شرطة معجب بنفسه وثقيل الوطأة قليلاً فتعترفان بكل شيء، وطبعًا جلسات تعريف المشاركين لنا في العمليات بالقانون هي إحدى أولويات عملنا، ففي مثل هذه العمليات قد تسير الأمور خطأ. طبعًا الأمور لم تسر خطأ قط من قبل، ولكن هذه المرة سار كل شيء خطأ."

وقالت د. سلوى وكأنها تطمئن نفسها على أن النظام الذي يعملون طبقًا له هو نظام محصن ضد الأخطاء وذا جدوى وهو النظام الواجب اتباعه: "طريقتنا في العمل جيدة، فقد وقفت كوديتا الزار أمام ضابط الشرطة وهما تعرفان القانون جيدًا وحاولتا بسرعة تحويل القضية إلى قضية نصب واحتيال وسرقة وليس قضية خطف أنثى قد تصل عقوبتها إلى ربع قرن وراء القضبان. وأصرت الكوديتان على أن ضحى قد ذهبت إليهما بنفسها لتقيما لها حفلة زار وصدقهما ضابط الشرطة لأن كوديتا الزار هاتان كانتا قد قامتا من قبل ولفترة طويلة بعمليات نصب واحتيال على سائحين قادمين من الخارج مثل ضحى، وهذا طبعًا لفت انتباه الشرطة بعيدًا عن عملية الخطف التي نقوم بها، وكذلك صدق وكيل النيابة اعترافات كوديتي الزار ولم يصدق انكار ضحى لذهابها إليهما. اتصلت بي إحدى كوديتي الزار من داخل حجز الشرطة من هاتف محمول تمكنت من الحصول عليه واخبرتني بالقبض عليهما وما حدث وكيف أن التهمة التي ستوجه إليهما في الأغلب ستكون نصب واحتيال وسرقة، وأخبرتني أن ضحى قد نُقلت إلى المستشفى، وهذا طبعًا نبهني ألا أظهر الدهشة وأنا أرى ضحى تدخل علي غرفة الفندق بعدها بعدة ساعات. كنت جاهزة لاظهار القلق والاشفاق عليها والتعاطف معها ولكن اعصابها كانت منهارة ولم تعد قادرة على الاستماع إلى شيء مما أقوله. تركتها وذهبت للمجموعة كي نخطط لما يجب عمله في الأوقات التالية."

وقلت أنا لسلوى: "منذ أن نقلت أنا ضحى إلى ذلك المستوصف وأنت تسيئين معاملتي وطبعًا كان هذا محاولة منك لإبعادي عن ضحى كي لا أخبرها أنني أنا الذي نقلتها إلى المستوصف في المالكية وذلك كي تبقى وحدها ولا تشك بك ولا تتعاون معي أو تستمع إلى شكوكي ولا يكون هناك أحد يجري تحقيقات عن اختفاءها إن اختفت."

وهزت د. سلوى رأسها بيقين تلك المرة وقالت: "نعم. كل شيء سار في طريق غير الذي خططنا له بسببك ولكنك ستلقى جزاءك. لا أظن أن من سنسلمكما لهم سيتركونك طويلاً على قيد الحياة."

وهززت رأسي أنني أفهم ذلك.

فاجآتني ضحى بسؤالها التالي لسلوى: "هل لي أن أسألك لماذ مشيت في ذلك الطريق؟ أنت طبيبة بشرية كما أعتقد."

وقالت د. سلوى: "نعم. لقد لاحظت نظرتك لي وأنا أرتدي القفازات الطبية لإزاحة تلك الحشرة التي كانت موجودة في الكافيتريا بينما نحن نأكل السمك. معظم الناس لا تضع قفازات طبية في حقائب يدها."

وقالت ضحى مبتسمة: "نعم ومعظم الناس لا ترتدي القفازات بهذا التمرس والاعتياد كذلك. أعتقد أنك لبست القفاز البلاستيكي في أقل من ثانية وهذا يتطلب تدريبًا كثيرًا وهو عادة تدريب لا يتوافر الوقت له إلا أثناء العمل الفعلي عند ممارسة المرء لعمله المعتاد. بمجرد أن رأيتك ترتدين القفاز بتلك الطريقة قفز في ذهني السؤال: "هل دكتورة سلوى طبيبة أم لعلها ممرضة؟ طبعًا أنت قلت لي أنك دكتورة في العلوم الاجتماعية في إحدى الجامعات الخاصة ولكن على حد علمي لا تعتني الجامعات الخاصة في هذه الأيام في مصر بتدريس العلوم الاجتماعية، فأنا مصرية في الأصل وأعرف مصر جيدًا ولم آت أصلاً من ألمانيا. العلوم الاجتماعية هي حاليًا من العلوم المهجورة التي تُستخدم في البيزنس فقط في خارج مصر ويحُتفى بها فقط في خارج مصر، ولا يقبل الطلاب المصريون على دراستها ولا يدفعون في دراستها المبالغ التي تطلب الجامعات الخاصة دفعها لتعليم الطلاب. قدرت أن لديك أسبابك الخاصة للكذب وتجاهلت الأمر وسرعان ما نسيته وطبعًا كان هذا من سوء حظي."

وتحدثت د. سلوى وأدهشني أنها مرتاحة للغاية وهي تحكي وكأنها تحكي قصة إمرأة أخرى ونحن نسمعها بهدوء شديد وكأننا نسمع ما سيحدث لقوم أخرين. قالت د. سلوى: "أنا أصلاً خريجة كلية الطب. "قالتها بزهو واضح" وأكملت: "عملت لفترة في مصر في إحدى المستشفيات العامة ثم تعاقدت مع السعودية للعمل بها. عملت بالسعودية أعوامًا طويلة وبعدها قررت أن أعود إلى مصر. عندما عدت لمصر وجدت تلامذتي قد أصبحوا أساتذة ولا أحد يتذكرني. أنا كان معي مال وافر. فتحت عيادة في أفضل مكان في القاهرة وجلست أنتظر أن يأتيني الزبائن وللأسف لم أكن قد كونت اسمًا لنفسي في مصر. لم يسمع أحد عني ولم يأتني أحد إلى العيادة."

وبدا على وجه دكتورة سلوى تلك التشنيكة التي تعبر عن الأسى، وأردفت: "قابلت ممرضة تعمل في مستشفى خاص وحدثتني أن هناك الكثير من النساء تذهبن إلى تلك المستشفى وتطلبن اجراء عمليات اجهاض وعمليات نسائية أخرى خارج نطاق القانون، واقنعت تلك الممرضة أن تحاول الاتصال بهؤلاء النساء وأن تدلهن بشكل سري على عيادتي كمكان يمكن إجراء هذه العمليات فيه بسرية تامة ولكن مقابل مبالغ كبيرة، وبالفعل استجابت تلك الممرضة ومع الوقت قمت بالاتفاق مع ممرضات أخريات تعملن في أقسام النساء والتوليد في مستشفيات وعيادات ترفض اجراء مثل هذه العمليات للعمل معي واحضار النساء اللاتي ترغبن في أن تجُرى لهن مثل هذه العمليات إلى عيادتي، ومع الوقت اكتسبت شهرة وأصبح عملي يدر علي الكثير من المال."

وأكملت د. سلوى: "ظل الأمر يسير على ما يرام حتى أتتني إمرأة زعمت أن زوجها يعمل موظفًا في الجمرك وطلبت اجراء عملية اجهاض لها وأجريت لها بالفعل تلك العملية وخلصتها من الطفل غير المرغوب فيه، وعندما سألها زوجها والذي كان في الواقع يعمل رئيس نيابة وضغط عليها أخبرته أنني أنا من أجريت لها عملية الاجهاض."

وأردفت د. سلوى تكمل حكايتها فقالت: "استخدمت مالي لتوكيل محامي كبير أخرجني من الشق الجنائي للقضية ولكن نقابة الأطباء أوقفتني عن العمل عامين كعقاب لي. وجدت نفسي عاطلة عن العمل لعامين. استمررت سرًا في إجراء عمليات الاجهاض والعمليات الأخرى التي كنت أجريها سرًا في عيادة أخرى استأجرتها للعمل فيها ونقلت إليها نشاطي، ولكني كنت قلقة جدًا من إمكانية انكشاف أمري للمرة الثانية. وفي يوم اتصل بي نبيل، ونبيل هذا قريب لي ولكن علاقة القرابة بيننا بعيدة قليلاً. كل ما كنت أعرفه عنه أنه شاب فشل في تعليمه ولا أحد يعرف من أين يأتي بماله والذي هو مال وفير، وهو يزعم أنه يقوم بعمليات تجارية قصيرة وسريعة ومربحة جدًا، وكل من كان يعرفه كان يشتبه بأنها عمليات غير قانونية."

وأردفت د. سلوى تقول: "آتاني نبيل في يوم من الأيام وقال أنه وأصدقاء له يعملون مع مجموعة من الأجانب ويقومون بإجراء عمليات بيزنس تستغرق فترة قصيرة ومربحة للغاية. وقال أن هذه العمليات بسيطة ولكن أجرها كبير جدًا فالأجانب يدفعون بسخاء ولا يهتمون بما ينفقون فيه المال، وأخبرني أن الأجانب طلبوا أن تنضم طبيبة بشرية متخصصة إلى فريقهم لأن العمليات التالية التي سيقومون بها ستحتاج إلى طبيبة وأن أجر تلك الطبيبة سيكون مجزيًا جدًا، وأنه فكر في أن أكون أنا هذه الطبيبة لأنني قريبته وهو يريد أن يساعدني لأنه سمع أن أحوالي لم تكن تسير على ما يرام مؤخرًا. وقفزت للحصول على تلك الفرصة وانضممت للمجموعة."

وقالت دكتورة سلوى بفخر حاولت أن تخفيه: "في البداية لم أكن أشترك في كل المهام التي يكلفون المجموعة بها وكنت أنا فرد مرؤوس في المجموعة. في البداية كان يرأسنا كليف، وفي البداية عملت مع المجموعة في مهام بسيطة ولكن هناك شك في قانونيتها وسرعان ما تحملت المزيد من المسئوليات الصعبة، والتي أصبحت مع الوقت أصعب فأصعب وأصبحت بالتأكيد غير قانونية، وتطلبت

تلك المسؤوليات بعد ذلك التخطيط الدقيق للعمليات والذي كنت أقوم به أنا، وبعد فترة من عملي مع المجموعة صدر قرار من الرؤساء بترقيتي لأكون رئيسة المجموعة، وقد عملت الآن لسنوات كرئيسة للمجموعة."

تبادلت النظرات مع ضحى. وفكرت أنا. لقد أثبتت دكتورة سلوى لرؤساءها مع الوقت أنها بلا ضمير. كانوا يخافون أن يكون هناك بقية من ضمير في جزء ما من كيانها، ولكنها نجحت في الاختبارات وترقت. مرحى!! إنها قصة نجاح حقيقية. لو لم أكن مقيدًا لصفقت لها كمكافأة على نجاحها وبراعتها.

كنت وقتها واثقًا من أن دكتورة سلوى تحتقر مجموعة العصابة التي تعمل معها. هي أخبرتنا بما أخبرتنا به لنحترمها ولنفهم دوافعها لأنها تنظر لدكتورة ضحى وربما لي كأناس محترمين تحتاج هي بشكل ما إلى الحصول على رضاهم عنها، والتوافق معها، بل والاعجاب بحسن تدبيرها وتخطيطها. هي تحكي لنا لتدلنا على أنها خططت لكل شيء بشكل لا يُسرب الماء لنعجب بتخطيطها. نفسيتها السيكوباتية لا تحس بمعاناتنا كضحايا، وهي لا ترى سلطتها علينا بل ترانا في نفس مستواها فدكتورة ضحى أستاذة جامعة تعمل في ألمانيا وبالتالي فهي إمرأة محترمة علميًا مثلما ترى دكتورة سلوى نفسها، وهي تراني كشخص محترم أو ربما كشخص لن يضرها كثيرًا أن يعرف بعض المعلومات التي لن يضرها معرفته لها، ثم إنها ستتخلص منا بعد وقت قليل ولن يضرها ما قالته لنا.

وبعدما سمعت قصتها أيقنت تقريبًا أنها لا تشعر تجاه زملاءها في العصابة سوى بالاحتقار. هي طبيبة متعلمة تفهم وتعي وتخطط وتحقق نجاحات، أما البقية فهم مجرد عمال غير متعلمين ولا يعرفون ما تعرفه ومن السهل جدًا الاستغناء عنهم أو استبدالهم، وهي قد وضعت نفسها في خانة الرؤساء، فهي تهددهم بما سيحدث لهم إن ارتكبوا أخطاء، أما هي فتشعر أنها فوق الجميع وفوق

المحاسبة وأنه لا يمكن للأجانب الاستغناء عنها أو ايجاد بديل لها. من أين يأتون بطبيبة بشرية تخطط بهذه الجودة وتنفذ المهام التي تستطيع هي تنفيذها؟

وصدق ظني، فما إن رجع الثلاثة الذين خرجوا من قبل إلى الفيلا حتى أغلقت سلوى فمها تمامًا، ولم تحدث أي منهم بشيء بل دخلت إلى الداخل ولم تنطق كلمة واحدة لنا أو أمامنا، كما لو كانت لم تقل لنا أي شيء. نوبة الصراحة قد انتهت فقد عاد العبيد وطبعًا السيدة لا تتحدث أمام العبيد.

رجع الثلاثة الذين خرجوا من قبل، وكانوا يبدون متعبين ولكن بمجرد عودتهم دخلت د. سلوى إلى الداخل وسرعان ما جاء كليف وفحص قيودي أنا وضحى واطمئن إلى متانتها ثم استلقى على إحدى الأريكتين بعدما نقلني إلى أحد الكراسي وأمسك كتابه وبدأ يقرأ، بينما جلس محيي الدين على أحد الكراسي وانشغل في شيء ما على الهاتف المحمول الخاص به. كان من الواضح أن المهمة التي ذهبوا إليها كانت شاقة، فقد كان من الواضح أنهما متعبين وأنهما نافذ الصبر. لقد بدأ روتين الحياة المقيد هذا يؤثر عليهما. أخذت أراقب الاثنان بدا لي أن كليف يتثائب أكثر من اللازم وأن جفنيه أخذا يثقلان ويغلقان من وقت لأخر بينما بدا على محيي الدين التعب وأخذ يهز رقبته من وقت لأخر وكانه لا يستطيع التركيز.

وقلت أنا: "هل يمكنني أن أذهب إلى الحمام."

ورد كليف وهو مستلق كما هو: "تبول وتبرز على نفسك في مكانك."

ورددت أنا: "لو تبولت وتبرزت على نفسي فسوف تصبح رائحة المكان كريهة للغاية وأنت أول من ستتضايقون منها."

وقال كليف: "إذهب به إلى الحمام يا محيي."

أخذني محيي الدين إلى نفس الحمام الصغير وطلبت من محيي الدين أن يفك قيودي ولكنه رفض، وقلت له: "أنا أتضايق حين أتبول وأتبرز أمام الناس. اسمح لي هذه المرة أن أدخل وحدي إلى الحمام وسأخرج بعد دقائق. ما الذي تخاف منه. ليس بالحمام حتى كوة صغيرة تُدخل الهواء إلى المكان وأنت لديك مسدس. أطلق الرصاص علي لو أحسست بالقلق من أفعالي، ولن يعاتبك أحد فهم سيقتلونني على أي حال."

وتركني محيي الدين أدخل إلى الحمام دون أن يتبعني داخله، وقال: "ادخل إلى الحمام. أمامك عشر دقائق فقط. بعد عشر دقائق، سأقتحكم الحمام وأخرجك بالحالة التي تكون عليها. لا ألاعيب معي."

وقلت له: "أنت معك مسدس، والمسدس يقتل. أي نوع من الألاعيب تنتظر مني أن أفعلها؟ أنا لست مجنونًا لأبحث عن الموت."

دخلت الحمام وسمعت صوت ولاعة ثم شممت رائحة دخان. كانت دكتورة سلوى تمنع التدخين داخل هذا البيت منعًا تامًا وكاملاً مع أنني رأيت الثلاثة رجال يدخنون أثناء الرحلة من وقت لأخر، وكنت واثقًا أنهم جميعًا من المدخنين. إذا فقد انتهز محيي الدين الفرصة ليأخذ نفسين من سيجارة في مكان لا تُشم فيه رائحة السجائر.

كانت فرصة. دخلت إلى الحمام وتبولت وتبرزت وأعدت ترتيب ملابسي وقمت بجذب يد سيفون الحمام وانتظرت قليلاً ولم أخرج. كنت قد قضيت بالحمام أكثر من ثلث الساعة، وخفت أن يشعر كليف بالقلق فيأتي لمساعدة محيي الدين، وألا يشعر محيي الدين بالقلق بسبب استمتاعه بالسجائر، ولكن قلقي كان بلا أساس، حيث آتاني صوت محيي الدين يقول: "اخرج حالاً وإلا فسأقتحم الحمام وأخرجك."

ووقفت وراء الباب وقلت بصوت مرتبك: "أرجوك. هل يمكن أن تدخل لتساعدني."

ضرب محيي الدين الباب بقدمه بقوه، ودفعني الباب بقوة فالتصقت بجدار الحمام خلف باب الحمام الضيق، وأحس محيي الدين بذلك وألقى محيي الدين بثقل جسمه على باب الحمام يدفعه محاولاً اقتحام الحمام. تمكن من حشر نفسه داخل فتحة الباب وهذا ما كنت آمل فيه حيث دخلت يده الممسكة بالمسدس أولاً من فتحة باب الحمام، وما إن لاحت أمامي يده الممسكة بالمسدس حتى ضغطت على الباب من الخلف بكل قوتي وثقلي لأحصر يديه في مكان ضيق ضمن مدخل الباب وضربت الباب بقوة وعندما رأيت يده الممسكة بالمسدس تهتز وتلتصق بالجدار، ضربت رسغه بقدمي داخل حذائي بأقصى ما استطعت من قوة فسقط منه المسدس على الأرض وألقيت بثقلي ضد الباب دافعًا بمحيي الدين إلى الخارج وأمسكت بالمسدس، وفتحت الباب بسرعة. كان محيي الدين قد انطلق يجري بعيدًا عني متجهًا نحو الصالة التي كنت أنا وضحى جالسين فيها كي يستغيث بزميله، ولكنه كان يجري صامتًا، وجريت وراء محيي الدين فأمسكت به عند مدخل الممر المؤدي إلى الحمام. دفعته إلى الجدار وألصقت المسدس بجبهته وقلت له: "ستموت قبل أن يسمعوا صوتك أو يحسوا بشيء." وقال محيي الدين وهو يبتلع ريقه بصعوبة: "هل تعرف ما سيفعلونه بك."

وأجبته مبتسمًا: "نعم. سأموت في جميع الأحوال. إما هنا أو عندما يسلمونني لمن يريدون قتلي، ولكني سأقتلك قبل أن أموت."

ودفعت محيي الدين أمامي إلى الداخل ومسدسي ملصق برأسه من الخلف ودخلت إلى الصالة حيث كانت تجلس ضحى وكليف. اتسعت عينا ضحى وهي ترانا نتقدم داخل الغرفة، وكليف مشغول بكتابه وقلت له: "كليف. قم من مكانك."

وعنت لفتة من كليف ناحيتي وهو مندهش للهجتي الآمرة وعندما رأني أسوق أمامي محيي الدين قفز منتفضًا وترك الكتاب يسقط على الأرض، ووقف مكانه، ودفعت أنا محيي الدين إلى الأمام وأشرت إليهما ليجلسا على الأريكة التي قام منها كليف، وأشرت إلى كليف بالمسدس نحو ضحى وقلت له: "فكها."

وتردد كليف للحظة فقلت له: "تذكر أن القتل سهل. كل ما علي أن أفعله هو أن أضغط الزناد، ولو قتلتكما كليكما فلن يجرؤ الثلاثة الأخرين في هذا البيت على فعل أي شيء. فكها واحذر أن تكون أنت أول من يموت. هذا هو المسدس الوحيد الموجود في البيت وهو في قبضتي أنا."

وتقدم كليف نحو ضحى ووقف أمامها وبدأ يفكها وتحركت أنا خلفه ووضعت المسدس على رأسه ووقفت بينه وبين محيي الدين والذي جلس على المقعد يحملق في بغضب دفين وأنا أنظر في وجهه على الرغم من أن يداي كانت تدفعان بالمسدس في ظهر رقبة كليف.

وسرعان ما تحررت ضحى وبدأت تدلك يديها وكتفيها وأشرت لكليف وناصر: "إركعا على ركبتيكما وظهركما لي."

وقلت لضحى: "اذهبي واحضري سكين من المطبخ."

وذهبت ضحى للمطبخ وأحضرت سكين متوسطة الحجم وأحضرت كذلك حبالاً من الليف، وقالت: "وجدت هذه الحبال في المطبخ فأحضرتها معي."

وسألتها: "ما هي الأخبار؟"

وردت: "يبدو أن المطبخ بعيد عن أماكن النوم في الداخل، وبالتالي لم أسمع أي صوت في المطبخ. قد يكونون مستيقظين أو نائمين ولكني لا أستطيع أن أخاطر بالذهاب إلى أماكن النوم لأعرف."

وقلت للرجلين: "من يلتفت منكما للخلف سيعرف ما سيحدث له."

ووضعت المسدس جانبًا وأشرت لضحى أن تقطع قيودي بسرعة، وبسرعة قامت ضحى بقطع قيودي، وأحسست من حركة محيي الدين أنه سيتحرك وقبل أن يفعل أي شيء ضربته بقدمي ضربة قوية في رأسه وسقط على جانبه ولكنه سرعان ما استعاد وعيه وقمت بضربة ثانية على رأسه بالمسدس بعدما اطمأننت أن المسدس مؤمن، وسقط في هذه المرة على جانبه دون أن يصدر أي حركة.

وقلت لكليف: "لو التفت فستلقى نفس مصيره."

وأعطيت المسدس لضحى والتي تناولته وكأنها محترفة وفتحت زر التأمين بسهولة محدثة دويًا شديدًا وعندما رأت نظرتي لها ابتسمت وقالت: "هي دورة تُعطى للنساء في معرض بيع أسلحة قريب من الجامعة في ألمانيا لتجنب حوادث الاعتداء على النساء."

وضحكت أنا. يبدو أن ضحى لديها خبرات لم تحدث عنها أحدًا في هذه الرحلة، وهي أصلاً قليلة الحديث عن نفسها، ويا لها من خبرات. ربما كان منظري أنا أكثر تهديدًا وأنا أمسك المسدس لأنني رجل ولكن من الواضح أنها هي الأكثر فعالية.

التفت كليف عندما صوت فتح تأمين المسدس، وأشارت له ضحى أن ينظر أمامه وهي توجه المسدس إلى ظهره.

وقلت أنا لكليف: "مدد على الأرض. نم على بطنك وضع يداك خلف ظهرك."

وجلست أنا على ركبتي وقمت بربط ذراعيه بقوة ثم فعلت نفس الشيء مع محيي الدين الذي كان كالجثة الهامدة ولكنه كان يزال يتنفس. كان من المهم أن يظل حيًا فأنا لست بقاتل.

وخلعت حذاء محيي الدين وأخرجت فردتي جوربه وحشرت أحد الجوربين في فم كليف والذي أغلق فمه بشدة نظرًا للرائحة الكريهة التي تنبعث من جورب محيي الدين، ولكني ضغطت على فكه وأرغمته على فتح فمه وحشرت بها الجورب.

وقلت لضحى: "لنتحرك الآن بهدوء نحو السيارة."

كانت مفاتيح السيارة موجودة على المنضدة أمامنا.

كانت الساعة حوالي السابعة مساءًا والجو مظلم في الخارج، وحملت أنا المسدس وأجلست ضحى أمام عجلة القيادة بعدما فتحت الباب وأغلقته بعناية شديدة حتى لا أحدث صوتًا عاليًا قد يسمعه الأخرون داخل الفيلا، وقلت لضحى: "سوف أتجه الآن إلى بوابة الفيلا الحديدية والتي ستحدث الكثير من الأصوات العالية. بمجرد أن أفتح بوابة الفيلا الحديدية، تحركي بالسيارة نحو البوابة ثم انطلقي على الطريق ولا تتوقفي لإركابي بالسيارة. أنا سأتعلق بها. لا تنتظري حتى أركب السيارة بشكل مناسب."

وهزت ضحى رأسها بأنها تفهم.

وضعت المسدس في جيبي، وبدأت بفتح البوابة الحديدية واصدرت البوابة صوت ضجيج فظيع، ومن مكاني عند البوابة سمعت صوت إدارة ضحى للمفتاح في الكونتاكت وصوت محرك السيارة، ورأيت من مكاني في الظلام خيال يتحرك نحو السيارة وأطلقت الرصاص نحو ذلك الخيال وسرعان ما تراجع الخيال إلى داخل الفيلا وتقدمت ضحى نحو البوابة وقفزت أنا على العتبة الموجودة بجانب باب السائق وتعلقت بنافذة السيارة بجانب ضحى وانطلقت ضحى بالسيارة بسرعة وأنا متعلق بالسيارة وقلت لها: "تحركي بسرعة. لا تقلقي أنا متعلق بالسيارة جيدًا. انطلقي."

وقالت: "أين أذهب."

وقلت لها: "غير مهم. انطلقي في أي مكان. نحن لا نعرف جغرافية المنطقة. فقط ابعدينا بقدر الإمكان عن الفيلا."

وطبعًا انتبهت وقتها أن المكان مظلم للغاية وأنني لا أرى شيئًا.

وقالت ضحى: "أنا لا أرى شيئًا أصلاً."

وقلت لها: "تحركي في نفس الخط الذي نسير فيه. لماذا لا تضيئين مصابيح السيارة يا ضحى.؟"

تمت اضاءة مصابيح السيارة، وبعد قليل توقفت ضحى وقالت: "تعالى أنت وقد السيارة. أنا لا أرى جيدًا في الليل وارتبك في هذه الحالة. مستوى البنزين ينخفض وأنا لا أدري أين أذهب. أخاف بسبب ضعف رؤيتي أن أسير في دوائر وأعود للفيلا مرة أخرى. إحساسي بالاتجاه سيء للغاية عادة، ومن السهل أن أتوه."

وتوقفت ضحى وأوقفت السيارة. ركبت في مقعد السائق وانطلقت بالسيارة على أقصى سرعة في الطريق الذي نحن عليه، وكان مستوى البنزين منخفضًا وكان معناها وقتها أن العصابة لابد أنها كانت مطمئنة لوجود مكان قريب يمكنهم التزود منه بالبنزين بسهولة، وفكرت وقتها أننا لو استمررنا في السير في طريق مستقيم فقد تخرج العصابة وراءنا بسيارة ووقتها سيجدوننا حتماً. لابد أن نتوقف قليلاً ونختبيء وسط سيارات أخرى أو نخرج من هذا الطريق إلى طريق سريع تتحرك به سيارات أخرى أو أن نركب وسيلة نقل ما، ربما حافلة ركاب نختفي بين ركابها أو الأفضل قطار وننزل في المحطة التالية، لكن لا يمكننا التحرك على نفس الطريق لفترة طويلة وإلا فسيجدوننا أو سينتهي البنزين وسنجد نفسنا في طريق فرعية بلا وسيلة مواصلات.

ودعوت الله في سري ألا تجدنا العصابة وأن يعمي الله أبصارهم عنا ويثبط جهودهم في العثور علينا. كانت عدة أيام قد مرت وأنا لم أقف

بين يدي الله للصلاة، وطبعًا لم أحاول أن أظهر تديني أمام العصابة، ولكني كنت أصلي وأنا جالس وحتى بدون وضوء ومنذ بداية وضعي في تلك الفيلا بدأت وقتها أردد في سري "سبحان الله وبحمده، سبحان الله وبحمده، سبحان الله وبحمده"حيث أن التسبيح ينجي المُسبِّح من المهالك برحمة من الله طبعًا.

وجدت منطقة سكنية وتركت الطريق العام وأخذت أتحرك داخلها وكلما وجدت الطريق يلف درت بالسيارة في ذلك الطريق. كنت أريد أن أضع هذه السيارة التي لا يبدو مظهرها مميزًا وسط سيارات أخرى من نفس الشكل أو سيارات كبيرة بحيث يمكنني أن أخفي هذه السيارة وسطها.

سمعت صوت آذان وقدرت أنها ولابد صلاة العشاء. وبعد دقيقة وجدت أمامي متجر بقالة، وأوقفت السيارة أمام متجر البقالة. انتبهت وقتها إلى أنني ألبس بيجامة وضحى كذلك تلبس ملابس النوم. كانت ضحى نائمة في المقعد إلى جواري. نزلت من السيارة وأدركت وقتها أن الأبواب الخلفية للسيارة مفتوحة وحين توجهت إلى الباب الخلفي للسيارة وجدت أن أحد الصناديق المصنوعة من الورق المقوى في وضع يؤهله للسقوط بعد ثوان.

كانت العديد من الصناديق قد سقطت على الطريق، مما يعطي للمتابعين دليلاً على أننا كنا نسلك الطريق السريع ولم ندخل إلى الأماكن على جانبي الطريق. الحقيقة أنني كنت منطلقًا بالسيارة بأسرع ما يمكن حتى أنني لم ألتفت إلى ما يوجد على جانبي الطريق. كانت هناك مجتمعات سكنية بعيدة قليلاً عن مسار الطريق إلى الداخل على جانبي الطريق ولكني لم أنتبه لها إلا عندما أتيت لهذا المجتمع الملاصق للطريق والموجودة مباشرة على مسار الطريق والذي دخلت فيه. آمل ألا تلاحظ العصابة الفارق بين هذه المجتمعات السكنية ومدى قربها وبعدها عن الطريق.

كنت طوال فترة الخطف أرتدي بيجامتي المتسخة ذات الجيب السري والذي كنت أحتفظ فيه بمالي كله الذي أخذته معي من القاهرة لأغراض الرحلة. لم ينتبه أحد للمال في الجيب السري للبيجامة، وحمدت الله عز وجل على نعمه، فنحن الآن لدينا مال ولدينا سيارة نتحرك بها ويمكننا أن نتحرك بشكل سريع بعيدًاعن العصابة.

أخرجت بعض المال من جيب البيجامة وغيرت ملابسي بملابس خروج مناسبة وأغلقت الباب الخلفي للسيارة بالرتاج الموجود في الخلف وذهبت إلى صاحب البقالة. اشتريت زجاجتي زبادي بالفواكه وبعض الشيبسي والبسكويت وسندوتشات جبن تم اعدادها بشكل منزلي كانت في الثلاجة الخاصة بالبقالة وعدة زجاجات مياه وفي النهاية بعدما حاسبت على المشتروات سألت الرجل من أين يأتي صوت الآذان وأجابني الرجل: "من المسجد طبعًا."

وطبعًا كان هذا جوابًا يستحق جائزة نوبل على أقل تقدير، وسألته: "وأين هذا المسجد؟"

ووصف لي الرجل مكان المسجد. عندما دخلت السيارة وصفقت الباب خلفي لأغلقه استيقظت ضحى وأخبرتها أن العشاء قد أذن وأعطيتها الأطعمة والماء التي اشتريتها من البقالة الصغيرة، وعبرت ضحى عن سعادتها الشديدة لحقيقة أن معنا مال وفرحت بأنني أستطعت احضار طعام وماء. قالت أننا قد بدأنا نستقر ونأمن على نفسينا ونظرت ضحى حولها ولاحظت المنازل والطريق الضيقة وسألتني: "أين نحن؟"

وأجبتها متفاخرًا بنفسي: "لقد تركت الطريق السريع منذ أكثر من نصف ساعة وتحركت داخل هذه المنطقة في لفات عديدة بالسيارة وهذا معناه أن أملهم في العثور علينا أصبح ضعيفًا، رغم أن أملنا في معرفة أين نحن كذلك قد أصبح بنفس الضعف. الآن يمكننا أن ندخل المسجد ونصلي."

ونظرت ضحى إلى قميص نومها وقالت: "لن أستطيع أن أتحرك هكذا، وقلت لها: "توجد بعض ملابسك في حقيبتك في الجزء الخلفي من السيارة. هذه المنطقة بها ضوء،" وأشرت إلى ضوء خارج منزل بجوارنا يضيء السيارة نسبيًا "ولكن حركة الناس في هذا المكان خفيفة فهي لا تعدو أن تكون قرية أو مدينة صغيرة. يمكنك أن تخرجي وتغيري ثيابك في الجزء الخلفي من السيارة."

الفصل الرابع عشرة: محاولة الهروب من العصابة

خرجت أنا وضحى من السيارة ودخلت هي إلى الجزء الخلفي للسيارة وأغلقت أنا الباب بالرتاج، وعندما خبطت ضحى الباب من الداخل، فتحت الباب وخرجت هي وقد غيرت ملابسها وأرتدت بعض ملابس الخروج ومعها حقيبة يدها الجينز الزرقاء وأعطيتها أنا المسدس فهي تستعمله أفضل مني كما أن حقيبتها يمكن أن تخفيه بشكل أفضل من اخفائي له في ملابسي.

قدت السيارة حتى المسجد الذي سمعت منه الآذان. كان مسجدًا صغيرًا ولكن به مصلى للسيدات لأن ضحى كانت تريد الصلاة. تأكدت من اغلاق السيارة بشكل كامل، وأعطيت ضحى المفتاح لعلها تنهي صلاتها قبلي وتعود للسيارة بسرعة. أما أنا فإذا أنهيت صلاتي قبلها وعدت للسيارة، فكان يمكنني أن أجلس على الرصيف بجانب السيارة، أما أن أجعل إمرأة وهي بالطبع دكتورة جامعة ألمانية تجلس على الرصيف فقد بدا هذا شيئًا غير مستساغ بالنسبة لي.

توجهت أنا إلى الجزء الخاص بالرجال من المسجد. كانت صلاة الجماعة قد انتهت، ولكني توضأت وصليت العشاء. كانت هذه هي أول صلاة أصليها بشكل حقيقي وبها قيام وركوع وسجود منذ عدة أيام، فقد كانت العصابة ترفض أن أصلي لأن من يراقبني سيضطر إلى فك قيودي ويتابعني أثناء الصلاة ثم يعيد ربط قيودي مرة أخرى، وهذا أمر وجدته العصابة متعبًا بالنسبة لها. كنت أصلي

بتحريك شفتي في اتجاه القبلة دون وضوء ولا ركوع ولا سجود. صليت بعدها صلاة الشكر حمدًا لله سبحانه وتعالى على هربي أنا وضحى من العصابة. لم يلتفت إلي أحد، ولكني أحسست أن خادم المسجد يستعجل خروجي من المسجد لأنه سيغلق المسجد بعدما أتركه.

عدت للسيارة فلم أجد ضحى. درت حول المسجد ووجدتها تقف مع امرأتين تحادثهما على باب المسجد عند مصلى السيدات.

ضحى تحكي

ذهبت إلى مكان وضوء السيدات داخل مصلى السيدات وتوضأت وغسلت ما يلي أماكن الوضوء من جسمي. وددت لو استحممت فبقائي كل تلك الفترة دون استحمام وأنا موجودة في الفيلا الخاصة بالعصابة جعلني أشعر أنني لست على ما يرام ولكن طبعًا لم يكن يوجد ماء ساخن في المسجد في تلك المنطقة وكنا وقتها في الشتاء ولهذا اكتفيت بالوضوء والاغتسال بأفضل ما استطعت.

خرجت من الحمام إلى مصلى السيدات وكانت توجد بالمصلى إمرأتان فقط وقد نظرتا لي بفضول، ولم أقلق، فأنا أعرف أن سكان المناطق الريفية والصغيرة عادة ما يكونون فضوليين عندما يرون شخصًا لا يعرفونه.

أنهيت صلاتي وسرعان ما وجدت أمامي يدًا فصافحتها، وقالت المرأة: "حرمًا إن شاء الله." ورددت عليها: "تقبل الله منا ومنك." وسالت المرأة فورًا وبلا مقدمات: "هل أنت قريبة أسرة ما هنا؟"

وأجبتها: "كلا. أنا من القاهرة. أنا وزوجي نركب سيارة خرجنا بها منذ فترة طويلة من بيت بعض أقاربنا ونحن متجهون إلى القاهرة وقد فكر زوجي في السفر على الطرق الداخلية وليس الطريق السريع لأنه كما قال أنها أكثر أمنًا وأخشى أننا تهنا وفقدنا طريقنا،

وعندما سمعنا صوت النداء للصلاة بحثنا عن المسجد وآتينا لصلاة الفريضة."

وقتها كنت أتمنى أن يكون معي التليفون المحمول الخاص بي لعل المرأة تريني مكان المسجد على الخريطة إن كانت تستطيع ذلك.

وشهقت المرأة بمبالغة وقالت: "ماذا! فقدتما طريقكما! الطريق السريع ملاصق لهذه المنطقة."

وقلت لها: "في الواقع، لقد تعب زوجي من القيادة وهو لا يرى جيدًا في الظلام ومعظم الطرق هنا غير مضاءة بشكل جيد، ونحن نعتزم ترك السيارة هنا على أي حال فقد فكرنا في البداية أننا سنستطيع الوصول بسهولة للقاهرة ولكننا الآن نفكر في ترك السيارة هنا ويستطيع السائق الذي يعمل لدينا أن يأتي ويأخذها لاحقًا."

هل يندهش المرء من نفسه؟ أدهشتني فعلاً قدرتي على الكذب بسرعة وبدون أي توقف أو تلعثم. سمعت كثيرًا أن من يكذب يكون هناك توقف في تنفسه أو لعثمة في حديثه أو تغير في صوته، ولكن يبدو أن لدي مهارات لم أكن أعرف أنني امتلكها. كذلك بدأت استشعر نظرة هذه المرأة لي. لا أظن أنها تصدقني، ولكنها تتظاهر أنها تصدقني لعلها تعرف المزيد عني، كذلك أدهشني أنني لا يهمني أن تصدقني، بل ما يهمني هو الحصول على معلومات منها.

وقالت المرأة: "لن تسافرا بالسيارة! إذن كيف ستسافران؟"

وأجبتها: "هذا هو السؤال الذي نبحث عن اجابة له. نحن نبحث عن وسيلة مواصلات تعيدنا إلى القاهرة. لو أنك تعرفين تاكسيًا يحملنا إلى القاهرة أو أية وسيلة مواصلات أخرى حتى لو كانت وسيلة المواصلات هذه ستأتي في الصباح مثلاً فأرجو أن تخبريني بها."

وسألتني المرأة وقد بدا فضولها جليًا: "وأين ستقضيان الليلة؟"

وأجبتها: "في السيارة. يمكننا أن نبقى في السيارة حتى الصباح. لا أظن أنه يوجد فندق أو بنسيون في مثل هذه المنطقة. طبعًا يكون من الأفضل كثيرًا أن نجد وسيلة مواصلات تحملنا الآن إلى القاهرة."

وانضمت لنا المرأة الثانية والتي كانت تستمع لنا بدورها وقالت: "الحاج حفني هو عين أعيان المنطقة هنا، ولديه غرفة للضيافة يمكن أن يستضيفكما فيها الليلة والصباح رباح."

وأجبتها: "زوجي لا يحب أن يستضيفنا أحد، وأنا أعرفه. سوف يقرر البقاء بالسيارة في جميع الأحوال إذا لم تتوافر لنا وسيلة مواصلات في الليل."

وأجابت المرأة: "توجد السكة الحديد. هناك قطارات تخرج في مواعيد مختلفة من محطة القطارات القريبة من هنا."

وأجبتها: "للأسف. أحد أقارب زوجي توفي في حادث قطار، ومن يومها وزوجي يتشاءم من ركوب القطارات وهو لا يركبها أبدًا لأي سبب مهما كان."

وقالت المرأة الأولى والتي صافحتني من قبل: "الحقيقة أن المنطقة هنا ريفية كما ترين ولا يوجد أحد يمكنه أن ينقلكما في هذه الساعة، ولكن في الغد في مكان قريب يوجد سوق يُقام غدًا وهو يُقام في يوم الجمعة من كل أسبوع، ويحضر إليه الناس من كل حدب وصوب، والناس عادة تأتي بسيارات مختلفة، سيارات نقل كبيرة، وسيارات نقل صغيرة وسيارات تاكسي تحمل بضاعتها وكذلك تتوقف بالسوق سيارات أجرة من مختلف الأحجام ويمكنكما أن تجدا سائق تاكسي أو سائق ميكروباس أو حتى سائق سيارة خاصة يذهب بكما إلى القاهرة."

وشكرت تلك المرأة للغاية وخرجت من المسجد مع المرأتين وعدت إلى السيارة حيث كان ماجد ينتظرني وقصصت عليه ما سمعته.

جلست في السيارة أتحدث مع ماجد وكانت وجهة نظره هي نفس وجهة نظري. لو تحركت العصابة وحصلت على سيارة، ولابد أنهم قد استطاعوا سرقة سيارة بحلول هذا الوقت، إن لم يحصلوا على سيارة بوسائل قانونية، فسوف تجري العصابة على الطريق السريع جيئة وذهابًا طوال الليل وبحلول فترة الظهر فسوف يكونون متعبين تمامًا. لو ذهبوا إلى السكة الحديد فسوف يفقدون الأمل في متابعتنا بحلول الظهر، وحتى إذا أتاهم أخرون يعملون لدى العصابة فسوف يمسحون في الأساس الطرق السريعة والقطارات حيث أنه من الصعب زيارة جميع المجتمعات الصغيرة وجميع الشوارع المتفرعة من الطريق السريعة وتفتيشها، وبالتالي فجلوسنا في السيارة طوال الليل في هذا المكان المنزوي هو أفضل اختيار بالنسبة لنا.

قررت أنا وماجد أن نبقى داخل السيارة حتى الصباح في نفس المنطقة حول المسجد، حيث من الواضح أن هذا هو مركز القرية أو المدينة الصغيرة التي كنا فيها. كان ماجد قد ركن السيارة تحت شجرة كبيرة وهذا جعل ألوان السيارة غير ظاهرة بوضوح نوعًا ما وكانت هناك الكثير من السيارات الأخرى المتنوعة في نفس المكان بجانب المسجد، وطبعًا من الأفضل اخفاء السيارة وسط سيارات أخرى. دفع ماجد بعض المال لخادم المسجد لإبقاء حمامات المسجد مفتوحة ليلاً ولإبقاء مصلى السيدات مفتوحًا بحيث يمكنني أنا وهو دخول الحمام هناك وقتما نشاء.

حكى ماجد لخادم المسجد حكاية مشابهة للحكاية التي حكيتها للمرأتين وسأله عن وسيلة مواصلات، وقال خادم المسجد أنه لا يعرف، ولهذا قال ماجد له أننا سنبقى سهرانين في السيارة بجانب المسجد طوال الليل، ويبدو أن المبلغ الذي أعطاه ماجد لخادم

المسجد كان جيدًا وأن خادم المسجد نفسه كان رجلاً كريمًا شهمًا حيث أتانا خادم المسجد بعدها بفترة بكوبين من الشاي.

طبعًا كان هذا ألذ كوب من الشاي شربته في حياتي، فبالإضافة إلى أن من أعدته فعلاً تعرف كيف تعد الشاي، حيث أشار خادم المسجد إلى أن من أعدت الشاي هي "أم العيال" وكان من الواضح أنه يقيم مع أسرته في غرفتين قريبتين من المسجد، فقد كان هذا أول كوب من الشاي أو مشروب منبه أتناوله منذ خطفتنا العصابة، وطبعًا كنت أنا مدمنة كافيين كعادة كل الموظفين أو الذين يعملون ساعات منتظمة. تناولت أنا وماجد الشاي مع سندوتشات الجبن التي اشتراها من البقالة. أعطيت عددًا من السندوتشات وأكياس الشيبيسي التي أحضرها ماجد من تلك البقالة لخادم المسجد كي يعطيها لعائلته.

الغريب أنني لم أعد أشعر بالخوف أو الترقب، بل كنت أشعر بالهدوء الشديد وحتى الاستمتاع بالوقت. كنت أحس أن الخطر قد زال ومهما كان ما سنعانيه في الغد في الانتقالات أو نحوها فسوف تكون مرحلة مؤقتة وهي كذلك تغيير يمكن للمرء أن يستمتع به. لو قال لي أحد وأنا في ألمانيا أنني سأشعر بالأمن والسعادة بهذا الشكل وأنا جالسة في سيارة طوال الليل بجوار حمام مسجد لما صدقته، ولكن الحمد لله على نعمه علينا ونجاتنا من العصابة.

جلست أنا وماجد نتحدث وسألني ماجد: "أليس لديك أية فكرة عن لماذا أرادت العصابة أن تخطفك؟"

وأجبته: "كلا. ليس لدي أية فكرة؟"

وقال ماجد: "اعصري ذهنك. هذا قد يكون مهمًا جدًا. بالمناسبة ما هي هذه الزيارة التي كان فتحي يتحدث عن أن الشركة سوف تنظمها لك؟"

وأجبته: "إنها زيارة للسد العالي. بعض بوابات السد تحتاج إلى إصلاح ودعم وكنت أنا سأقوم بأخذ عينات من البوابات لمعرفة مدى تدهور حالتها وما إذا كانت ستحتاج لاستعمال معدن كنت أنا أحد مطوريه مع شركة لصناعة المعادن في ألمانيا."

وارتجف صوت ماجد وهو يقول: "كنت ماذا! لقد حسبت أنك استاذة جامعية."

وقلت له: "نعم. أنا الآن استاذة جامعية أقوم بتدريس الفيزياء، ولكن تخصصي الدقيق هو هندسة المعادن وقد كنت قبل عامين قبل أن ألتحق بالعمل بالجامعة أعمل مع شركة تعمل في هندسة المعادن وتوصلت الشركة إلى سبيكة مصنوعة أساسًا من الحديد ولكنه تم تطويرها بحيث تصبح أكثر قوة وأقل وزنًا وتتحمل درجات حرارة أعلى من الحديد."

وسألني ماجد: "ما هي هذه الشركة الألمانية التي تعمل في هندسة المعادن؟"

وأجبته: "إنها شركة ألمانية عملاقة تمتلك محاجر خاصة بها تستخرج منها المعادن وهذه الشركة تعمل في كل شيء تقريبًا، فقد كنا نصنع أدوات لمختلف المهن والأجزاء عالية التحمل لمختلف أنواع الآلات والماكينات وكنا نصنع مواد قطع الغيار وألواح الحديد بتركيبات مختلفة ونسب مختلفة من أجل صناعة السيارات وصناعات التبريد والتكييف، كذلك كنا نصنع دعامات الجسور والسدود بكل أنواعها."

وسألني ماجد: "وماذا كان عملك في تلك الشركة؟"

وأجبته: "عملي كان في قسم الأبحاث والتطوير بالشركة. كنت أسعى إلى تحسين مواصفات المعدن المستخدم كي يناسب بشكل أفضل التطبيق المطلوب لذلك المعدن. عملي الأساسي هو عمل

الحدادين اللذين كانوا يمارسونه منذ فجر التاريخ. الحدادين كانوا يمزجون بين المعادن بنسب معينة كي تخرج سبيكة أفضل لتحقيق استخدام ما وهذا يحدث الآن طبعًا عن طريق معالجة المعدن بالمواد الكيميائية والأشعة وتطبيق برامج قياس ومحاكاة بالكمبيوتر كلما أمكن ذلك. في أساسها، عملية التطوير هذه ليست معقدة ولكننا كنا نعتمد في تلك الشركة الألمانية على التطوير طوال الوقت."

وقال ماجد: "ومنذ سنتين قمتم بتطوير معدن أفضل من الحديد."

وأجبته وأنا أصحح كلامه حيث أنه بدا وكأنه لا يفهم ما كنت أفعله بالضبط: "كلا. ليس أفضل من الحديد. إنه أفضل للتطبيقات الخفيفة، فسبيكة المعدن تحتوي أساسًا على الحديد ولكن السبيكة أخف وزنًا وأسهل حركة ومقاومة للحرارة بشكل أكبر من الحديد، وعندما تُباع الأشياء المصنوعة من هذه السبيكة في السوق بشكل تجاري بعد فترة ستكون أرخص من الحديد ولكن في البداية ستكون أغلى ثمنًا بسبب رسوم براءة الاختراع."

وسأل ماجد: "وفيم تستعمل هذه المادة الجديدة؟"

وأجبته أنا مبتسمة وقد سرني فضوله لمعرفة تفاصيل عملي: "في أي شيء يُستعمل فيه الحديد. التطبيقات التي لا تستعمل فيها سبيكة الحديد التي طورناها هي فقط التطبيقات التي تحتاج لأن يكون الحديد أثقل وزنًا مثل أعمال الأساسات أو مراسي المراكب التي يتم تنزيلها لتثبيت المركب في البحر وتتطلب أن يكون المعدن ثقيلاً نسبيًا وكذلك التطبيقات التي تستعمل المعدن بشكل أساسي ليكون موصل جيد للحرارة كما في الأفران في صناعات الأسمنت أو الحديد الصلب وغيرها. وغير تلك التطبيقات التي ذكرتها الآن، تصلح سبيكة المعدن التي طورناها لجميع الأغراض التي يستعمل فيها الحديد."

وسألني: "وهلي يُستخدم ذلك المعدن في صناعات السلاح كذلك؟"

وأدهشني السؤال وأجبته: "طبعًا هذا قد يكون أحد التطبيقات التي قد يُستعمل فيها في المستقبل ولكن المعدن أساسًا تم تطويره للاستخدامات السلمية."

وقال ماجد: "طبعًا. كلما أنبت الزمان قناة ركب الانسان في القناة سنانًا. الانسان يستخدم كل شيء للحرب. هل تركيبة هذا المعدن ضمن نطاق المعرفة البشرية العامة؟"

وأجبته متساءلة بسبب أنني لم أظن أنه يفهم هذه الأشياء: "نطاق المعرفة البشرية العامة!!"

أجابني: "نعم. نطاق المعرفة البشرية العامة. هل يمكن للجميع الحصول على التركيبة الآن؟ هل يعرف التركيبة جميع المتخصصين أم هي سر صناعي؟"

وطبعًا أدهشني السؤال وإن كان هناك ألم خفيف بدأ يطرق رأسي وقد بدأت أفهم ما يرمي إليه، وقلت له: "إنه حاليًا سر، ولكنه سر يعرفه الكثيرون، فعدد العاملين في هذا البحث يُقدر بالعشرات وكذلك النتائج متاحة للعديد من العلماء المتصلين بالشركة واللذين يقومون بالقياسات والمراجعة والاختبار للنتائج، كذلك فإن بعض الشركات تستخدمه في عمليات التشغيل التجريبي له للتعرف على عيوب المعدن الجديد، ولكن تفاصيله العلمية الدقيقة سر لفترة مؤقتة قبل أن يتم تسجيله باسم الشركة كبراءة اختراع."

وقال ماجد: "وماذا يحدث لو أن شركة ما لا تريد دفع ثمن براءة الاختراع التي لابد وأنها تقدر بالملايين؟ هل تقوم هذه الشركة مثلاً باختطاف إحدى المشاركات في عملية تطوير المعدن لمعرفة تركيب السبيكة الجديدة؟"

وأجبته فورًا: "كلا طبعًا. إنها لا تفعل ذلك أبدًا. من سمع عن اختطاف شخص من أجل تجنب دفع رسوم براءة اختراع؟ إنه شيء يحدث فقط في الروايات الفاشلة."

وضحك ماجد وقال: "طبعًا لا يمكن للعلماء المحترمين خطف عالمة ألمانية في مصر لتجنب دفع عدة ملايين من الدولارات."

وخفض ماجد صوته وقال بجدية: "أفيقي يا ضحى. الشركات العالمية الكبرى الآن تتعاون مع مخابرات بلادها وتقوم بارتكاب جرائم خطف بل واعدام للآلاف فقط لإعطاء انطباع سيء عن شخص ما أو دين ما. ليسوا قططًا وديعة. إنهم تماسيح شرسة، وهم متورطون بعنف في السياسة. رشوة الأغنياء الكبار المسيطرين على اقتصاد العالم للسياسيين هي أصل كل الشرور في العالم الآن وهم لا يتورعون عن شيء."

طبعًا كنت أنا واثقة أن الأمر لا يتعلق بالمعدن الذي كنت أطوره. من سمع عن شخص يُخطف من أجل سبيكة معدن. أنا لم أسمع من قبل عن شخص خُطف لهذا السبب.

كان ماجد يبدو وكأنه قد وجد حلاً لمشكلة عويصة وقال: "أنت تتحدثين عن معدن يتحمل درجات حرارة عالية للغاية. أنا قرأت مرة عن أن هناك ذخيرة لا يمكن استعمالها لأنه لم يوجد بعد السلاح الذي يتحمل درجات الحرارة الناشئة عن تلك الذخيرة أو عن اطلاقها. المعدن المصنوع منه السلاح ينصهر قبل أن يطلق مثل تلك الذخيرة. تخيلي لو أنكم ابتكرتم هذا المعدن. كم مسدس وكم مدفع وكم قنبلة تنتج في العالم كل عام؟ وكل منها يمكن جعله أكثر تدميرًا باستخدام معدنكم هذا. أنا لا أتحدث هنا عن مليار دولار واحد فقط أو مليار دولار ومعه مليار دولار أخر يؤنسه. أنا أتحدث عن مليارات بلا عدد يمكن أن تكون ثمن هذا المعدن. ألا يمكن أن يكون هذا سببًا لخطفك؟"

وطبعًا أدهشني حديثه. أنا لم أفكر قط في عملي بهذه الطريقة. لقد كنت أعمل لتحسين حياة البشر وليس للإضرار بهم. كان ماجد يتحدث وكأن كل العمل الذي عملت به في الشركة لتحسين مواصفات المعدن ليناسب تطبيقات مثل تحسين قوة الحديد مع تحقيق تخفيف في وزنه ليمكن بكمية أقل من الحديد دعم الكباري والجسور والسدود على أفضل وجه هو عمل شرير طبقًا لحديث ماجد ذاك.

وقلت لماجد مدافعة عن نفسي: "أنا لم أعمل قط في معدن ليناسب صناعة الأسلحة."

ونظر لي ماجد وقال: "ولكن كما أخمن أنا المعدن الذي أنتجته شركتك قد يكون مطلوبًا في حروب تجري الآن أو لإطلاق ذخيرة معينة لم يمكن اطلاقها من قبل. جميع دول العالم التي تصنع الأسلحة تقوم الآن بتجريب اسلحتها في حروب حالية معظمها يحدث في العالم العربي، وربما وجدوا أنهم يحتاجون لذلك المعدن الآن لاستكمال تجربته قبل أن تنتهي الحرب[1]. الجميع قد سأموا من الحرب وقد تتوقف عما قريب قبل أن يتم تجريب المعدن. أين سيمكنهم تجريب هذا المعدن لو توقفت الحرب بين العرب؟"

طبعًا لم أكن أنا أريد أن أسمع هذا الكلام. أنا لم أطور معدنًا ليستعمل في حرب. ولهذا قلت له: "لا تتحدث هكذا. توقف عن الحديث في هذا الموضوع من فضلك. أنا لم أسمع قط عن شخص خُطف للحصول على مواصفات معدن جديد."

قال ماجد: "عادة ما يقومون بالرشوة، ولابد دائمًا أن يكون هناك شخص مُشارك في البحث يأخذ الرشوة ويعطيهم ما يريدون ولكن في هذه المرة، ولحظك العاثر، لم يجدوا شخصًا يرشونه."

[1] تم التقدم بسيناريو هذه الرواية للاشتراك في مسابقات للرواية والسيناريو في عام ٢٠١١. ما كتبته ينطبق على الفترة قبل حرب أوكرانيا.

وأكمل ماجد يقول: "طبعًا لن يكون باستطاعتهم خطف العلماء الموجودين داخل ألمانيا ولكن استدراج امرأة مصرية لكي تأتي إلى بلادها واستدراجها حتى تصل أسوان قرب الحدود حيث يضعف تركيز الشرطة ورجال الأمن ويمكنها نقلها إلى أي مكان بعد ذلك هو شيء بسيط وسهل ويمكن حتى لتلك العصابة الضعيفة التي خطفتنا أن تفعله بكل هدوء وبدون أي تعب وبقصة تستغل وطنيتها، يتم استدراج إمرأة تعرف تركيبة المعدن إلى مصر ونقلها إلى الحدود وهناك ببساطة بعيدًا عن أهلها وبعيدًا عن سلطات تنفيذ القانون يتم خطفها دون أن يشعر بذلك أحد. تلك كانت الخطة الأصلية. أنا لا أفهم عم تدافعين. هذا ما حدث."

وتحول الصداع إلى مطارق قوية تعصف برأسي. أغلقت عيني وقلت له: "ما هذا الصداع؟ الصداع!!"

وقال لي ماجد ضاحكًا: "هذه سهلة. أنا لدي بعض الريفو في حقيبة سفري في الخلف. لا أظنهم قد سرقوه فهو من الأشياء الثمينة التي لا تُسرق. سأحضر لك شريطًا من الريفو من الخلف."

وخرج ماجد ليحضر شريط ريفو، وعندما عاد قلت له: "هل يمكنك احضار كوب شاي أخر من خادم المسجد."

وخرج ماجد وعاد لي بصينية عليها كوبان من الشاي واحد منهما لي.

ابتلعت الأسبرين بالماء وبدأت ارتشف الشاي وأنا مغمضة العينين. ما حدث لي في مصر في هذه الأيام لم يكن ليخطر على بالي من قبل. يبدو أن المهدئات التي حقنوني بها في الأيام السابقة قد أتلفت أعصابي حتى أنني لم أتحمل خبرًا سيئًا بسيطًا مثل أن المعدن الذي كنت أطوره سيستخدم بالتأكيد في صناعة السلاح، وهذا شيء لم أفكر فيه من قبل البتة. لقد كنت غارقة تمامًا في التفاصيل حتى أنني لم أر الصورة الكبيرة، أو كما يقولون كنت أبحث في دقائق شيء

ممتد ما وكنت أتحسسه على إمتداده محاولة إدراك ماهيته ولم أدرك أنه خرطوم فيل لأنني لم أنظر للصورة من بعيد.

وسألني ماجد بعدما عاد وجلس وهو يرشف كوب الشاي الثاني الخاص به: "من حدثك عن هذا الأمر الخاص بالسد العالي؟"

كما لو كان ماجد مصرًا على أن ينكأ كل جرح عانيت منه في حياتي، وفكرت في أن أرفض أن أخبره ولكني لم أجد سببًا يحول بيني وبين اخباره، وقلت له: "أحد زملائي من أصل مصري مثلي واسمه دكتور فؤاد. كان يعمل في شركتنا ثم تركها وعمل استاذًا في الجامعة ولكنها لحسن الحظ ليست الجامعة التي أعمل فيها."

وسألني ماجد: "ألم يكن هذا الزميل فؤاد يعرف تركيبة المعدن."

وأجبته: "كلا. فؤاد ترك الشركة قبل أن نصل للتركيبة النهائية بفترة طويلة. هو شارك في مجهودات التطوير الأولى ولكن بعد ذلك ترك العمل بالشركة."

وسألني ماجد: "كان قريبًا منك لدرجة أنك لم تشتبهي أنه يخدعك."

وهززت رأسي وأغلقت عيناي من جديد فقد كان الصداع مستمرًا وقلت له: "على العكس تمامًا. أنا كنت أعلم أن دكتور فؤاد هذا مخادع تمامًا وأنه يكاد يعبد المال وأن ظروف تركه للشركة كانت تصاحبها الكثير من الشائعات عن مخالفات ارتكبها وإفشاء لأسرار الشركة وإن كانت الشركة لأسباب خاصة بها لم تقدم تلك المخالفات للسلطات القانونية في ألمانيا واكتفت بطرده."

وقال ماجد وهو يحلل دوافعي، وطبعًا أنا لم أكن أريده أن يحلل أي شيء، ولكنه من النوع الفضولي الذي يتدخل فيما لا يعنيه وهو شخص بسيط يُصر على أن يخبرك بكل ما يفكر فيه: "أردت أن تشاركي في خدمة كبيرة لبلدك لأنك حين ذهبت إلى ألمانيا وساعدت في تطوير ذلك المعدن أحسست أنك بشكل ما تتخلين عن مسئولياتك

تجاه بلدك الأم مصر، وتعطين لبلد أخرى ما كان يجب أن يكون لمصر."

وهززت رأسي بالايجاب وأنا مغمضة العينين من شدة الألم في رأسي، وقلت له: "أنا أعلم أنني عمليًا لم أكن لأستطيع أن أحقق في مصر ما حققته في ألمانيا من تطور علمي، ولكني بشكل ما ومع علمي بجميع المعوقات في مصر كثيرًا ما شعرت أنني عندما ذهبت إلى ألمانيا هربت من المساهمة في تطوير مصر، ولهذا قفزت على أول فرصة أتيحت لي كما ظننت كي أستغل علمي وأخدم بلدي الأم خدمة كبيرة، كما فكرت أنا."

وقال ماجد: "نعم. لقد قرأتك من أول لحظة شاهدتك فيها. أنت الشخصية الملتزمة حية الضمير."

ونظرت له، وأومأ هو برأسه مؤكدا وقال: "وطبعًا هذه الشخصية من الممكن جدًا استغلال مثاليتها والايحاء لها بأنها تسير على الطريق الصحيح بينما هي بالفعل تسير على شفير الكارثة."

فكرت فيما قاله وأومأت برأسي. نعم. لقد قرأت الكثير من القصص الخيالية واستغرقت في الرومانسية وما يُسمى المباديء وحين فتحت عيني وجدت أن الدنيا مختلفة تمامًا عن كل ما صدقته من قبل عنها. لقد أسأت قراءة الناس وفهمهم لفترات طويلة، وكلما استرجعت موقفًا مع بعض الناس في رأسي، تساءلت أي حمقاء كنت وأي حمقاء أنا. عندما كنت صغيرة للغاية قرأت ترجمة مختصرة لرواية "دون كيشوت" أو "دون كيخوتيه" الرجل الذي ظن أن مراوح طواحين الهواء هي مردة محاربة جاءت لقتاله وأن من واجبه كفارس أن يحاربها، وطبعًا كان وقتها يُعاني من خرف الشيخوخة، وعندما كبرت كثيرًا ما أحسست أنني هو. أقوم بأشياء كثيرة لأسباب مثالية ثم يتكشف لي أن الأسباب التي ساقوها لي

كانت كلها مزيفة وأنني تم استدراجي لفعل أشياء تخدم أسبابًا أخرى مختلفة تمامًا ومعظمها وضيعة، ويبدو وكأنني لن أتعلم أبدًا.

وقال ماجد: "ولكنك كنت ستقومين بافشاء أسرار التركيبة لمصر. أليس كذلك؟"

وأجبته: "حتى هذه فكر فيها فؤاد. لقد حدثني أنه من الممكن احداث اتفاق بين الشركة الألمانية التي كنت أعمل فيها وبين السلطات المصرية على استخدام المعدن في السد العالي وأن تدفع مصر ثمنه أو يتم تجربة المعدن باستخدامه في السد، وأن تتفق مصر على استخدام المعدن مقابل اختباره."

وقال ماجد: "إذن كنت واثقة من فعالية المعدن."

وأجبته: "طبعًا كنت أحد من أجرى الاختبارات النهائية على المعدن وكنت واثقة من قوته."

وقال ماجد: "وماذا قال لك فؤاد هذا؟"

وأجبته: "أقنعني فؤاد أن أتي إلى مصر في البداية كي أفحص بوابات السد وأقوم بإجراء اختبارات على المعدن للتأكد من أن المعدن الذي طورناه في الشركة سيناسب بوابات السد العالي."

وسألني ماجد: "ألم تحسي وقتها أنك تحتاجين للاتصال بالسلطات المصرية؟"

وأجبته: "أوصاني فؤاد بالسرية التامة وقال أن الكثير من الأعداء يتربصون بمصر وأن أي تسريب لحقيقة أن السد العالي به مشكلة ما قد يدفع جماعات أو دول معادية لاستهدافه بأية طريقة كانت وقد ينتج عن ذلك كارثة، وبالتالي لا يجب أن أتحدث مع أي أحد حتى إن كان من رجال الشرطة أو من سلطات إنفاذ القانون العادية، فموضوع المشكلات في السد العالي هذا لن يعرف به إلا عددًا قليلاً

من الناس يُعد على أصابع اليد الواحدة وأخبرني أنني يجب أن أتوجه لشركة السياحة التي سافرنا معها إلى أسوان وألا أتحدث إلا مع فتحي، وأخبرني أن فتحي هذا يعمل مع رجال المخابرات كدليل وأنه وحده على علم بالموضوع وأنه سيقوم بإجراء جميع الترتيبات بشأن زيارتي للسد العالي مع جهات عالية جدًا في المخابرات، وأنني لا يجب تحت أي ظرف أن أتحدث مع أي أحد بشأن ذلك الأمر. يجب أن أتحدث فقط مع فتحي."

وقهقه ماجد وهو يقول: "يا ضحى هذا الأمر سيكون مصدرًا للعديد من النكات والقفشات ومصدرًا للكثير من المتعة لو تسرب إلى وسائل التواصل الاجتماعي. لا أظن أن أحدًا حتى من الاطفال يمكنه أن يصدق هذه القصة."

وضحكت أنا بدوري. حقًا. كيف أمكنني تصديق ذلك؟

وقال ماجد: "يبدو أن فؤاد هذا رجل فاضل حقًا."

وأومأت برأسي موافقة

وقال ماجد: "وهو يعرفك جيدًا."

وأجبته: "هو رجل فاضل أكثر مما تتخيل. في بداية وجودي في الشركة في ألمانيا، تعلقت به فقد كان المصري الوحيد الموجود هناك، وكنت أحس بالوحدة الشديدة فلم أكن قد تكيفت مع الحياة في ألمانيا بعد. كنت أشعر في البداية أنني أغرق وأنني لا سيطرة لي على أي جزء من حياتي. كان كل شيء جديدًا علي، وتقرب مني فؤاد وهمس لي أنه يحبني وأنه يريد أن يتزوجني. خرجت معه عدة مرات وذهبنا إلى مطاعم وكازينوهات وغيرها واستمرت علاقتنا قريبة لفترة، وبعدها أحسست أنه يتهرب مني. كان في أيام الأجازات يخبرني أنه مشغول بمشروع ما مهم للغاية في مدينة ألمانية بعيدة، وفي أحد تلك الأيام كان الجو دافئًا نوعًا، وهذا نادر في ألمانيا، على

الرغم من أن كلمة دافيء بالنسبة لنا هنا مختلفة تمامًا عن كلمة دافيء بالنسبة للألمان في الشتاء. المهم، كان الجو دافئًا وكان فؤاد مسافرًا، كما أخبرني، وقررت أنا أن استعيد ذكرياتي معه بزيارة المطعم الذي كنت معتادة على الذهاب مع فؤاد إليه. كان مطعمًا يقدم وجبات لذيذة للغاية وإن كان بعيدًا عن بيتي إلى حد ما، وحين ذهبت وجدت فؤاد جالسًا في المطعم مع زميلة أخرى التحقت بالعمل حديثًا في شركتنا وقتها."

وقال ماجد: "نعم. إنها القصة المعتادة. المطربة أصالة لديها أغنية "سيقول لك أنك الأولى وأيضًا الأخيرة."

وقلت له وأنا أشعر بالحرج لأنني حكيت له كل ذلك بينما أنا لا أعرفه حقيقة: "حقًا. أهناك أغنية كهذه؟ لابد أن أسمعها."

وقال ماجد بتفهم: "إنه شيء معتاد، وأنا لا أرى فيه أي شيء يسيء إليك، فحينما يدخل إلينا الغزو من ناحية مشاعرنا، يسهل اصطيادنا. اكملي حكايتك."

ونظرت له وقال: "مادمنا جالسين في السيارة حتى الصباح، فلنتحدث عن ماضينا للتسلية والتعارف بشكل أفضل."

ووافقته: "نعم. في ذلك اليوم لم أصارح فؤاد أنني رأيته وكنت حزينة للغاية وبعدما بكيت طوال الإجازة جلست أفكر في أن هذه لابد أنها نزوة وأن فؤاد مصري مثلي، وبالطبع لن يرتبط بأخرى غير مصرية، وبقيت أعاني لفترة، ومرة شاهدتني زميلة ألمانية وأنا أبكي وحين سألتني عما يضايقني، أخبرتها بالأمر، ووقتها ضحكت بسخرية وقالت: "أنا لا أصدق أنك حتى الآن لا تعلمين." وعندما سألتها عن الأمر، أخبرتني أن فؤاد يفعل هذا مع جميع من تلتحقن حديثًا بالشركة. ما لم تكن المرأة لديها صديق بالفعل، فإن أية امرأة تلتحق بالعمل بشركتنا تجد فؤاد يتقرب منها بشكل آلي، وقد أصبحت هذه نادرة تروى للتسلية بين الزملاء هناك، كما أنه أفسد علاقة

فؤاد بالنساء العاملات في الشركة، وإن كان فؤاد يتغامز مع بعض الرجال هناك ويخبرهم عن علاقاته النسائية، ولكن كل ما كان يهم فؤاد هو ألا تعرف إدارة الشركة بما يفعله. وفي النهاية تم طرد فؤاد من الشركة لا بسبب علاقاته الاجتماعية المتوترة بل بسبب أنه كانت هناك شائعات، وربما توصلت إدارة الشركة إلى أنها في الواقع حقائق، بأنه يُسرب أسرار الشركة لشركات أخرى منافسة."

وقال ماجد وهو يضحك: "هذا النوع منتشر نسبيًا للأسف، ولكن عادة الأيقاع بالفتيات هذه يمارسها الفتيان المراهقون وصغار السن، وفي العادة كذلك يفقد الفتيان الصغار رغبتهم في الإيقاع بالفتيات بهذه الطريقة في سن صغيرة نسبيًا، ولا يستمر هذا الأمر إلا عندما يكون الانسان مهزوزًا نفسيًا ولديه عقدة ما تجبره على أن يحصل على إعجاب كل انثى يعرفها، وهذا النموذج كثيرًا ما استخدم كبطل في العديد من الروايات مثل روايات جيمس بوند حيث يكون البطل دائمًا محط اعجاب الفتيات. حين كنت مراهقًا كنت أقرأها ثم أصبحت أجدها صبيانية وسخيفة."

الفصل الخامس عشرة: من هو ماجد سليم؟

وقررت أن أغير الحديث حتى لا يكون عني فقط ولهذا قلت لماجد: "لقد لاحظت أنني أسهب في الحديث عن حياتي بينما أنت لم تذكر أي شيء حتى الآن عن حياتك."

ورد ماجد بسماجة: "أنت من خُطفت ونحن نناقش أسباب الخطف."

ورددت بشيء من اظهار العشم: "أي أنك لا تريد أن تحدثني عن حياتك، ..."

وتحول ماجد فجأة إلى الجد وقال: "في الواقع ليس هناك الكثير لأتحدث عنه. أعني أنه لا توجد أحداث كبيرة مميزة في حياتي، فأنا

لم أسافر ولم أغترب ولم أحقق انجازات كبيرة في حياتي وفي الواقع حاليًا لا يوجد شيء أسعى إليه إلا أن أستمتع بوقتي وأعيش حياة عادية نوعًا ما."

وعندما رآني ماجد أنظر إليه، قال: "حسنًا اسمي ماجد علي سليم وحياتي كانت عادية. لم أكن مجتهدًا للغاية أيام الدراسة ولهذا التحقت بكلية التجارة في الجامعة وتخرجت بتقدير جيد ثم تزوجت أخت زوج أختي، ولم نتفق ولهذا طلقتها قبل أن ننجب أي أولاد."

وبقيت صامتة وأنا أنظر إليه كأنني أنتظر أن يقول المزيد، ولهذا تردد قليلاً ثم قال: "ماذا يمكنني أن أقول أيضًا عن حياتي. في الواقع لم تكن زوجتي تنجب. أنا ميال للاكتئاب عمومًا ومصاب به من صغري. أول مرة أصبت باكتئاب شديد كان لوفاة صديق عمري. كان اسمه باسل نجيب. كان باسل طالبًا بكلية الطب وكان متفوقًا وبطل من أبطال رياضة الجودو وكان يجري كل يوم بمحاذاة كورنيش النيل في الصباح الباكر جدًا، وفي أحد الأيام صدمته سيارة يقودها شاب اختار ذلك الوقت من النهار للسير بسيارته في ذلك الشارع المزدحم لأنه كان يتعلم قيادة السيارات."

ضحى: "هذا الحزن الشديد على صديق هو أمر مفهوم وخاصة بالنسبة لفترة المراهقة. في تلك الفترة يتقارب الشباب بشكل كبير جدًا وتكون العلاقة بينهم لصيقة إلى حد كبير، ولهذا فموت أحد الأصدقاء يمثل للمرء صدمة كبيرة ولهذا فحزنك الشديد على صديقك مفهوم ومبرر ولا يتطلب الأمر أن تكون مريض اكتئاب كي تشعر به وكي تصاب بالاكتئاب."

ماجد: "كان باسل هو كل شيء لم استطع أن أكونه. كان أنا في صورتي المثالية وكنا نفعل كل شيء معًا ولا نخرج للتمشية والتسلية أو قضاء وقت جيد إلا معًا. حتى بالنسبة للدراسة، كنت أنا أدرس مناهج كلية الطب بالإضافة إلى مناهج كلية التجارة في

السنتين الأولين من كلية الطب كي أشجعه حيث أنه كان يجد أن الدراسة صعبة، كما أنني كنت معتادًا على أن أدرس معه منذ الثانوية العامة. حين تم اخباري بوفاته لم أصدق. لم أستطع أن أتحدث بعدما عرفت أنه مات لمدة أسبوعين، وظللت طوال الوقت لأشهر تالية أتخيل في كل لحظة أنني أسمع صوته يتحدث، وكلما سمعت صوت بشري من بعيد تخيلت أنه صوته. توقفت عن فعل كل شيء كنا نفعله معًا بعد وفاته ولم أعد أريد أن أفعل أي شيء لأشهر عديدة."

وسألته وأنا أريد أن أعرف: "وهل كان ذلك الاكتئاب مرضيًا، أعني هل تكرر مرة أخرى؟"

ورد ماجد بحزن: "نعم. لقد كان مرضيًا. اكتئبت لفترة طويلة حين توفي والداي. تم تشخيص أبي بسرطان في الغدد اللمفاوية وقبل أن يتوفى توفت أمي فجأة بسرطان في المخ لم نكن نعرف عنه شيئًا وكانت أختي قد تزوجت وخلال أشهر قليلة من إعلان مرض أبي وجدت نفسي وحيدًا في البيت بمفردي. توفى والداي وتركاني وحيدًا. وقتها ترك زوج أختي عمله كمهندس كبير في إحدى شركات المقاولات الكبرى ليدير المطبعة التي يملكها والدي وبقيت أنا في البيت. لم أستطع أن أعمل لاصابتي بالاكتئاب وبقيت في البيت لا شغلة ولا مشغلة."

بدأت أتعرف على سيرة ماجد الذاتية وتسلسل أحداث حياته وسألته: "وتزوجت بعد ذلك."

ورد ماجد. كان منكسرًا حين تحدث عن وفاة والديه، ولكنه تخلص من التفكير في الحزن حين بدأ يتحدث عن زواجه السابق. بدأت نبرة أخرى غير الحزن تغزو صوته. قال ماجد: "نعم. كنت وقت زواجي قد تغلبت على حزني وبدأت من جديد العمل في المطبعة التي كان يملكها أبي ويديرها وكنت أنا أديرها مع متابعتي لحالته الصحية

ولحالة والدتي أثناء مرض والداي. عندما عدت للعمل في المطبعة كانت المطبعة قد بدأت تتوسع بسبب مجهودات زوج أختي والذي كان قد بدأ في احداث تغييرات وتعديلات في آلات المطبعة وفي نظام العمل بالمطبعة وأدخل خدمات جديدة، ووقتها طلبت مني أختي ريهام أن أساعد زوجها في إدارة المطبعة حيث أنه كان يعمل طوال الوقت ويبقى حتى ساعات متأخرة من الليل خارج بيتهما."

ضحى: "هل كنت سعيدًا بالعودة للعمل؟"

ماجد: "نعم. كنت أراها بداية جديدة وتغيير عن حالة الحزن التي كنت أعيشها. أردت أن يشغلني العمل عن حزني وقضيت وقتها حوالي سبع سنوات وأنا أعمل في المطبعة. عملت سنتين وكنت أعزب ثم تزوجت حبيبة أخت الحاج حسام زوج أختي."

ضحى: "وهل كانت زوجتك السابقة تعمل مع أخيها في المطبعة؟"

ماجد: "كلا. لقد حصلت على ليسانس آداب وتزوجت بعد ذلك مباشرة وأصبحت ربة منزل ثم طلقها زوجها بعد حوالي سنتين من زواجهما."

وسألته بشكل حذر وأنا أترك لفضولي العنان: "أعجبتك فتقدمت لها."

وأجابني ماجد وهو يضحك ربما لأنني أسأله عن مسألة شخصية جدًا: "كلا. في الواقع لم تكن تعجبني ولكن أخاها الحاج حسام، سامحه الله على توريطي تلك الورطة المزعجة، ظل يذكرها لي ويشيد بأنها جميلة وتحسن الطبخ وسيدة بيت درجة أولى، وأنها تعرضت للظلم ولم توفق في زيجتها الأولى بسبب مشكلات خاصة بزوجها، وأن زوجها لم يكن ينجب، وأن زوجها أراد ألا يحتفظ بعائلة تقيده مادام لا يمكنه الحصول على أولاد يصنعون له أسرة كبيرة. كان الحاج حسام يقول وقتها دائمًا أن أكثر مشكلة تواجهه

في حياته ستُحل عندما تتزوج أخته وتصبح سعيدة مع زوج يقدرها وكان يراني مشروع زوج جيد ولهذا كان مصرًا على تزويجها لي وكان يرى أن زواجي بأخته سيحل مشكلاتي ومشكلاتها معًا."

ورددت عليه: "وطبعًا كنت أنت في حاجة إلى من تنظم لك حياتك."

ورد علي ماجد وهو يتحدث بتثاقل وكأن الذكرى أكبر مما يحتمل: "قال حسام زوج أختي أنه لا يحب لي أن أستمر في العيش بمفردي، ولكني لم أكن على استعداد للزواج بعد. كنت لم أزل لم أتغلب بعد على صدمة وفاة والدي ولكنني في النهاية قررت أن أتزوج كنوع من التغيير لعل الزواج يكون هو الحل لمشكلة معاناتي من الاكتئاب كما كان يلح علي حسام."

ورددت عليه أنا وأنا أحاول التفكير بعقلانية. فكرة معقولة. لكي تتخلص من الاكتئاب عليك أولاً ألا تكون وحيدًا فالوحدة تضر بالجهاز العصبي للانسان ويمكنها أن تسبب له اكتئابًا حتى بدون وجود أسباب أخرى."

ويبدو وكأنني فتحت بابًا أخر ليعود الحديث عني لأن ماجد بادرني بسؤاله: "أنت تعيشين وحدك في ألمانيا حاليًا."

ورددت عليه: "وحدي تمامًا وحين أحتاج إلى رفع روحي المعنوية فإنني أعود بذاكرتي إلى حياتي في بيتنا في الماضي في مصر حين كنت أعيش أنا ومروة أختي ووالدينا أو إلى رحلاتي مع زملائي وزميلاتي أيام الكلية أو غيرها من الذكريات السعيدة."

وقال ماجد بتفكر: "غريبة!! أنك تعيشين منذ فترة طويلة وحيدة في ألمانيا. ألم تحققي درجة من الاندماج مع المجتمع في ألمانيا."

ورددت عليه شاكية وربما كنت أستمتع بالشكوى لأنني كنت أبحث عمن يتعاطف مع شكواي: "لم أحقق أي اندماج. الحياة في ألمانيا بالنسبة لأي مهاجر تتطلب العمل المستمر حتى يشعر المرء بالإنهاك

وينام ليستيقظ فيعمل من جديد ثم يتعب فينام. في الويك اند أطبخ وأعد طعام الأسبوع وأنظف ملابسي وبيتي وربما ذهبت في تمشية طويلة وحدي لو كان الجو يسمح بذلك. أما في الأجازات الطويلة فأعمل على الكتاب الذي أكتبه حاليًا أو على أبحاثي أو على أي شيء أخر، وحين يتاح لي وقت فراغ طويل لا أدري ماذا أفعل بنفسي."

ماجد: "أليس لك أي أصدقاء أو أشخاص تحبين قضاء الوقت معهم؟"

ورددت عليه: "الألمان من أكثر شعوب أوروبا تحفظًا وهم لا يرحبون مطلقًا بالاختلاط بالأجانب. في المجتمع هناك تُعامل باحترام وتُعطى كل فرصة كي تتقدم في عملك وتكتسب الخبرة والمعرفة، ولو أصبحت الأفضل فإنك تترقى ببساطة لأنك الأفضل، ولكن علاقات الصداقة بين الألمان والمهاجرين إلى بلادهم تقريبًا غير موجودة. بالنسبة للمصريين لا يوجد الكثيرون حاليًا في منطقة مكان عملي أو سكني وفي معظم الأحوال لا يوجد وقت لانشاء علاقات صداقة جديدة مع مصريين يقيمون في أماكن حتى ولو قريبة ولكنهم خارج نطاق عملك أو سكنك."

ورد علي ماجد بتعاطف: "حياتك هكذا صعبة جدًا. ألا تشعرين باكتئاب هناك؟"

وضحكت وأنا أرد عليه: "هناك دائمًا جزرة في نهاية كل عصا ممدودة فوق رأسك. هناك دائمًا شيء تطمح لتحقيقه وتستيقظ متحمسًا في الصباح للعمل من أجله ولكن حين تواجهك مشكلة مثل تلك التي واجهتني مثل محاولة خطفي وتبدأ في التفكير، كما كنت أفعل طوال الفترة التي قضيتها مخطوفة، عما حققته من العمل بتفاني واخلاص كبيرين لسنوات طويلة تجد أن محصلة مجهوداتك

كانت صفرًا كبيرًا. حين تفكر في محصلة حياتك تجد أنك أصلاً لا توجد لك حياة."

وقال ماجد: "ولكن طبعًا ماديًا الأمر يستحق."

ورددت عليه: "بالعكس. ماديًا أنت تعيش ليومك والمال الذي تدخره لن يكفيك كي تعيش مثلاً لمدة سنة بدون عمل وذلك طبعًا ما لم يكن هناك ظرف طارىء يضطرك أن تلجأ إلى الحكومة، ووقتها يعطونك معاش قليل لا يجعلك تغتني ولكن كذلك معه لا تموت من الجوع أو تُلقى في الشارع بسبب عدم قدرتك على دفع الإيجار."

وسأل ماجد متعجبًا: "كيف ذلك؟"

ورددت عليه: "مجرد الحياة العادية هناك تتطلب الكثير جدًا من المال. الأسعار عالية هناك. أنا مثلاً ليس لدي أمل في المستقبل المنظور في امتلاك بيت خاص بي في ألمانيا. أنا أعيش في بيت بالإيجار وسأظل كذلك طوال حياتي لو استمر مرتبي على ما هو عليه. أنا أكل جيدًا وأمتلك سيارة أدفع ثمنها بالتقسيط وحين ينتهي التقسيط سيسحبون مني السيارة ويعطونني سيارة أخرى جديدة وأدفع أقساطًا أخرى. هكذا هي بنود العقد بيني وبين شركة السيارات التي باعتني السيارة."

وقال ماجد: "أظن أنك تتحاملين عليهم في ألمانيا يا ضحى. مرتباتكم أضعاف أضعاف مرتباتنا هنا وأنتم تستطيعون السفر للسياحة وفعل أشياء كثيرة معظم المصريين الذين يعملون بالأجر لا يحملون بفعلها."

وردت ضحى: "طبعًا حياتي هناك أفضل كثيرًا من ناحية المرتب، ولكن كذلك تكاليف الحياة كما قلت لك عالية. حين تقارن ما يحققه المصري من حياته وعمله مع ما يحقق الألماني من عمله في ألمانيا لفترة طويلة تجد أن كل شيء يتساوى تقريبًا، ولكن طبعًا في ألمانيا

يعترفون بقدراتك وتحصل على تقدير وإشادة عن مجهوداتك وتعيش في مجتمع منظم وأنت في معظم الوقت راضٍ عن نفسك، وبالتالي تحقق أشياء لا تحققها هنا ولكنك تموت من الجليد العاطفي المفروض عليك. هناك تتعلم أن تتجمد شعوريًا فلا تشعر ولا تتفاعل ولا تهتم وتفتقد مجرد الحديث إلى البشر، بل أنت تصمت وتفقد القدرة على الكلام لفترات طويلة. حين يسألونك عن شيء تجيب ببعض الهمهمات أو بجمل قصيرة قاصرة وكأنك لا تريد أن تتحدث بينما أنت تتوق إلى الحديث إلى أي شخص ولكنك طبعًا تتعلم أن تحاكي المجتمع لتشبه الناس فيه حتى ولو بشكل غير واعٍ."

وسألني ماجد وقتها السؤال المنطقي الذي يفرض نفسه آليًا بمجرد أن يقول أي شخص ما قلته أنا لتوي: "إذن لماذا لا تبقين في مصر؟"

وضحكت وأنا أرد عليه: "وماذا هناك في مصر لي كي أفعله. تخصصي تقريبًا غير موجود في مصر، ولو وجدت وظيفة تصلح لي، فسوف يتقاتل المئات للحصول عليها من فرط البطالة والعمل في مصر عمومًا غير مضمون فأنت تفقد وظيفتك لأقل سبب وربما بدون سبب على الإطلاق وحين تفقد وظيفتك لا يوجد أي نظام حماية يمنعك من السقوط."

وانتبهت لأمر مهم. أنا عدت للحديث عن نفسي ثانية وتوقف هو عن الحديث عن نفسه.

وعبرت له عما فكرت فيه مباشرة فقلت: "على فكرة أنت عدت للحديث عن حياتي وتوقفت عن الحديث عن حياتك."

وقال ماجد معاكسًا: "ولماذا تريدين أن تعرفي أشياءًا عن حياتي؟"

ورددت عليه: "أنت الآن تعرف الكثير عن حياتي وأنا تقريبًا لا أعرف عنك سوى أشياء قليلة رغم أننا قضينا الكثير من الوقت معًا

في الأيام السابقة. هذا ليس عدلاً. أريد أن أعرف من أنت. تكلم حتى أراك."

وضحك ماجد وقال: "أنا هنا وجاهز للحديث. ماذا تريدين أن تعرفي؟"

وقلت له: "قلت أن زوج أختك قد حثك على الزواج لكي تخرج من حالة الاكتئاب التي كنت تعاني منها بعد وفاة والديك."

ورد ماجد: "نعم. المهندس حسام زوج أختي والذي يلقبه الجميع حاليًا بالحاج حسام كان يريد تزويج أخته بعدما طلقها زوجها الأول وعرض علي أن أتزوجها وأصبح يحدثني كلما شكوت من أي شيء ويقول أن الزواج سيحل كل مشكلاتي وأن اخته ستستطيع أن تزيل كل العقبات التي أظن أنني أواجهها في حياتي وتوفر لي المناخ الذي أستطيع معه أن أعيش حياة سعيدة."

وسألت ماجد ما كنت أريد أن أعرفه: "وأنت ألم تكن معجبًا بأخرى؟"

ورغم أنني شعرت أنني ربما أبالغ في تساؤلي حول المسألة وأسأل عن أشياء لا شأن لها بالقصة التي يقصها ولا شأن لي أنا بها البتة، إلا أن ماجد أجاب ببساطة، بل وبدا وكأنه يحاول أن يتذكر ليجيب عن سؤالي بدقة: "كلا. لم يكن أمامي أي نساء غير متزوجات وجذابات بالنسبة لي وأنا أصلاً لم أكن في حالة معنوية تسمح لي بالانجذاب للنساء. كنت أجاهد كي أستيقظ وأخرج من البيت صباحًا للذهاب للعمل وفي الواقع لم أكن أشعر أنني أرغب في فعل أي شيء."

ورددت عليه وأنا أشعر وكأنني محقق يحقق في جريمة ولكنني بشكل ما غير قادرة على التوقف عن السؤال: "لماذا؟ أعتقد أن

الرجال دائمًا يكون أمامهم مجموعة من النساء المتاحات للزواج في كل وقت. ألم تمر بتجربة الحب أثناء شبابك؟"

ورد ماجد وكأنه يستغرب أسئلتي: "يا دكتورة ضحى اسئلتك أصبحت تضرب في العمق. نعم. كانت هناك زميلة لي كنت أعتقد أنني أحبها أيام الكلية. كانت جميلة وذات شخصية قوية وأنيقة وكنت أحبها، ولكن كانت هناك خلافات دائمة بيننا حول أشياء أعتقد أنا الآن أنها تافهة. كنا نتشاجر يوميًا على أشياء صغيرة حمقاء وفي النهاية حين تقدم لها خاطب جاد، قررت هي أن تتركني وتتزوجه ببساطة هكذا."

ضحى: "كنتم تتشاجرون على أشياء صغيرة حمقاء مثل ماذا؟"

ماجد: "مثل أنها ارتدت ثوبًا لا يعجبني أو أنني قد تحدثت بود إلى زميلة أخرى أو أنها خرجت مع صديقاتها ولم تخرجني بخروجها وأشياء مثل تلك التي يهتم بها الشبان والشابات في تلك المرحلة."

وسألته: "وما الذي حدث بعد ذلك؟"

ورد علي ماجد: "كما قلت لك. تخرجنا من الكلية وتقدم للزواج منها شاب كان صديقًا لزوج أختها وقبلت هي الزواج منه، ولم تعد ترد على اتصالاتي الهاتفية ولا رسائلي. تظاهرت بأنها غير موجودة بالنسبة لي أو أنا غير موجود بالنسبة لها."

وسألته: "وماذا فعلت أنت؟"

ورد ماجد: "كدت أجن وفي النهاية ذهبت إلى بيتها مع أختي ريهام وقابلت والدها وأخبرته أنني أريد أن أتزوجها وقال لي والدها أنه يعرف حكايتها معي وأن ابنته لا ترغب في زواجي، وطلبت محادثتها وحين تحدثت إلي قالت ببساطة أنها قد قارنت بيني وبين الشاب الأخر الذي تقدم لها ووجدت أن حياتها مع ذلك الشاب ستكون أفضل من حياتها معي من وجهة نظرها وأنها قررت أن

تنهي العلاقة معي وتتزوج من ذلك الشاب. هكذا ببساطة. وهكذا انتهت علاقة الحب التي استمرت بيننا عامين."

وسألت ثانية: "وأنت. ألم تحاول أي شيء أخر؟"

وأجابني بحزن شديد: "لقد صدمت، وماذا كان بإمكاني أن أفعل؟ اكتئبت لفترة ثم قررت ألا أتزوج وبعدها بفترة جاء موضوع وفاة والدي ثم الحاح زوج أختي بأن أتزوج أخته."

وقلت له: "وتزوجت أخته."

ورد: "نعم. في ذلك الوقت بدا لي الأمر وكأن ذلك كان القرار الصحيح. كنت أعيش في البيت بمفردي ومكتئب وأعمل طوال الوقت ولهذا قررت أن أغير حياتي وفكرت أنني لابد أن أتزوج في وقت ما ككل الرجال كي أنشيء أسرة ويكون لي أولاد ككل الناس."

وسألته: "ولم تخبرك زوجتك السابقة ولا أخوها بأنها لا تنجب."

ورد علي ماجد وهو يبتسم: "لم تخبرني هي قط أنها لا تنجب وأنا لا أعرف إن كان أخوها حسام يعرف بأنها لا تنجب أم لا. أحسب أنها لم تخبره حتى هو بأنها لا تنجب. طبعًا أنت تظنين أنني أتحامل عليها لأنها لم تنجب وأن هدفي كان الانجاب في الأساس ولكنك مخطئة."

ورددت عليه: "كلا. أنا كان لي قريب زوجته لا تنجب. كانت تبذل جهدها لكي تستطيع الانجاب لفترة طويلة ولكنها حين أيقنت أنها لن تستطيع الانجاب أبدًا أصبحت تعيش للحظتها الراهنة ولم يعد يهمها أن تستمر معه أو تحافظ على المال الذي يكسبه بجهده، بل كانت تأخذ منه المال وتدخره لنفسها في حساب بنكي خاص بها ثم تخبره أنها قد أنفقته وتطلب المزيد. ماذا أقول؟ الكثير من النساء تقضين حياتهن كلها في حالة ضعف وهوان وخوف من أن يطلقها زوجها لأنها لا تنجب ووقتها تتنمر عليها حماتها وأخوات زوجها وزوجها وعائلته كلها وربما عائلتها هي كذلك وكأن عدم الانجاب كان قرارها

هي، ولكن هناك كذلك النساء غير السهلات. تلك المرأة التي متى أيقنت أنها لن تنجب امتصت زوجها ماله وشبابه ووقته حتى يصبح كالفاكهة الجافة المعدمة ثم تنتقل إلى أخر ثم إلى ثالث وهكذا. هي تعيش اليوم لليوم دون أي تفكير في الغد وتدخر لنفسها في البنك كل مليم تحصل عليه من أي ممن حولها. هي تقرر أن تعمل لمصلحتها فقط كما تعرف أن الطرف الأخر في النهاية سيعمل لمصلحته فقط. ماذا أقول؟ المجتمع لا يرحم وهي جزء من المجتمع."

وطبعًا وجدت حين قلت ذلك أنني متحاملة على النساء اللاتي لا تنجبن واللاتي كان لهن منطقهن الخاص بالطبع ومبررهن لما تفعلنه فالمجتمع يقتات على الضعيف فيه ثم ينبذه، ولهذا قلت له: "ولها منطقها فإذا كانت واثقة أن زوجها بالتأكيد سيطلقها في وقت لاحق لأنها لا تنجب فإنها تستغله كما استغلها هو وهدفه فقط الحصول على أولاد. هي تأخذ منه ما يستطيع أن يعطيه في تلك اللحظة ثم تنتقل إلى غيره وفي النهاية تنتهي مع زوج غني للغاية له أولاد كبار قد تزوجوا وغادروا بيته وتعيش معه للاستمتاع بحياتها على أن يترك لها هو كل الحرية للاستمتاع بحياتها ويحمد الله على أنه يعيش مع زوجة شابة وجميلة تقبل العيش معه."

وحين وجدت أن حديثي قد يعطي معنى أنا لم أقصده، تداركت الأمر وقلت لماجد: "وطبعًا هذا كله ليس معناه أنها سيئة السلوك أو على علاقة برجال أخرين أو غير ذلك. هي فقط تستمع بحياتها في الخروج والسفر والانطلاق مع زوجها وصديقاتها والمجتمع وتوجد لنفسها ما يشغلها."

ورد ماجد: "ما شاء الله. أنت ذات خبرة كبيرة في الحياة يا دكتورة ضحى. لقد حكيت الآن وفي لحظات ما تعرضت أنا له لمدة خمس سنوات من فترة زواجي."

وسألته: "هل كانت حياتك سعيدة بخلاف مسألة الانجاب؟"

ورد ماجد وهو يتنهد: "كما قلت أنت، فإن التيقن من أنها لن تنجب بالنسبة لزوجتي السابقة قد أنشأ لديها حالة من الرغبة من الاستمتاع باللحظة الراهنة دون النظر إلى المستقبل. بالنسبة لي كنت أعمل فقط. مرت خمس سنوات من عمري دون أن أشعر. وحين كنت أحدثها عن الانجاب كانت تقول أنها تترك الأمر كله لله وعلينا أن نصبر حتى يرزقنا الله بالولد. كلام ممتاز ولا غبار عليه وهو صادق في جميع الأحوال وقد تقبلته بسعة صدر. لو أراد الله أن يرزقنا الولد فسوف يفعل، وإن كان قراره ألا يرزقنا بالذرية، فأنى لنا الحصول عليها؟ كنت أعمل طوال الوقت وليس لدي أي وقت كي أحك رأسي حتى. كنت أحاول تكوين ثروة مالية تنفعني وإياها وأولادنا فيما بعض."

ونظر ماجد فجأة وابتسم وقال: "أعتقد أنني حتى وقتها لم أكن أحب التواجد في البيت حيث أنني حتى منذ البداية لم أكن أحب التواجد معها في أي مكان، وكنت أقول لنفسي أن الزمن كفيل بحل المشكلات وكنت أركز على حل المشكلات التي أجدها قابلة للحل وهي طبعًا مشكلات العمل، وكذلك هي لم تجعل تجربة بقائي في البيت تجربة سعيدة. كنت أعود ليلاً للبيت لأجد يوميًا تقريبًا حفلة ما أو تجمع احتفالي ما في بيتنا، أو كنت أعود للبيت، وفي بعض الأحيان في ساعة متأخرة من الليل لأجد أن علي أن أرتدي ثياب السهرة وأذهب لأقضي ساعات طويلة في حفلة ما لدى قوم أنا لا أعرفهم ولا أريد أن أعرفهم في وقت تكون أحلامي كلها فيه مركزة على أن أمد طولي على سرير نومي وأغرق في سبات عميق."

وضحكت وأنا أقول: "أعرف هذا الشعور تمامًا. حين أعود من العمل في ألمانيا ليلاً في بعض الأيام أكون كالفسيخة الميتة وكل أحلامي هي أن ألقي بنفسي في فراش وأغرق في حالة من الغيبوبة. طبعًا هناك سياسات المكاتب لدينا كذلك في عالم الأبحاث في ألمانيا، وحين يقيم أحد المديرين حفلاً ما، يجب عليك أن تحضر الحفل، وفي منتصف الحفل عندما أطمئن إلى أن الجميع قد شرب ما يكفي من

المشروبات الكحولية، كنت عادة أتسرب عائدة إلى بيتي وطوال الحفل أكون شبه نائمة، ولكن ربما كان علي أن أعود لمكان الحفل قبل بداية ساعات عملي كي أساهم في تنظيف مكان الحفل كما يجب أن يفعل الكثيرون منا، فهناك يتشارك الناس في كل شيء- في الاحتفال وفي التنظيف بعد الاحتفال، ودائمًا ما تسمع أن كلاً يجب أن يقوم بدوره. أنا عمومًا لم أكن أحب مسألة الحفلات تلك في آخر اليوم ولا في أيام الأجازات ولم أكن أشارك فيها كثيرًا، بل كنت في أحيان كثيرة أتهرب من حضور الحفلات."

كان ماجد قد ارتفعت درجة حرارته في السرد وأصبح بصوته بعض الأنين وبعض الغضب وكان يبدو مصرًا على استمرار حكاية قصته بعدما قاطعته وقال: "كذلك، كانت زوجتي تلك محرقة أموال. كانت تقوم بالتبضع من السوق كل يوم كنشاط ترفيهي هدفه قضاء وقت سعيد في التسوق ولا شيء أكثر من ذلك وتأتي بأشياء كثيرة كل يوم لا يحتاجها أحد ولدينا بدائل كثيرة لها أو لدينا نفس الأشياء ولكنها إما نسيت أنها اشترتها أو شعرت بالرغبة في إحضار نسخ أخرى منها. أنا كنت أعمل طوال الوقت وأحاول الوصول لأكبر عدد من العملاء وأبحث عن طرق للحصول على المال طوال الوقت لتغطية متطلباتها بلا أي جدوى وكانت كل شجاراتنا تتمحور حول المال وبسبب اسرافها في الإنفاق وكان الحاج حسام أخوها يتدخل كثيرًا لصالحي ويحثها على التقليل من إنفاقها دون جدوى."

بدأت أشعر بالملل من سرده. بشكل ما أردت أن أعود للتحدث عن نفسي. أنا أفهم القضية وأعرف سلوكيات النساء اللاتي لا تجدن لحياتهن معنى وبالتالي تحاولن شغل أنفسهن بأشياء قد تكون مدمرة لأزواجهن ولحياتهن الزوجية. أنا أردت أن أعرف المزيد عنه، ولكن ليس جميع تفاصيل حياته السابقة ولكن ماجد كان يرغب في التشكي مما فعلته فيه زوجته السابقة ونقل تجربته كاملة. الرجل وجد أذنًا تسمعه وكان لديه هو الكثير من الكلام يريد أن يقوله،

ولكني كنت أعرف أن معظم ذلك الكلام كان بسبب إحساسه هو أنه ربما يكون قد ظلم زوجته.

القصة هي دائمًا هكذا. بعد الطلاق تأتي عملية الجرد التي يقوم بها كل طرف لسنين عديدة بعد ذلك. ماذا فعلت أنا؟ هل أنا من ظلم؟ وماذا فُعل بي من ظلم؟ وطبعًا الإنسان يحكي ليثبت لنفسه وليس لأي شخص أخر أنه كان بريئًا تمامًا وأنه ظُلم ولكن الحقيقة تكون في معظم الأحوال أن الظلم كان من الطرفين ضد الطرفين وهذه الحقيقة يدركها كل من الطرفين في داخله وإن كان يحكي ليثبت لنفسه عكسها. المرء عادة لا يُسامح نفسه حتى وإن تمادى في أفعال سلبية يفعلها كي يقنع نفسه بأنه كان هو الطرف المظلوم.

وأردف ماجد وكان يبدو صوته غاضبًا: "كذلك حتى عندما كنت أعود إلى بيتنا ولا تكون هناك حفلة في البيت لدينا، كان يوجد دائمًا لدينا بالبيت مجموعة من صديقاتها، وهن نساء ليس لديهن ما يشغلهن. لا أعرف من أين كانت تأتي بهن وكانت هؤلاء النسوة تقضين الليل كله تقريبًا لدينا في البيت، وكنت أسلم عليهن حين أعود من عملي ليلاً ثم أتوجه إلى المطبخ لتناول سندويتش على سبيل العشاء ثم أذهب للنوم وفي بعض الأحيان حين كنت أستيقظ لصلاة الفجر في الصيف كنت أجد أن بعضهن لازلن ساهرات في بيتنا، وحين كنت أسمع ما تقوله هؤلاء النساء وأنا في المطبخ كنت أجد أنهن تتحدثن عن الرجال بشكل سيء جدًا وطبعًا الرجال هم من كانوا ينفقون الأموال عليهن ويتيحون لهن أن تعشن تلك الحياة غير المسئولة."

وسألته: "وكيف عرفت أنها لا تنجب؟"

وأجاب في غضب وكأنه لا يزال يتذكر ما حدث: "حتى هذا عرفته بالصدفة. مع مرور الوقت أدركت أنه لا أنا ولا الحاج حسام أخو زوجتي نعرف أي شيء عنها. هي أفلحت في إبقاء حياتها الداخلية

والخارجية مغلقة ومعزولة تمامًا عنا. في أحد الأيام ذهبت إلى العمل في بداية النهار حوالي السادسة صباحًا كي أستكمل بعض الأعمال المعلقة وقرب صلاة العصر أحسست بالتعب الشديد فلم أكن قد نمت جيدًا في الليلة السابقة ولهذا عدت إلى البيت لأنام. كنت آمل آلا أجدها في البيت وبالتالي تتاح لي فرصة النوم بدون إزعاج. دخلت البيت وفتحت الباب بمفتاحي. دخلت ولم تكن أي من الخادمتين اللتين تعملان عندنا موجودة في البيت، وسمعت صوتها وهي في الصالة الداخلية الكبيرة وأنا في الطرقة الطويلة بجوار باب البيت عند باب المطبخ حيث يمكن للمرء سماع ما يقال في الصالة الداخلية بوضوح. كانت تحدث إحدى صديقاتها وما قالته لها أرعبني."

أثارت الكلمة فضولي ولهذا سألته وأنا أتحدث بسخرية ربما لاختياره للكلمة: "أرعبك!!"

ورد ماجد والذي كان في حالة من الاحتداد لم يهتم معها بنبرة حديثي: "نعم. قالت لصديقتها أنني بخيل ككل الأزواج وأن ما أحصل عليه من عملي هو أضعاف أضعاف ما أعطيها إياه وذكرت لصديقتها نماذج على ذلك. طبعًا لم يكن كلامها ذاك صحيحًا بالمرة ولكنه كذلك كان ينطوي على مفهوم غريب بأنني يجب أن أنخلع من كل مالي لأنني تزوجتها. قالت لصديقتها أنه بما أنها لا تنجب وأنه لن يكون بيني وبينها أطفال، فمن الأفضل لها أن تتركني وأن تتزوج رجلاً يقدرها وأن هناك رجلًا قالت اسمه قد علق على جمالها وقال أنها تستحق وضعًا أفضل بكثير مما هي عليه وأنه لو كان زوجها لما تركها تذهب إلى أي مكان وحدها بدونه، وقالت لصديقتها أنها لن تطلب مني الطلاق وقتها ولكنها ستأخذ مني كل مليم أمتلكه وتجعلني أكتب لها شقة الزوجية قبل أن تطلب مني الطلاق فأنا لا أستحق أفضل من ذلك."

وأحسست بالانفعال الشديد. كانت تعبيرات وجه ماجد غريبة وكان واضحًا أنه يعيش تلك اللحظة مرة أخرى وكان واضح أنه غاضب جدًا.

وسألته: "وماذا فعلت؟"

وأجابني ماجد وهو منفعل وقد بدأ صوته يرتفع حتى أنني خفت أن يسمعه خادم المسجد والذي كان يلتحف ببطانية وقد نام على أريكة خشبية في مكان غير بعيد عنا.

ماجد: "كنت أرتعش من الغضب وفكرت أنني لو واجهتها وأنا متعب بالدرجة التي كنت عليها ولو أنني عبرت عن غضبي فقد لا أستطيع التحكم في نفسي، والله وحده يعلم ما كان يمكن أن أفعله بها في تلك اللحظة. خفت من رد فعلي. كنت قد بدأت أفكر في أن ألقي عليها يمين الطلاق وأجذبها من شعرها وألقيها على سلالم البناية جزاءًا لها على خداعها لي واستغفالها لي ولكني فكرت في أن لها أخًا يجب أن يتم اخباره بما سأفعله أولاً، فأنا لم أطلبها من نفسها حين تزوجتها ولكني طلبتها من أخيها ويجب أن يكون له دور في تحريري منها، كذلك فإن ضربها وإيذاءها قد يقضي على العلاقة الجيدة بيني وبين زوج أختي وقد ينسحب ذلك على علاقتي مع أختي الوحيدة وابنها وابنتها وهم أقرب أقربائي إلي والوحيدين الذين يهتمون فعلاً بي."

وضحكت ساخرة وقلت لماجد: "ماذا! لم تفعل شيئًا!!"

وأجابني ماجد وهو يؤكد على كلامه كي يؤكد على أنه كان محقًا: "نعم. لم أفعل شيئًا. خرجت من الباب كما دخلت وصفقت الباب خلفي كي تعرف أنني كنت موجودًا وأنني استمعت إلى حديثها مع صديقتها."

وضحكت متعجبة وساخرة منه: "ماذا! كل هذا الغضب ولم تقترب منها ولم تمسها، بل وحتى لم تواجهها."

ورد علي ماجد برزانة: "نعم. لم أقترب منها ولم أمسها. كانت تلك إحدى المرات القليلة التي تحكمت فيها في نفسي وكلما فكرت في الأمر ازداد فخري بنفسي لما فعلته وقتها. لو كنت قد واجهتها لكان صوتي قد ارتفع وغضبي قد زاد ولربما كنت قد قتلتها في سورة غضبي. أما ما فعلته وقتها وعلى الرغم من جميع خسائري بعدها فقد كان الشيء الصحيح. لقد تخلصت منها بأقل قدر من الأضرار. عندما أفكر الآن في الأمر أظن أنها لم تكن تعني لي الكثير فعليًا. لو كنت أحبها فعلاً أو كانت تعني لي أي شيء وعلمت أنها استجابت لرجل حدثها عن جمالها وأنها تستحق زوجًا أفضل مني فربما كنت قد ضربتها أو نفست عن غضبي بإيذاءها بدنيًا، ولكن حتى وقتها وفي قمة غضبي كان قراري قد حُسم. لم أكن أهتم بها فعلاً وكل ما كنت أريده كان إنهاء تلك العلاقة السامة بأقل قدر من التأثيرات السلبية علي."

الفصل السادس عشرة: بقية رواية ماجد سليم

وسألته: "وماذا فعلت بعدها؟"

ورد ماجد: "تركت البيت وعدت إلى شقة أبي وأمي التي أقيم بها الآن، وعلى الرغم من عدم نظافة البيت إلا أنني بمجرد دخولي لشقة أبي وأمي أحسست بإرتياح عميق، وكأنني لم أكن قد دخلت ما يمكن تسميته ببيتي منذ تركت شقة والدي رحمهما الله، وكأن البيت الذي كنت أعيش فيه مع زوجتي السابقة لم يكن بيتي فلم أسترح فيه قط. نمت في شقة أهلي وارتحت وبقيت في بيت أهلي لمدة يومين حتى هدأت أعصابي تمامًا وأصبحت واثقًا أنني لن أتصرف بأي قدر من الغضب أو الجنون. اتصلت بعد ذلك بالحاج حسام وطلبت منه أن

يأتيني إلى الشقة التي كان يعيش بها الراحلان أبي وأمي، رحمهما الله، وكنت قد أصررت على الاحتفاظ بتلك الشقة على الرغم من الاعتراضات الشديدة والمستمرة كل يوم لزوجتي السابقة والتي كانت تقول أن بيع شقة أهلي سيحل لنا كل مشكلاتنا المالية. أنا كنت أحب شقة أهلي جدًا ولم أستطع أن أفكر مجرد تفكير في التصرف فيها أو حتى في تغيير ديكوراتها وطابعها كما طلبت زوجتي السابقة كي أتخذ منها شقة للزوجية وأعيش مع زوجتي فيها."

وسألت ماجد بفضول وأنا أسحب المعلومات منه: "وماذا قلت لزوج أختك؟"

ورد ماجد وكان من الواضح أن غضبه قد هدأ عند تلك النقطة من الحكاية: "حكيت لزوج أختي تفاصيل ما سمعته في ذلك اليوم. طبعًا هي كانت تحاول أن تتصل بي طوال اليومين الماضيين وقتها دون أن أرد عليها، وأنكرت تمامًا بعد ذلك ما حكيته أنا لزوج أختي من أنها كانت تحدث صديقتها أو أنها قالت لها أنها لا تنجب أو أنها سمحت لرجل أخر أن يتحدث عن جمالها وعن أنها تستحق رجلاً أفضل من زوجها وأنكرت هي كذلك أنها قالت لصديقتها أنها كانت تنوي أن تستنزف مالي قبل أن تجبرني على تطليقها. أنكرت كل شيء وقالت لأخيها أنها لا تعرف لماذا أريد تطليقها وأنني ولابد قد قابلت أمرأة أخرى وكنت أخونها معها. طبعًا أخوها الذي كان يراني كل يوم أذهب إلى العمل في السادسة صباحًا ولا أترك المطبعة إلا وأنا شبه ميت من التعب آخر الليل كان يعرف أنه لم يكن لدي وقت لإقامة أي علاقة مع إمرأة أخرى ولابد أنه قد قال لها ذلك وقتها."

ورددت عليه: "هذا هو المعتاد! وماذا كنت تنتظر منها! ماذا قال لك أخوها يومها – في اليوم الذي قابلته فيه؟"

وأجابني ماجد: "طبعًا حين قلت ما قلت لزوج أختي صدقني حاول أن يسترضيني ويخبرني أنه سيعاقبها ويربيها ويعاملها بقسوة

انتقامًا لي .. إلى آخر هذا الهراء، والذي كنت أعرف أنه لن يحدث، فقد كان الحاج حسام متعلقًا جدًا بأخته وهو من دللها لتصل إلى تلك الدرجة من الأنانية وعدم المسئولية، وكان ضعيفًا تمامًا أمامها، وفي النهاية كان ينفذ كل ما تريده بصرف النظر عن حديثه عن سيطرته عليها، بل أنا كنت أعرف عند تلك النقطة أنه أصلاً لا يعرف شيء عن حقيقتها وأنه يصدق مظهر الملاك البريء الذي كانت تصطنعه كلما تواجدت معه في مكان واحد، وأنه دائمًا يراها في ثوب الضحية. كان أكبر منها بكثيرفي السن وقد رباها بعد وفاة والدهما وكانت بالنسبة له إبنته وليست أخته، وببساطة كان غير قادر مطلقًا على لومها على أي شيء تفعله."

ارتفع بعد ذلك صوت ماجد وقد بدأ الغضب يعاوده من جديد وكأنه يعيش أحداث تلك الليلة: "ولكني أخبرته أنني قد كظمت غيظي وقتها لأنني أعرف أنني قد طلبت يد زوجتي منه أي من الحاج الحسام وأنني عندما أنوي أن أطلقها علي أن أبلغه هو أولاً برغبتي في الطلاق، وأمهلته أسبوعًا كي تقوم أخته بإخلاء شقة الزوجية وأخبرته أن عليه هو أن يحضر لي مفتاح شقة الزوجية، وأخبرته أنني لا أريد أن أراها مطلقًا بعد ذلك. لقد كانت صفحة أليمة من كتاب حياتي المليء بالمآسي ولم تعد لدي أي رغبة في وجود أي صلة لي بها."

وارتفع صوته وهو يقول: "كان كل ما يهمني هو الشقة. لم تكن حاضنة لأطفال ولم يكن من حقها الحصول على الشقة. أخبرت حسام أنني سأسلمه ورقة الطلاق بعد استلام الشقة وأن على زوجتي أن ترسل محاميها ليقابل المحامي الخاص بي للاتفاق على مستحقاتها بعد الطلاق والتي كنت سأدفعها طبعًا طبقًا للشرع ويمكنها رفع قضية ضدي لو أرادت ذلك."

وسألته متشككة وقد بدأت أرى وجهة نظر أخي زوجته: "وهل تقبل زوج أختك هذا الكلام ببساطة هكذا؟"

ورد علي ماجد: "طبعًا هو قابل الأمر في البداية بالصبر وبلوم أخته لفظيًا على تصرفاتها ولكنه بعد ذلك انقلب علي وغضب وقال أنني أتصرف وكأنه غير موجود وأريد أن أستغل أن أخته هي امرأة ضعيفة وكأنه لا ظهر ولا سند لها، وأنه سيطلق أخته مني كما أريد ولكنه يجد أن ذلك كان طلاقًا تعسفيًا وأن أخته لم تفعل شيئًا وكونها مسرفة ماليًا أو كوني سمعت أو لم أسمع تلك المحادثة الافتراضية لا يبرر لي طلاقها أو أن أتحدث بتلك الطريقة معه عنها أو عن طلاقها وأن أخته لها حقوق وسيحصل هو لها عليها وسيجبرني على أن أخسر كثيرًا لطلاق أخته بتلك الطريقة الظالمة لها. وتركني وهو غاضب تمامًا وصفق باب البيت خلفه حين خرج من بيتي."

طبعًا كان هذا كله متوقعًا. جميع المرتبطين بالأمر يستثمرون الكثير من مشاعرهم في الطلاق وعادة ما ينتهي الطلاق بالوقيعة بين أقارب الزوجين، وإن كانت الوقيعة في بعض الأحيان تكون مؤقتة، وسألته بفضول وأنا أبتسم: "وهل استلمت شقة الزوجية؟"

ورد علي ماجد وهو يبتسم لتلك الذكرى التي أظن أنها كانت مؤلمة ماليًا جدًا بالنسبة له: "استلمتها خالية تمامًا. أخذت الآثاث بالكامل والذي كنت قد اشتريته أنا من حر مالي بالكامل ودفعت ثمنه بالكامل. أخذت زوجتي السابقة كل شيء يمكن انتزاعه أو خلعه وقامت بتكسير كل شيء يمكن تكسيره في الشقة. لم تترك لي بالشقة أبواب ولا نوافذ وخلعت الكهرباء والثريات ومصابيح الإضاءة الموجودة في الأسقف وكسرت مفاتيح الكهرباء التي لم تستطع خلعها في البيت كله وكسرت السيراميك والبلاط والأرضيات في البيت كله، وهذا طبعًا بخلاف الفظائع التي أحدثتها في الحمام والمطبخ. طبعًا لابد أنها قد دفعت مبلغًا محترمًا من المال لمحترفين لفعل كل هذه المصائب في شقتي. انتقمت لنفسها بالكامل وتركت لي البيت مدمرًا تمامًا، وغير صالح للسكنى مطلقًا إلا بعد انفاق ثروة صغيرة في إصلاح كل ما تم تدميره."

وضحكت أنا على الرغم من الألم في صوته: "وماذا فعلت بملابسك ومتعلقاتك الشخصية؟"

وضحك ماجد وهو يقول بمرارة: "أقامت محرقة صغيرة على البورسلين المكسر في منتصف الشقة وحرقت جميع ثيابي وأوراقي الهامة ومتعلقاتي الشخصية. كل شيء كنت أحبه كان في تلك البقعة المحروقة على الأرض في شقة الزوجية. كانت هناك البدل الثمينة الفخمة جيدة الصنع وغالية الثمن وقمصاني القديمة التي كنت أحب ملمسها وارتدائها وحتى رائحتها ونظارات الشمس وساعات يدي والهواتف المحمولة القديمة التي كانت موجودة في الدرج بجانب سريري. كل شيء كان يخصني حرقته."

وضحكت وأنا أقول تعليقًا على ما يحكيه ماجد: "لا تبتئس سيعوضك الله خيرًا مما أخذ منك إن شاء الله. القصة دائمًا هكذا. الزوجة تكون غاضبة للغاية ولا تجد أمامها سوى ملابس الزوج ومتعلقاته. يخيل إلي أن الدمى التي تُصنع من القماش أو الورق والتي يتم خرقها بالبدبابيس في مواضع شتى حتى تصبح مهترئة ثم يتم حرقها ثم إغراقها بالتأكيد كانت اختراع إمرأة مطلقة في زمن ما، حيث لم تجد تلك المرأة زوجها الأصل موجودًا كي تنتقم منه أو لم تستطع الانتقام منه كما تريد ولهذا صنعت له دمية بديلة وفعلت كل ما أرادت فعله في دميته. كذلك تحرق النساء كل ما تصل إليه يدها من متعلقات زوجها لأنها لا تجده شخصيًا ولهذا تفعل في متعلقاته أسوأ ما تستطيع."

وقال ماجد لي: "ولكنني في ذلك الأمر كنت أنا المظلوم ولابد أنها كانت تدرك ذلك."

ورددت عليه: "بصرف النظر عن رأيك في الامر. الدنيا مليئة بوجهات النظر المختلفة وكلٌ يرى الدنيا من وجهة نظره. عملك المستمر لتوفير احتياجاتها ربما كان يتم تبريره من جانبها باعتباره

إهمال لها أو محاولة للابتعاد عنها، وطبعًا هي توقعت أنك تكسب مالاً كثيرًا جدًا مادمت كنت تعمل ليل نهار ولكنك لا تعطيها ذلك المال. طبعًا عندما تكون المرأة قد مرت بتجربة سيئة وتعرضت للطلاق قبل ذلك، يكون عندها من البداية نوع من الحذر ويتم تفسير جميع تصرفات الطرف الأخر بشكل ربما كان سلبيًا أكثر من الواقع، كما أنك لم تكن موجودًا لتبرير موقفك في معظم الأحوال وطبعًا مع العمل الكثير عندما كنت تتواجد معها لا يكون لديك الطاقة كي تكون حنونًا ومتفهمًا. لو فكرت في الأمر ستجد أنه كانت لديها وجهة نظرها هي أيضًا."

كان ماجد يبتسم وكان صوته يضحك في سخرية، ولهذا ابتسمت أنا بدوري وسألته: "وماذا فعلت أنت بعد ذلك؟"

ورد ماجد: "وماذا كان بإمكاني أن أفعل. ألححت على الحاج حسام كي يأتي إلى شقة الزوجية وأريته ما فعلته أخته كي لا يكون له حجة بعد ذلك حين يطلب مني التساهل معها في أي أمر."

وسألت ماجد بلهجة من لا تتوقع نتيجة ما:"وماذا فعل أخوها؟"

وضحك ماجد وهو يهز كتفيه: "وماذا كان بإمكانه أن يفعل؟ ظل يردد أن النساء مجنونات وأنهن حين يتم تطليقهن تفقدن صوابهن وقال أنه سيربيها من جديد، وكنت أعرف أنا أنه لن يستطيع حتى أن يعاتبها بشكل خشن، فسوف تبكي وسوف يبدأ في التربيت على كتفها ومواساتها كما كان يفعل في كل مرة ترتكب فيها مصيبة. قلت له أنه من الأفضل ألا يتعب نفسه فتلك المرأة قد فقدت كل قدرة لها على ضبط نفسها وأنها لن تستجيب لأي محاولات لعقلها أو وعظها. هي خرجت عن السيطرة ولن يفلح أحد في إيقافها عن تدمير نفسها. قلت له كذلك أنها لم تعد تعنيني ولا يهمني ما يحدث لها. أنا فقط أردت أن يرى بعينيه ما يمكن أن تفعله أخته حتى يعذرني، وطبعًا كنت أعرف أنه لن يفعل، وحتى كل تعليقاته وقتها كانت تدل على أن

مشاعره هي لصالح أخته "المظلومة بشكل ما والتي يُساء فهمها دائمًا."

وسألته مجددًا: "وما الذي حدث بعد ذلك؟"

ورد ماجد وهو يبدو مستسلمًا: "رفعت هي قضية علي أمام المحاكم لأنه لم يعجبها مبلغ نفقة المتعة التي عرضتها عليها، وكنت طبعًا قد استشرت شيخ متخرج من الأزهر ومحاسب لمعرفة المبلغ العادل لنفقة المتعة التي يجب أن أدفعها لها، وقد حدثت الحاج حسام عن المبلغ وقال أنه مبلغ عادل، ولكنه طبعًا اختار لها أفضل محامي في ذلك التخصص حين رغبت في رفع دعوى قضائية ضدي، ووقف بجانبها في المحكمة وكنت أنا أعرف أنه سيفعل ذلك، ولم ألمه. زوج أختي الحاج حسام هو رجلٌ فاضل ولو أن لي إبنة طلقها زوجها كنت سأقف إلى جانبها وأساندها أيًا كان قرارها. وكانت مواقف حسام الإيجابية المساندة لي كثيرة وتمثل دين حقيقي له في رقبتي بالإضافة إلى أنني وقتها كنت قد قررت ايقاف استثمار مشاعري في ذلك الأمر وتركت الأمر برمته للمحامي الذي وكلته لتمثيلي في تلك القضية."

وسألته أنا: "وماذا كانت نتيجة التقاضي؟"

ورد ماجد وهو يتنهد: "حكم لها القاضي بالمبلغ الذي كنت قد عرضته عليها كنفقة متعة من البداية، ولكني طبعًا اضطررت لدفع مبلغ محترم للمحامي الذي وكلته للدفاع عني في القضية والذي حاول انقاص مبلغ النفقة إلى أقل حد ممكن، بالإضافة إلى أنني اضطررت للمساهمة في دفع أتعاب محاميها والذي لم يفعل لها أي شيء على الإطلاق، باعتباري الطرف الخاسر في القضية، ولكن كان من الضروري دفع أجره. مثل أي طلاق كان خسارة على الطرفين. وبعدها انتهت العلاقة بيني وبين زوجتي السابقة تمامًا. طبعًا حبيبة زوجتي السابقة هي عمة أولاد أختي ولهذا عرفت من

أختي دون أن أسأل عن حبيبة أنها قد تزوجت رجلاً غنيًا جدًا يملك الملايين العديدة من الجنيهات ولديه شركة كبيرة وقد تزوجته بعد ثلاثة أشهر بالضبط بعد طلاقنا. قالت لي أختي ذلك وهي تستنكر سرعة زواج حبيبة بذلك الرجل الغني، ولكني قلت لأختي أنني لا أريدها أن تخبرني بأي أخبار عن حبيبة بعد ذلك أبدًا، وبأنها لم تعد تعنيني وأنني قررت ألا أضيع ولو لحظة واحدة من حياتي في التفكير فيها."

وقلت له وأنا أبتسم: "وطبعًا ظللت تفكر فيها وفيما فعلته بك طوال الوقت وأصابك الاكتئاب مجددًا."

ورد ماجد بأسى: "بالضبط. الاكتئاب هو رفيقي الدائم ولا يفارقني ولكني بعدما دفعت أتعاب المحامين وأنهيت المسألة سجدت لله شكرًا، فقد أحسست أن الله قد كتب لي خيرًا وظلت تعاودني لفترة تلك المقولة الشعبية "ما يصيب الريش هو بقشيش"، حيث أن امرأة كزوجتي السابقة كان يمكنها أن تسلم نفسها لرجل أخر ووقتها لا أعرف ماذا كان بإمكاني أن أفعل. كل شيء يهون فيما عدا الخيانة الزوجية، ولكنني طبعًا في تلك الفترة أصبحت لدي عقدة نفسية وقررت ألا أتزوج أبدًا."

ورددت عليه بلهجة نهائية وإن كان قلبي قد بدأ يهبط فجأة: "فعلت بنفسك خيرًا."

وضحك ماجد وهو يقول وصوته يتحول وكأنه يلاعبني: "لا أعرف يا ضحى. في الفترة الأخيرة عاد لي مرة أخرى هاجس أنني يجب أن أتزوج وأنشيء أسرة. ربما كنت قد تأخرت في ذلك ولكن أن تأتي متأخرًا خيرٌ من ألا تأتي، وأنا أعرف الكثير من الأسر المستقرة لأصدقاء لي. هم فقط اختاروا زوجة مناسبة وهم يعيشون حياة رتيبة ومستقرة ويمكن وصفها بالسعيدة إلى حد ما. طبعًا الخلافات بين الزوج والزوجة مستمرة ولكن كذلك تتطور قدرتهما على

التعايش فيما بينهما والوفاء بمتطلبات حياتهما بدرجة أعلى من الانسجام أو هذا ما يخطر ببالي حين أسمع قصصهم اليومية."

ورددت عليه بلهجة نهائية: "أتمنى لك التوفيق."

وقال ماجد بلهجة أحسب أنه يتخذها حين يريد اقناع غيره: "بما إنك يا ضحى في مرحلة من حياتك خياراتك مفتوحة، ما رأيك في أن تتزوجيني؟"

وصرخت فيه متعجبة وإن كنت في الحقيقة قد بدأت أتوقع مثل ذلك العرض: "هل هذا عرض زواج في هذه الظروف؟"

وأجاب ماجد معدلاً كلامه فورًا بلهجة بها درجة من الفكاهة وكأنه قد صُدم من نفسه لأنه يطلب يدي في تلك الظروف: "في هذه الظروف!! طبعًا لا. إنه فقط اقتراح. سيمر بعض الوقت قبل عودتك إلى ألمانيا، ويمكنك أن تفكري في إمكانية بقاءك في مصر. أنا حتى يمكنني أن أعود معك إلى ألمانيا. سأعتبرها رحلة سياحية طويلة جدًا وأنت تعرفين غرامي بالرحلات السياحية. المطبعة التي كان يملكها أبي قد تضاعف حجمها ودخلها حاليًا. طبعًا زوج أختي حسام يديرها وأنا أحصل فقط على دخل منها. لقد تركت له الإدارة بعد الطلاق وأنا أحصل على نصف دخل المطبعة ولدي مبلغ كبير مدخر ادخرته بعدما تخلصت من زوجتي الأولى وهذا معناه أنك لن تضطري للعمل لو عشت في مصر وحتى لو عشنا في ألمانيا فسيكون المبلغ الذي أحصل عليه من دخل المطبعة بمثابة دعم قوي لنا في حياتنا هناك، كما أنني متعود على البقاء في البيت ولا أشعر بالضجر من ذلك أبدًا طالما هناك شخص يعيش معي ويمكنني أن أساعد بشكل خفيف في القيام بالطبخ والأعمال المنزلية. ربما كنت أنا الآن غير ماهر بذلك، ولكن يمكنك تدريبي. ما هو رأيك؟"

وسألت ماجد جادة: "هل لديك بالفعل استعداد لترك حياتك كلها هنا والانتقال معي للحياة في ألمانيا؟"

وضحك ماجد وهو يقول: "ترك حياتي هنا!!. هل ترين أن لي حياة هنا؟ أي حياة!! أنا أعيش وحدي تمامًا وأصدقائي وأفراد عائلتي الممتدة مشغولين عني بعائلاتهم وأعمالهم. أنا أذهب للعمل في المطبعة من وقت لأخر فقط كي أتخلص من الملل وإن كنت أخاف أن أضايق الحاج حسام والذي يسيطر بالكامل على المطبعة أو أصطدم به لو أردت فعل أشياء هو لا يحب فعلها في المطبعة خاصة أنني لا أنوي أن أستمر في الذهاب إلى المطبعة كل يوم ولا أن أستثمر جهدي في العمل المستمر بها. بالنسبة لي الأفضل أن أعيش مع شريكة حياة في أي مكان. المكان لا يمثل مشكلة بالنسبة لي. بالطبع أنا أحب مصر جدًا ولن تنقطع علاقتي بها أبدًا ما حييت ولكني كذلك منفتح على الحياة في ألمانيا لو كنت شريك حياة لإمرأة لديها طموحات تريد تحقيقها هناك. أنا أنظر لنفسي كشخص ذي خيارات مفتوحة. بإمكاني أن أفعل أي شيء أو أذهب إلى أي مكان دون أن يتضرر أحد من ذلك."

كنت أفهم محاولته لتحقيق الاستقرار في حياته على أي وضع ولكني طبعًا قلقت من إمكانية أن يعتمد علي في توفير ما قد لا أستطيع تقديمه له ورددت عليه: "يا ماجد. أنا نفسي لا أعرف هل سأستطيع العودة إلى ألمانيا مجددًا أم لا. أنا ليس لدي حتى خطة لقضاء الساعات القادمة ناهيك عن السفر إلى ألمانيا."

ورد علي ماجد بثقة: "اطمئني. سنفكر معًا فيما يمكننا عمله في الساعات القادمة ولو أردت العودة إلى ألمانيا فسنتمكن إن شاء الله من ذلك. أنا لا أرى مشكلة."

هو لا يرى مشكلة! وهالني احساسه بالأمان. أنا لا أفهم هذا الرجل. لقد خطفونا لأيام عديدة وهربنا من العصابة منذ ساعات فقط وهم لا يزالون يطاردوننا بينما هو أصبح يخطط للزواج والانطلاق والسفر وتغيير حياته. غريب هذا الرجل.

قلت له وأنا أحاول تنبيهه لأننا لازلنا في خطر داهم: "ماذا لو اتجهنا لقسم الشرطة كي يوفروا لنا الحماية فإذا هناك بعض أفراد العصابة ينتظروننا بجانب القسم وتمكنوا من الامساك بنا قبل أن نستطيع طلب النجدة. نحن لا نعرف من هم أفراد تلك العصابة ولا ما هي حجمها بالإضافة إلى ذلك فإن هناك من يدعمونهم من الخارج. لو أخذنا في الاعتبار الرجلين اللذين حاولا خطفك في أسوان وكوديتي الزار وسائق التاكسي الذي كان معهما فسنعرف أن العصابة تسيطر على الكثيرين ويمكن لأي إنسان حولنا أن يكون مصدر خطر علينا دون أن ندرك ذلك. ماذا لو اتجهنا للسفارة الألمانية أو حتى للمطار وكانوا ينتظروننا هناك. أنا خائفة وأريد فقط أن أشعر بالأمان في الوقت الحالي، ولكني يجب أن أقتنع بعقلي أنني في أمان. حاليًا عقلي يخبرني بأنني في خطر داهم ومستمر. ماذا لو كانوا قد عرفوا بشكل ما بوجودنا في هذا المكان الذي نحن فيه وهم قادمون للإمساك بنا. لعلهم وضعوا جهاز تتبع في هذه السيارة أو في أغراضنا. أنا لا أستطيع أن أكف عن التفكير في هذه الاحتمالات."

وضحك ماجد وهو يقول بثقة: "كلا. أنا شخصيًا لا أظن أن هناك جهاز تتبع في هذه السيارة ولا في أغراضنا. لقد كانوا يمسكون بنا في الفيلا ولم يظنوا أن بإمكاننا الهرب وكان كل شيء بدائيًا هناك. ربما العصابة الأجنبية التي أرادت خطفك وأخذك خارج البلاد لديها سيارات بها أجهزة تتبع ولكن لا أظن أنهم ينفقون الكثير على العصابات الفاشلة التي تعمل في منطقتنا العربية."

وهززت رأسي وأنا أقول: "الحقيقة يا ماجد. أنا شديدة الاعجاب بتفاؤلك ولكني لا أستطيع أن أقول أنني أشاركك فيه."

وقال ماجد يشرح لي خطته: "في حالة الرغبة في الهرب والموافقة على الزواج في نفس الوقت، أقترح أن نفعل عكس ما تتوقعه العصابة. العصابة تتوقع أننا سنتجه نحو القاهرة مثلاً. لماذا لا

نخالف توقعاتهم؟ فلنذهب إلى الغردقة ونتزوج هناك. كذلك فإن حركة هذه السيارة على الطرق السريعة ستمكن أفراد العصابة لو كان لديهم أشخاص متعاونين معهم في هيئة المرور من معرفة مكاننا. أنا رأيي أن نترك هذه السيارة في الصباح ونستقل أي مواصلة نقل جماعي حتى الغردقة ونتزوج هناك."

ورددت عليه وأنا أحاول التركيز والتفكير وأن أضع نفسي مكان العصابة: "من الممكن أن يقوموا برصد الزيجات الجديدة في حال كون هذه الزيجات الآن تسجل ضمن قاعدة بيانات الكترونية."

ورد علي ماجد بحماسة: "بالضبط. نحن نفكر مجددًا بشكل متماثل. هذا ما فكرت فيه. لهذا بعد الزواج نقضي شهر عسل عبارة عن أسبوع واحد في الغردقة ثم ننطلق إلى الاسكندرية."

وسألته: "ولماذا الغردقة والاسكندرية؟"

ورد ماجد وصوته لازال محتفظًا بحماسته: "الغردقة لأنني أعرفها جيدًا وقد زرتها مرارًا وقضيت فيها فترات طويلة في بعض الأعوام ضمن رحلات جماعية تابعة لشركات مختلفة أو بمفردي. أما في الاسكندرية فإن لدي مفتاح فيلا قديمة هناك في منطقة العجمي. هذا المفتاح تركه لي أحد أصدقائي. هو مغترب في كندا منذ سنين وقد تزوج هناك بإمرأة كندية ولديه منها طفلان وتقريبًا انقطعت صلته بمصر فيما عدا بعض الاتصالات بأصدقاءه على مواقع التواصل الاجتماعي وأنا ليس لدي حسابات تواصل اجتماعي. أنا كنت خلال رحلاتي للاسكندرية أذهب لاطمئن فقط على تلك الفيلا ولم أكن أقيم فيها ولا يوجد مخلوق بخلاف صاحب تلك الفيلا يعرف أن لدي مفتاح لها."

وسألته: "ألا يمانع صاحب تلك الفيلا في إقامتك فيها."

ورد علي ماجد: "كلا. إنه يرحب بذلك وطالما دعاني لأقضي وقتًا في بيته أثناء غيابه حتى لا يصبح البيت مطمعًا للعرب المقيمين حول الفيلا فيحاول أحدهم الاستيلاء عليها بإنشاء حالة وضع يد أو شيء كهذا. طبعًا أنا كنت أزور البيت كل فترة وأدفع للعرب الموجودين هناك بعض المال كتكاليف حراسة، خاصة وأن بعضهم لا عمل له البتة أو ببدنه إعاقة ما وهو يتكسب من عمل حراسة الفيلات التي كثيرًا ما تترك لفترات طويلة دون أن يزورها أصحابها، وكنت أسترد تلك التكاليف من صديقي في كندا، ولكن أحدًا في القاهرة لا يعرف بعلاقتي بذلك البيت، وطالما طلب مني صديقي أن أقيم في ذلك البيت ليوم أو يومين في كل مرة أزور فيها تلك المنطقة وأن أشيع أنني قد اشتريت البيت منه حتى لا يطمع أحد في تلك الفيلا التي هي الآن مغلقة منذ فترة طويلة ويبدأ في التدبير للاستيلاء عليها. لا داعي للشكليات على حساب أمننا. أنا لن أتصل به ولن أخبر حتى صديقي أنني سأقيم في فيلته بمنطقة العجمي. سنذهب ونقيم بها ولا أظن أن أحدًا سيسأل عنا هناك. صديقي مشغول جدًا في كندا ولا أظن أنه سيزور العجمي في وقت قريب ولديه بيته في الاسكندرية على أي حال. الفيلا لازالت مسجلة بإسم أبيه وقد تراضى هو وأخته عند توزيع الميراث على أن تكون الفيلا من نصيبه."

ووجدت أنا أن الخناق يضيق علي. معنى أن أقبل أن أذهب للعيش معه في الاسكندرية في فيلا أنني يجب أن أكون قد تزوجته، وقلت له: "هل يمكنني التفكير لفترة في موضوع الزواج هذا؟ أنا لم أكن أفكر في الزواج؟"

ورد علي ماجد ببساطة: "ولا أنا. أنا أعتقد أن الله قد جمع بيننا. نحن نحتاج بعضنا بعضًا ونحن متوافقان. أنظري كيف يشد كل منا أزر الأخر. أنا الآن مطارد. هناك عصابة تطاردني ولكني غير خائف فأنت معي وحديثي إليك يطمئنني. فكري في حالك كذلك لو لم أكن أنا هنا. كنت ستشعرين بالخوف الشديد والوحدة ولكني أزعم أن

وجودي يطمئنك بشكل ما. البشر لم يُخلقوا ليعيشوا وحيدين. حياة الناس تتحسن بالمشاركة ومن يدري لعل الحب يولد بيننا ولعلنا نستطيع أن ننجب أطفالًا ونعيش لهم وتصبح حياتنا ذات معنى."

وظللت أنا صامتة. كان ماجد يقفز قفزات كبيرة في الخيال إلى الأمام وكان خيالي عاجزًا عن مجاراته.

ورد ماجد على صمتي بقوله: "على العموم يمكننا أن نذهب إلى الغردقة ونقضي شهرًا أو حتى شهرين أو ثلاثة ونعيش في كبائن منفصلة على البحر أنا وأنت ولا يشعر بنا أحد. هناك مكان به كبائن يتم تأجيرها بالشهر في مركز سياحي على الشاطيء في الغردقة وأنا أعرف ذلك المكان جيدًا ويمكننا أن نقيم فيه ونتحرك بحرية معًا دون أن يشعر بنا أحد. لن يشك أحد من أفراد العصابة أننا هناك، ولكن يجب أن نغير مكاننا بعد فترة لنتجنب أن ترصدنا العصابة وأنا معي مال يمكننا من أن نشتري ما نريد."

وقلت له بواقعية: "لن نستطيع أن نسحب أي من أموالنا من البنك فقد تكون أي من حساباتنا مراقبة."

ورد علي ماجد: "يمكننا أن نسحب المال من البنك في الغردقة قبل مغادرتها مباشرة. نسحب المال ثم نترك الغردقة متجهين إلى الاسكندرية ونتجنب القطارات والاتوبيسات السياحية ونسافر بسيارات الأجرة الصغيرة غير المريحة ونغير المواصلات كثيرًا في الطريق، ولو أمكننا أن نقنع صاحب سيارة خاصة بأن يأخذنا معه حتى مكان قريب من وجهتنا ونقف في الطريق تحت الشمس قليلاً ننتظر الفرج والذي قد يأتينا على هيئة أتوبيس نستقله دون أن نحجز مسبقًا فيه. مثل هذه الأشياء قد تجعلنا نختفي تمامًا ولا تبقي لنا أثرًا على الرادارات الخاصة بأي شخص. المهم ألا نحتفظ بهواتف محمولة ولا نستخدمها مطلقًا طوال فترة هروبنا واختباءنا."

ورددت عليه وقد رأيت أنه فعلاً يفكر مثلي في موضوع الهرب: "بالضبط. لن تستطيع العصابة مهما كان حجمها وإمكانياتها أن تمسح مصر كلها شرقها وغربها كي تجدنا، ولكن تتبع الوسائل الالكترونية والهواتف المحمولة أسهل بكثير."

ورد علي ماجد وصوته يضحك: "أنا لن يفتقدني أحد. على الأقل في الشهور الأولى فأختي وزوجها وأصدقائي معتادين على جنوني وأنني أقضي الوقت في رحلات طويلة وحدي وقد لا أتصل بهم بالشهور."

ورددت عليه: "وأنا كذلك. كل أقاربي هم عمتي وابنة عمتي في مصر وأختي وعائلتها في ألمانيا. طبعًا سيقلقون ولكن الحفاظ على حياتي وحريتي أولى من طمأنتهم."

وقال ماجد وصوته يضحك: "نحن متماثلان في أشياء كثيرة. ألا ترين هذا؟"

وأجبته: "نعم يا أستاذ ماجد."

ورد معترضًا: "أستاذ ماجد مرة أخرى. لنرفع التكلفة. أنا أناديك ضحى وأنت نادني باسم ماجد. من فضلك لا تضعي العراقيل بيننا."

وأجبته: "اتفقنا يا ماجد."

ورد علي: "وسنظل متفقين دائمًا إن شاء الله."

المهم أننا هربنا من العصابة في ذلك الوقت وتزوجنا وأنجبنا محمد وإيمان وكانت لنا حياة هنيئة نسبيًا ولكننا اضطررنا طبعًا لمقابلة العصابة مرة أخرى والتعامل معها قبل أن نبدأ في حياتنا الهنيئة، وما كانوا ليتركونا في حالنا.

ولكن طبعًا قصة هروبنا الكاملة وتعاملنا مع العصابة وزواجنا وإنجابنا هي قصة أخرى.

تمت بحمد الله وتوفيقه.

عبير عبد الرزاق إبراهيم شحاتة

رواية/ الرحلة

جميع الحقوق محفوظة للكاتبة: عبير عبد الرزاق إبراهيم شحاتة

غلاف رواية الرحلة تم عمله على برنامج باوربوينت باستخدام خلفية عبارة عن صورة مجانية بالنسبة لحقوق الملكية الفكرية لها من انتاج الفنانة/ منى إندرا موضوعة على موقع unsplash للصور المجانية:

mona-eendra-vC8wj_Kphak-unsplash.jpg

رقم الإيداع بدار الكتب: 14364/2022

رقم الترقيم الدولي:ISBN 978-977-94-2399-9

سوف يتعرض كل من يقوم بإستخدام هذا المؤلف بشكل غير مصرح به أو إعادة طبع هذا المؤلف بأية وسيلة سواء كانت الكترونية أو آلية بما يشمل أنظمة التخزين والاسترجاع أو الاقتباس عن هذا المؤلف أو تقليده أو استخدامه في عمل فني أو عرضه أو أي جزء منه على شبكة الانترنت أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته، أو تحويره، أو الاقتباس منه كليًا أو جزئيًا دون الحصول على إذن مسبق مكتوب من المؤلفة للمساءلة القانونية إلى أقصى حدود القانون

إقرار:

كل أحداث هذه الرواية وشخصياتها خيالية تمامًا، وكل تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل الصدفة البحتة.

هذا الرجل لديه عبقرية خاصة في أن يقول الشيء الخاطيء في الوقت الذي لا يمكن لعاقل أصلاً أن يقول هذا الشيء، وقيل لي كذلك أنه قد تحدث بشكل سلبي عني ولكني أظن أنني رغم كل شيء منجذبة إليه. ترى هل أتيح له الفرصة ليتعرف إلي.. ما رأيك يا دكتورة سلوى؟

هذه المرأة جميلة وتبدو من النوع المتحفظ المحترم الذي يناسبني .. ربما أقادني كثيرًا أن أتعرف إليها .. ولكني لا أعرف تبدو لي غريبة شيئًا ما والكثير مما تقوله لا أصدقه. ترى هل يفيدني أن أتعرف إليها؟